

مُطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَبْرِيِّ بِدِمَشْقَ



رِسَالَةُ الرَّابِزِ فَضْلَانَ

أَحْمَدُ بْنُ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ حَمَّادٍ



فِي وَصْفِ الرَّحْلَةِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالرُّوسِ وَالصَّقَابَةِ

سَنَةِ ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

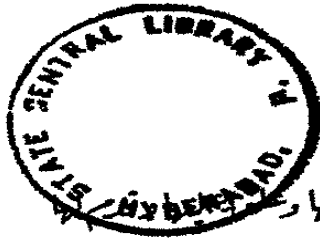
مُعَقَّدًا وَعَلَى عِلْمِهَا وَقَدَّمَ لَهَا
الدُّكْتُورُ سَامِي الدَّهْيَانُ
مُصَوِّمُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَبْرِيِّ بِدِمَشْقَ

رِسَالَةُ الرَّابِزِ فَضْلَانَ

أَحْمَدُ بْنُ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ حَمَّادٍ

في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالية

سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م



الدكتور سامي الدهان

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق



الإهداء

إلى روح المرحوم العلامة الرئيسى محمد كرد علي

ذكرى خالدة على الزمان

وأكباراً ولأباده على العربية

محمد شامي الدهان

مقدمة المحقق

تمهيد — رحلة ابن فضال — تحقيق الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

في صيف سنة ١٩٥١ ، زرتُ أستاذنا العلامة الرئيس الجليل محمد كرد علي — رحمه الله وطيب ثراه — في يته بدمشق ، وكان يتصفح المجلات والصحف التي ترد إلى المجمع العلمي ، يطلع على ما فيها ويقرأ مقالات المستشرقين والعلماء العرب لا تفوته صفحة أو إشارة ، فإذا به يدفع إليّ مجلة هنغارية ، صدرت في بودابست قبل شهر ، وفيها مقالة بالألمانية عن رحلة ابن فضلان ، كتبها أحد المستشرقين معلقاً على ما نشر أو ترجم من الرحلة ، يصحح ما يرى من وجوه التصحيح ، ويقترح روايات جديدة ، مشيراً في ذلك إلى نص الرحلة بالعربية وقد أثبتته في صور شمسية مع المقال .

قلبتُ المجلة بين يدي ، ورددتها إلى أستاذنا الفقيه ، ولم أدرك سرّ توجيهي إلى المقال ، فإذا بالرئيس يحدثني عن أهمية هذه الرسالة وعن حاجة المثقفين العرب إلى قراءتها وفهمها ، واستخراج العبر منها ، واكبار الأجداد في همتهم وسعيهم وثقافتهم ، فهي تصف بلاد الروس والبلغار والأتراك في القرن العاشر للميلاد ،

وصفاً لا يكاد يقع إلا في هذا المصدر ، والروس أنفسهم عادوا إليه وقرؤه ودرسوه ونشروا منه وترجموه منذ مئة عام ، وجعلوه في مصادرهم الثمينة ، كمرجع أساسي لاغنى عنه . وهم ما يزالون منذ سنين عديدة يعودون إليه ، في مقالات وفي دراسات ، ليزدادوا به فهماً ومعرفة ، ففيه أسماء وأعلام ، وفيه ألبسة وأطعمة ، وعادات وتقاليد ، تكشف رموزها وإشاراتنا عن أشياء جديدة كلما أنعم المستشرقون نظرهم في قراءة النص وفي تقليب غوامضه وحل مشكلاته .

وهذه الدراسات والمقالات وصل إلينا بعضُها ، وضل السبيل بعض آخر ، فلم يعرف أكثرُ العرب ما كان من هذه الذخيرة الدفينة ولم يقفوا على أثرها في أدب القرن الرابع للهجرة ، بل في آدابنا كلها ، وذلك لأن أقساماً من الرحلة طُبعت في الغرب ، وترجمت ، ولكن هذه الطبعات لم تصل إلى خزائننا العربية العامة ، بله خزائن الأفراد فهي على هذا مجهولة لم تر النور في مطابعتنا العربية وهي نادرة الوجود .

وهنا حشني الرئيس الجليل - رحمه الله - على العناية بها وإخراجها كاملة وتحقيقها والتعليق عليها . ففرحتُ بالثقة ، وظننت أن الأمر هين لين ، وعدتُ من دار الرئيس بالنعيم كما كنتُ أعود دائماً .

فلما أقبلتُ على الصورة الشمسية أقرؤها ، وأنعم النظر في عباراتها ، وقفتُ طويلاً دون الفهم ، وتعثرت طويلاً في التخريج ، وأدركني بعد الإعادة والتكرار يأس من فهمها ونشرها ، وعرفت سبب عزوف الناشرين العرب عن تحقيقها ،

فهي نسخة مفردة وحيدة يتيمة مصحفة أشد التصحيف ، مبتورة في كثير من تعابيرها ، تغص بأسماء الألبسة والأعلام والأماكن ، فكان كل كلمة من كلماتها موضع الريبة والشك ، تھوج إلى المراجعة والتثبت والتعليق . وكدت أنصرف عن العناية بها ، لولا أن صديقي المستشرق « نيكيتا أليسييف »^(١) - وهو يجيد الروسية - أرشدني إلى المصادر الروسية والألمانية ، وأرادني كذلك على المضى في العناية بها ، وقد كان هو نفسه يُعنى بها كرسالة للدكتورية ، فاذا به ينصرف عنها إلى غيرها ، ويعلق عليّ الأمل في إخراجها .

ولقيتُ بعد ذلك في كمبريج المستشرق الانكليزي (دنلوب) فحدثته في أمرها ، فإذا هو معنيٌّ كذلك بتوضيح بعض ما فيها ، وإذا به يدفع إليّ مقالاً نشره في التعليق على بعض عباراتها ، مما يخص قبائل الترك فيها ، فرجعتُ إليه وأفدتُ منه ، ولكنه يلمّ بناحية واحدة من نواح ما تزال غامضة صعبة .

وحين زرتُ جامعة هارفارد في الولايات المتحدة ١٩٥٤ قدّم إليّ الأستاذ « ريتشارد فراي » رسالة وقّعها مع صديقه الأستاذ « بلاك » ، وجعلها في التعليق على ما في رسالة ابن فضلان كذلك ، وخصّ عنايته بتصحيح بعض كلمات في أوراق معدودة من الرسالة .

وفي السنة نفسها أبلغني سيادة رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك شرف اختياري في الوفد المجمعى إلى الاتحاد السوفياتي ، بدعوة من أعضاء المجمع

العلمي هناك ، فكان أول همي أن أفوز بنسخة من الرسالة مترجمة إلى الروسية مع التعليقات ، وقد تفضل عليّ بها الأستاذ (ف . يلايف) ، مشكوراً ، وفيها الصورة الشمسية الواضحة لرسالة ابن فضلان ، وكانت تعليقاتها منارة لي وهدى . وعكفتُ منذ ذلك الحين على هذه الرسالة أقرأ سطورها الغامضة وعباراتها الناقصة ، وأقابلُ ما فيها على ما نقلَ ياقوت الحموي وما أورد غيره من الجغرافيين العرب ، حتى تمَّ لي انجازُها وأنا على مثل الشكِّ في بعض عباراتها ، فإنْ خَلَّتْ من الأخطاء فقد سدَّدَ الله خطاي ، وإنْ أصابني فيها بعضُ العِثَارِ فالمعذرة ممن يؤمن بضعف الانسان عن أدراك الكمال ، والفضلُ الأول للرئيس المرحوم الأستاذ محمد كرد علي ، فقد هيا لبعتها ونشرها لأول مرة في الدنيا العربية ، والفضل كذلك لسيادة رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك ، أطال الله في عمره^(١) ومتعه بالصحة ، فهو خير خلف لخير سلف ، رحب بالرسالة كما رحَّب سلفه ، فجعلها في مطبوعات مجمعنا العلمي ، مشكوراً .

فالحمد لله الذي أعان على إتمام تحقيقها وتقديمها على هذا الوجه وله الشكر والدعاء في البدء والختام .

(١) لقي الأستاذ الجليل وجه ربه خلال طبع هذه الصفحات ، فأورثنا حسرة وحزناً وفراغاً لا يموض

- رحمه الله رحمة واسعة - .

الفصل الأول

رحلة ابن فضال

كتب الرحلة في العصر — حال العصر — الوفد والخطة —
وصف الرحلة وأهميتها .

رملة ابن فضال

كتب الرملة في العصر

يبدو أن الشعب العربي كان مفطوراً على حب الرحلة والسفر منذ فجر نشأته فقد ذكر التاريخ أنباء متواترة عن تنقله وأسفاره ، في سبيل الرزق والتجارة والمعرفة . زار كثير من أفراده بقاعاً وأقاليم بعيدة ، فبلغ إلى أقاصي بلاد الشام والحبشة ، وطوّف كثير من أبنائه في بلاد نائية ، فكانه لم يعرف الهدوء والقرار على مصاعب السفر والرحلة آنذاك . وقد كان للقبائل رحلات ، وللأفراد أسفار ، ذكر بعضها في الشعر ، فكانت رحلات الشعراء إلى الحيرة ودمشق وبلاد الروم حتى لقد بلغ امرؤ القيس القسطنطينية ونسب إليه شعر قاله في أنقرة . وكان لقريش رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء .

ولما جاء الاسلام اندفع الشعب العربي إلى خارج الجزيرة وبلغ في عصر واحد تخوم المشرق والمغرب ، فعرف بلاداً كانت في قمة الحضارة والرقى ، أخذ عنها ، وأفاد منها ، فأدخل منها في حياته وعيشه وملبسه ما أدخل ، ووقف عند

مستوى حضاري رفيع ، ظل يرقى به ، ويحافظ عليه ، حتى تحدثت من حوله الأمم وسقطت همتها في الرقي ، وبقي وحده منارة وينبوعاً ، تستنير بهديه الشعوب في حلحلة حياتها وظلمة انحمارها .

وما أشرق القرن الثامن للميلاد حتى كان للعرب ملك فسيح الرقعة في امبراطورية عريضة ، حدودها تخوم الهند في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب وجبال القوقاز في الشمال وصحارى افريقية في الجنوب .

وكانت ادارة هذه الامبراطورية تفرض أموراً كثيرة منها معرفة الجزية والخراج ، فقد كان معظم الولايات تعدّ الخليفة العباسي رئيسها الديني ، تؤدي إليه الأموال ، فبعض باسم الضمان ، وبعض باسم المصالحة ، وآخرون باسم الهدية ، وكانت هذه الأموال تقوم بكثير من نفقات الخلافة ، وتعزّز السلطان وتحفظ مهابته وكيانه . فكان من أوجب الأمور لمعرفة الجباية وجمع الأموال أن يعرف الحاكمون حال المسالك والممالك ، والبلاد والأقاليم ، وأن يقوم بوصف ذلك رجال وقفوا كثيراً من وقتهم على الرحلة وتسقط المعلومات والأخبار ، فنشأت كتب الرحلة ، وظهرت كتب الجغرافيا ، على نمط قريب مما ألف اليونان في هذا الباب .

ومنذ القرن الثالث الهجري ، كثر التأليف في المسالك والممالك فألف المصنّفون في الأقاليم والتقاسيم ، وصوروا ما عليها من مدن وجبال وأنهار ، فكتب الكندي وابن خرداذبة ، وقدامة بن جعفر ، واليعقوبي ، وابن الفقيه

الهمذاني، وابن رسته، وابن حوقل، والاصطخري وغيرهم، ووصفوا بلاد المشرق والمغرب من الصين إلى الأندلس، وذكروا حال الشعوب وتقاليدها وعقائدها ووصفوا حال البلاد وطرقها وحاصلاتها وخارجها على الوجه الذي تم لهم. فبلغ بعضهم إلى الدقة والتوفيق حين سجل ما رأى، ونقد ما سمع. وفشل بعضهم في جمع كل ما طرق سمعه من أخبار لا يكاد العتل يصدقها. ولكنهم على كل حال كانوا صورة لما يدور في حلقات العلم والمعرفة لعصرهم من آراء ومعلومات وأخبار قد نقف أمام بعضها موقف الشك والنقد، بعد عشرة قرون أو تزيد، وقد توفرت لنا سبل عديدة لم تكن متوفرة لذلك الزمان، فأصبح رسم الدروب والمناطق ووضع الخرائط والمصورات بحثاً علمياً مستقلاً في أبعد حدود الرقي، وغدت الرحلة والتنقل والمشاهدة على أيسر ما يستطيع الإنسان أن يفعل، ولكن الفضل أبدأ للمتقدم، والموازاة المُنصفة تقتضينا أن نذكر ما بين زمانهم وزماننا من وسائل ووسائل وطرق.

والحق أن بعض هؤلاء المؤلفين رأى بنفسه وعين وشاهد — كما قلنا — وكان على إمام بما يرى، فقد كان ابن خرداذبة عاملاً للبريد والخبر خلال أواسط القرن الثالث للهجرة، في نواحي الجبل من أرض فارس، وقال المقدسي إنه رحل وسافر وأنفق في أسفاره ما يزيد على عشرة آلاف درهم. وقال ابن حوقل إنه شاهد كل ما كتب عنه وعينه إلا الصحراء الكبرى، وعن المقدسي وابن حوقل أخذ أكثر الجغرافيين.

ولكننا نلاحظ أن هذه الكتب في جملتها قد أوجزت حين رسمت أحوال الشعوب وتقاليدها ، وملابسها ، فجعلت حصتها من الصفحات كنسبة رقعتها من الأرض ، لم تبسّط ولم تفصّل الأمر . ولعلّها كانت تنظر قبل كل شيء إلى الخراج والمال ، وإلى صلة هذه الأصقاع بعاصمة الخلافة ، فقد بدأت هذه الامبراطورية العربية تفقد وحدتها السياسية منذ انتصف القرن الثاني للهجرة ، وأصبحت روابط الدين والثقافة وحدها جامعة لشمل هذا الملك الواسع ، ولم أطرافه . وقامت صلات التجار مقام السفراء الاقتصاديين اليوم ، فنهض المسلمون إلى أطراف الأرض ينقلون البضائع ويشترون السلع ، وبلغوا إلى أقصى بحار الصين وسواحل البلطيق والأندلس والأطلسي وجزر المحيط الهندي ، وخلفوا في هذه الممالك نقوداً وآثاراً ، يكتشفها الباحثون يوماً بعد يوم ، وعليها أثر هؤلاء التجار .

وذكر المقدسي في كتابه ، أن المسلمين كانوا يجلبون كثيراً من السلع من جنوبي روسيا والبلاد الأوربية الشمالية ، عدّها منها الجلود والفراء والشمع والقلائس والعسل والسيوف ، وقال انهم كانوا يستجلبون الرقيق من الصقالبة . والصقالبة في عرفهم كانت تشمل السلافين والجرمان وبعض سكان أوربة . وكان أهم ما يحمله هؤلاء التجار إلى الأقاليم النائية ، أنواع المنسوجات والتحف والفواكه .

تلك كانت رحلات التجار ومساعدتهم الفردية، وكانت السلطات والحكومات

تَبَعْتُ بوفودها - كما نقول اليوم - إلى الأقطار والممالك ، وتحملها مسؤوليات ومهمات تقوم بها ، إما سياسية ، أو ثقافية ، أو دينية ، أو تجارية ، أو استطلاعية خالصة . ومن هذه الوفود بعثة برية أرسلها الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ هـ - ٢٣٢ هـ) إلى سدّ يأجوج ومأجوج ، حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ، حفظ منها ياقوت الحموي في معجمه على لسان « سلام الترجمان » ، ما يحسن الرجوع إليه والتفكّه بنوادره ، والوقوف على عقلية الرحالين في ذلك الزمان . ومنها كذلك وفد أرسل إلى الصين أيام المحادثات بين السامانيين وملك الصين ، وفيه أبو دلف وصف الرحلة وصفاً بديعاً . ومن هذه الوفود الرسمية بعثات جاسوسية من الرجال والنساء كانت تستطلع الأخبار ، كما حدث ابن حوقل عن عهد هارون الرشيد أنه أرسل رجلاً يتجسس الأخبار من بلاد الروم عشرين سنة وكان سألّه هارون الرشيد عن عجائب الأمور ، فكان يخبره .

ونحن لا نطمح في هذه المقدمة أن نستقصي أخبار الرحالة^(١) المسلمين وأسماء الوفود الرسمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ووصف ما وقع منهم وما تركوه من كتب ، فذلك كثير واسع . ولكننا أردنا أن نمهد للحديث عن هذه الرحلة ، ونبسط أهميتها ، ونرسم عاصمة الخلاقة ، ونحدث عن ابن فضلان ورحلته .

(١) للدكتور زكي محمد حسن كتاب في الرحالة والرحلة يحسن الرجوع إليه ، عنوانه « الرحالة المسلمون

في العصور الوسطى » ج١ ١٩٤٥ .

مال العصر

ذكر المؤرخون أن المقتدر بالله أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد ، بويح بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، وقال عنه ابن الطقطقي ^(١) إنه كان سمحاً كريماً كثير الإنفاق ، أكثر من الخلع والصلوات وكان في داره أحد عشر ألف خادم خصي من الروم والسودان ، وكانت خزينة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة . وذكر أن دولته كانت ذات تخليط لصغر سنه ، ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولته تدور أمورُها على تدبير النساء والخدم ، وهو مشغول ببلذته فخربت الدنيا في أيامه ، وخلت بيوت الأموال ، حتى قال بعض المؤرخين إنه أنفق سبعين مليون دينار ضياعاً وتبذيراً ، ما عدا نفقات الدولة ، فقد اضطر في استرضاء الجند والغلمان أن يبيع ضياعه وفرشه وآنية الذهب ، وقد خلع وأعيد ثم قُتل ، ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق سنة ٣٢٠ هـ . وقد استوزر هذا الخليفة أبا الحسن علي بن الفرات ، وكان من أجل الناس وأعظمهم ، ثم استوزر علي بن عيسى بن الجراح ، وحامد بن العباس . وهؤلاء الثلاثة كانوا من ألمع الوزراء وأقواهم في تدبير الملك ، ولكن الفتن الداخلية والخارجية سدّت عليهم سبيل العمل المثمر ، فحالف المملكة سوء الحظ ولولا ذلك لكانت خلافة المقتدر من أجدى العهود على الناس ، وعلى الرغم من هذا قام الوزراء بأعمال كثيرة بسط أمرها المؤرخ الصابي في كتابه « تحفة الأمراء

(١) انظر الفخرى . ط . أوربة ص ٣٠٥ .

في تاريخ الوزراء»^(١) وفصله تفصيلاً لم يترك فيه زيادة لمستزيد يرغب في دراسة العصر والحكم وحال الشعب .

والذين يريدون أن يقفوا على حال الخلافة وهيبتها وسمعتها في الخارج - كما نقول اليوم - يستطيعون أن يرجعوا إلى كتب التاريخ ليروا إلى أي مدى كان الوزراء يطمحون في إعلاء شأن الحكم وإظهار حال السلطان . فقد بسط ابن مسكويه في كتابه « تجارب الأمم »^(٢) ، حادثاً نخب أن ثبتته هنا ، لنصور حال بغداد وحكومتها سنة ٣٠٥ للهجرة أي قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان قال مسكويه : « ودخلت سنة خمس وثلاثمائة : وفيها ورد رسولان لملك الروم إلى مدينة السلام ، على طريق الفرات بهدايا عظيمة وألطف كثيرة ، يلتمسان الهدية . وكان دخولهما يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرم ، فأنزلا في دار صاعد بن مخلد . وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بأن يفرش لهما ويعدّ فيه كل ما يحتاجان إليه من الآلات والأواني وجميع الأصناف ، وأن يقام لهما ولهن معها الأنزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة ، حتى يتسع بذلك كل من معهما .

« والتمسا الوصول إلى المقتدر بالله ليلغاه الرسالة التي معهما فأعلموا أن ذلك متعذر صعب ، لا يجوز إلاّ بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصدوا إليه ، وتقرير الأمر معه ، والرغبة إليه في تسهيل الأذن على الخليفة ، والمشورة عليه بالاجابة إلى

(١) طبع هذا التاريخ المشرق آمدرود في بيروت سنة ١٩٠٤ ، وأعيد طبعه بمصر بعد ذلك .

(٢) تجارب الأمم لمسكويه ، طبع آمدرود ، بمصر ١٩١٤ ، ٥٣/٥ .

ما التمسنا . فسأل أبو عمر عدّي ابن عبد الباقي الوارد معها من الثغر أبا الحسن ابن الفرات الأذن لهما في الوصول إليه ، فوعده بذلك في يوم ذكره له .

« وتقدّم الوزير بأن يكون الجيش مصطفاً في دار صاعد الى الدار التي أقطعها بالخرّم ، وأن يكون غلماناه وجنده وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه ، وبسط له في مجلس عظيم مذّهب السقوف في دار منها ، يعرف بدار البستان ، بالفرش الفاخر العجيب ، وعلّقت الستور التي تشبه الفرش ، واستزاد في الفرش والبسط والستور ، ما بلغ ثمنه ثلاثين ألف دينار ولم يبق شيء تجمل به الدار ، ويفخم به الأمر ، إلّا فعل . وجعل على مصلى عظيم من ورائه مسند عال ، والخدم بين يديه ، وخلفه ، وعن يمينه ، وشماله ، والقواد والأولياء قد ملأوا الصحن . ودخل إليه الرسولان فشاهدا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ماهاهما » .

وتابع مسكويه وصفه المفصل البديع ، فرسم الرواق والرجال قد امتلأت بهم الدار ، وصحن البستان ، والمجلس الذي جلس فيه الوزير ، وذكر أن معها المترجم يصف لهما ويشرح ، وأنها جاء في طلب الفداء فوعدهما الوزير ، والتمس لهما مقابلة يوصلهما فيها إلى الخليفة ، فلما كان اليوم المرسوم اصطفّ الجنّد من دار صاعد إلى دار السلطان فوقفوا في الزي الحسن والسلاح والتام » وتقدم بأن تشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح ، ووصف مسكويه كيف أخذ الرجلان من ممرّ يُفضي إلى صحن ، ومنه إلى ممرّ فصحن ، يخرقان

الصحون والممرات حتى كلاً من المشي وانبهر ، لكثرة الرجال والسلاح ، ثم أدخلوا على الخليفة المقتدر .

وكان المقتدر جالساً على سرير ملكه ، وحوله الأولياء وقوف على مراتبهم فلما دخلوا قبلاً الأرض ووقفوا حيث استوقفها الحاجب ، فأديا الرسالة ، فأجابها عنه الوزير وانتهت المقابلة . فلما خرجا من حضرة خلع عليهما مطارف خزّ وعمائم خزّ . وأطلق على القواد الشاخصين من بيت المال مائة ألف وسبعون ألف دينار . وحمل إلى كل واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلة لهما ، وخرجا مع المترجم من حدود البلاد ، وتمّ الفداء .

ولعلنا أسهبنا في الرواية والنقل والتلخيص ولكننا أردنا أن نرسم حال بغداد والخلافة والوزراء ، والجند ، والمراسم ، قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان وخروجه من بغداد ، وأن نصور البلد الذي خرج منه في حضارته وعمرانه وزيه وتقاليده وأن نشير إلى الغنى والثروة والجاه والمنعة والقوة وبراعة التمثيل ، مما يبرز أعرق الممالك في الحفاظ على التقاليد القديمة من دول أوربة اليوم . فما نظنّ أن واحدة منها تقف اليوم في مراسمها من الجند واللباس والفرش وتوزيع المال والاغداق ، لما كانت تفعل بغداد منذ عشرة قرون . بل اننا لا نكاد نرى سيلاً للموازنة في اصطناع الهيبة وإنظار السفراء وبهر أبصارهم بين ما كانت عليه بغداد وماهي عليه أغنى عواصم الملك اليوم في الغرب .

وسنرى أثر هذا كله عند ابن فضلان ، فهو بعد أن عرف ما في عاصمته

ومملكته من ترف وحضارة ، أصبح يستصغر أحوال الممالك التي رآها ، وخاصة أوربة الشمالية ، فرسمها رسماً غريباً ، يشعرنا بأنه كان ينظر إليها في عجب كما ينظر بعض سفراء الغرب اليوم إلى من يسمونهم بسكان الممالك المتخلفة . وهذا أوان الحديث عن الرحلة وصاحبها .

الوفد والخطبة

رسمنا جانباً من حال الخلافة والخليفة ، لنتهي إلى أن سمعة بغداد في الخارج كانت جيدة بل عظيمة ، يتهافتُ الملوك والامراء عليها ليعقدوا معها أجمل الصلات وأوثق المحالفات . حتى أن « الصقالبة » وهم من سكان الشمال في أوربة ، على أطراف نهر الفولغا ، وعاصمتهم على مقربة من « قازان »^(١) اليوم في خط يوازي مدينة موسكو ، قد طلبوا عون الخلافة ومساعدتها . فقد ذكر ابنُ فضلان أن ملكهم « ألمش ابن يلطوار »^(٢) طلب إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله ، تفقهه في الدين وتعرفه شرائع الإسلام ، وتبني له مسجداً ، وتنصب له منبراً يُقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته وسأله إلى ذلك أن يبني له حصناً تحصن فيه من الملوك المخالفين له . وقد بسط ابنُ فضلان أمرَ هؤلاء المخالفين

(١) عاصمة البلغار المتهمة ، على ستة كيلو مترات ونصف من نهر الفولغا .

(٢) ذكرنا في حواشي النسخة ثقلب الناسخ في رسم الاسم ، فقد وضعه مرة باسم الحسن بن يلطوار ، مرة أخرى باسم « ألمش بن يلطوار » وقد حام المستشرقون كثيراً حول تحقيق التسمية ، فما ظفروا بطائل من تاريخ روسية لذلك الزمان لا يثبت التفاصيل ، ولا يعنى بها ، بل لا يعرف تاريخاً واسماً ، فالعرب مصدر من مصادره ، وخاصة هذه الرسالة .

فقال إنهم ملوك الخزر وهم من اليهود ، كانوا يعتدون على قومه ، ويفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت في المملكة جلد سمور ، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة ويتزوجها غصباً ، والخزري يهودي ، وابنة الصقلي مسامة . وقد رأى ابن فضلان أن مملكة الصقالبة واسعة وأموالها جمّة وخراجها كثير فسأل الملك عن سبب استنجاده بخليفة المسلمين فأجاب بأنه يتبرك بأموال المسلمين ويعتزّ بدولتهم^(١) .

وهذا الأمر يدعو إلى الزهو من جانب بغداد ، ويوضح هيبة الخليفة ، ويرسم مكانة السلطان في أوربة آنذاك ، وخاصة حين يستنجد به ملك لمملكة واسعة ، ويسعى معه إلى حلف ثقافي ديني عسكري ، كما نعبّر عن ذلك اليوم .

ويبدو أن الخليفة أو وزيره حامد بن العباس^(٢) أو كلاهما معاً — فقد كانت سنّ الخليفة سبعاً وعشرين سنة — ارتضيا هذه المعاهدة حين وفد رسول ملك الصقالبة يسعى لها وهو « عبد الله بن باشتو الخزري » وعجيب أن يرسل الصقالبة رجلاً خزري الأصل ، ولعلمهم اختاروه لمعرفة اللغة العربية ، أو لثقتهم به وبجسن إسلامه .

وتقرر أن يكون الوفد الرسمي من أربعة أشخاص هم سوسن الرسي مولى نذير الخرمي ، وتكين التركي ، وبارس الصقلابي ، وأحمد بن فضلان ، ومعهم دليل هو رسول الصقالبة . ويُخَيَّل إلينا أن اثنين من أعضاء الوفد البغدادي يعرفان

(١) الرسالة بالورقة ٢٠٩ ظ .

(٢) في الرسالة أن ابن فضلان حل كتابين من الوزير ومن الخليفة معاً .

الروسية ، فالأول (سوسن) يبدو في نسبته من بلاد الروس قد استجلب كرقيق ثم تعلم العربية وحسن اسلامه وتقدمت به مراتبه^(١) والثاني بارس الصقلاي واسمه ونسبته ديلان على أصله^(٢) . وأما الثالث فهو تركي الأصل يجيد لغات الأتراك التي يمرّ ببلادها الوفد في طريقه إلى الفولغا ، وقد كان حداداً في خوارزم ، وقف على بيع الحديد في بلد الكفار وهو الذي أقنع نذير الخرمي بإيصال كتاب ملك الروس إلى الخليفة المقتدر بالله — فيما تقول الرسالة — وأما الرابع أحمد بن فضلان فهو فيما تعلمنا الرسالة يجهل اللغات الأجنبية ، ولكنه على إلمام تام باللغة العربية وبالشرعة الإسلامية ، وإليه فيما رأينا رئاسة الوفد وقيادته ، فهو في كل الظروف يأمر وينهى ويقرر الرحلة أو البقاء ، وهو نفسه يقول^(٣) : « فتدبت أنا لقراءة الكتاب عليه ، وتسليم الهدايا ، والاشراف على الفقهاء والمعلمين » . وقد علمنا من الرسالة أن الوفد سيحصل على المال اللازم للفقهاء والمعلمين ولبناء الحصن من خراج ضيعة معينة من ضياع ابن الفرات الوزير السابق^(٤) ، وقد خلع قبلها ، وصودرت أملاكه ووزعت جراياتها ، وجعلت للدولة تُنفقها كما فعلت في نفقات هذا الوفد . وقد أرفق الوفد بأشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان فقال : « الفقيه والمعلم والغلمان الذين خرجوا معنا من مدينة السلام » ولعلمهم في مرتبة الملحقين المعاوين كما نسميهم بلغة الدبلوماسية اليوم (بالورقة ١٩٩ و) .

(١) كان حاجب المكتفي فيما يبدو — انظر التعليقات الآتية .

(٢) بارس الحاجب قائد وثر ، وهو غلام اسماعيل بن احمد صاحب خراسان ، كما في التعليقات .

(٣) الرسالة بالورقة ١٩٧ هـ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات من أجل الناس ، ووزر للمقتدر ثم خلع ، وتفصيل أمره في التعليقات الآتية .

وقد حمل الوفد فيما حمل « أدوية » كان ملك الصقالبة طلبها من نذير الحزري وهذه شهادة أخرى على تقدم المملكة العباسية ، وغنى حضارتها ، ووفرة الأدوية عندها ، وفقدانها في بلاد البلغار آنذاك .

وصف الرحلة

وفي الرسالة تفاصيل دقيقة على ايجازها وقصرها ، تحدّد لنا تاريخ الرحلة وأيامها وخطتها وسيرها ، وتتيح لنا أن نرسم الطريق الذي مرت فيه ، والأوقات التي قضتها في كل مدينة وقرية ، وعند كل نهر أو مفازة .

فقد رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ (الموافق ٢١ حزيران ٩٢١) وظل يصعد شرقاً وشمالاً ماراً بإقليم الجبال ، فهذان فالرّي قرب طهران اليوم ، وعبر نهر جيحون ، فبلغ الى بخارى ، ثم أوغل في البراري والبوادي حتى وصل إلى الفولغا ، عند ملك الصقالبة ، يوم الأحد ١٢ محرم ٣١٠ هـ (الموافق ١١ أيار ٩٢٢) ، فاستغرقت رحلته أحد عشر شهراً في الذهاب ، لاقى خلالها مصاعب كثيرة وأهوالاً مذهلة ، وصفها ابن فضلان وصفاً جميلاً بارعاً يضعه في الصف الأول من الرحالة الأدباء .

فقد ذكر أنه تنكر في القافلة قبيل نيسابور خوفاً على نفسه ثم دهمه الشتاء في الجرجانية على نهر جيحون ، فإذا باب من الزمهريز قد فُتح ، وإذا الريح عاصف شديدة ، فإذا خرج من الحمام الى البيت جمدت لحيته فأصبحت قطعة واحدة من الثلج ، وإذا هو يبيت في بيت داخل بيت ، ويتدثر بالأكسية والفراء ، ومع ذلك

يلتصق خدّه على المخدة لشدة البرد . وحين أوغل في بلد الترك لقي الضر والبرد حتى أشرف على التلف فيمن معه . ولقيه واحدٌ من قطاع الطرق فأوقف القافلة بأسرها وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل ، فبجأ منه بالهدية والحسنى وعبر الأنهار في جهد جيّد والفرق يتهدّده مع القافلة كلها .

وهو على هذه الأخطار التي واجهته ، والدسائس التي تربصت به ، والمشقة الطويلة التي عاناها ، كان شديد الإيمان بالله ، عظيم التمسك بدينه وأخلاقه وتقواه لا يخون الأمانة ولو خانها رفاقه ، ولا يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طوال الرسالة ، فتراه يضرع إلى الله أن ينجيه من شرّ ما يلقاه ، ويبرأ إليه من شرور الناس الذين يراهم في طريقه . يتقزز من القذارة والأوساخ . والاسلام أمر بالنظافة وجعلها من الإيمان . ويهوله أن يرى النساء إلى جانب الرجال ، بل يفزعه أن يراهنّ في عرى مخجل فيدعوهنّ إلى التستر^(١) ، فإذا شاهدتهن في الماء بغير ثياب طار صوابه ، وفزع إلى الله من شر الكفر الذي كان يسمعه من الكفار في سبيله . وكم تلفت إلى أمور الدين وهو في أشدّ المواقف خطراً ، فنعى على القوم أنهم « لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة^(٢) » ، وكم ستر وجهه حين تكشف النسوة عن عوراتهن . وكان يرتجفُ لسماع أسئلة ملؤها الكفر ، فيستغفر الله لسائله حين يقول له « ألربنا عز وجل امرأة ؟ » ولفت نظره أن الرجال هناك ينتفون لحاهم ويرسلون سبالهم فشبهم بالتيوس . وغمّه أن يسجد

(١) في الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ظ : « وما زلت أجتهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة فما استوى لي ذلك »

(٢) الرسالة ، بالورقة ٢٠٠ و .

أقوام لخشب ينحتونه على أشكال مخزية ، أو أن يتخذوا أرباباً كثيرة ، فيتلو للحال آية الله الكريمة : « تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً » وساءه أن تعبد طائفة من الطوائف سمكاً أو حيات أو كراكي .

بل إنه ليلمسك بالدين وتقاليد الاسلام ، فيأمر الملك برد السلام على أمير المؤمنين ، ويمنعه من تسمية نفسه بالملك ، لأن الله هو الملك وانما يستطيع أن يلقب نفسه بعبد الله وأورد في ذلك حديثاً للنبي صلوات الله عليه في هذا الصدد ثم انه يأمر المؤذن بافراد الاقامة وكان يثنيها إذا أذن ، حتى لقد عرف الملك شدة تقواه فسماه « أبا بكر الصديق » وآثره وقربه وباعد أصحابه ، وقد اعترف بأن رجلاً أسلم على يديه وكان اسمه « طالوت » فسماه « عبد الله ^(١) » وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم باسم « محمد » وعلم الرجل سور القرآن القصار ، فكان فرحه بذلك أكثر من فرحه إذا صار له ملك الصقالبة .

ويطول بنا الأمر ان رحنا نستعرض ما في الرسالة من تمسك ابن فضلات بدينه ، وفرحه لشعائر الاسلام ، وغضبه لانتهاك حرمة المسامة حين ذكر أن ملك الخزر اليهودي يغضب المسامة الروسية على الزواج منه . وذلك كثير في الرسالة يشير إلى أن الرجل قام بمهمته في الدعوة للدين والتبشير به خير قيام ، فقد وفد لهذا ، وذكر أن البعثة كانت تريد تفقيه الشعب هناك بالدين في جملة مهماتها . ونظن أنه انما فصل الأمر في احراق الروس أنفسهم ، واحراق جارية مع الميت ، كان

لكرهه ذلك ، وغضبه من رأى الجارية يتناولها الفجار من اصحاب الميت في
أوضاع يأبأها الاسلام والدين والذوق .

*
* *

والعجب أشد العجب في هذه الرسالة ، يخطها رجل فقيه ، فيجيد في الوصف
على أروع ما يجود فيه الأدباء ، يصور مايجول في نفسه من مشاعر الفرح والغبطة
والخوف والفرح ، والعجب والدهشة ، فيقربنا من المشاهد التي رأى تقرب
أديب أريب لافقيه مبشر . ولولا أنه ذكر مهمته وألح على يانها ، وأكثر من
النصح والنهي ، لسكناه في الأدباء والقصاصين فحسب ، وذلك لبراعة قلمه وحسن
بيانه وجودة عبارته ، وشدة أسره ، وعظيم ايجازه في التعبير ، ودقته في اللفظ
وانسيال الجمل على قلمه في سهولة ويسر ، وفي تتابع من غير تقطيع ولا استطراد .
فلم نقع على تقعر في المفردات ، ولا تكلف في الانشاء ، فأسلوبه من السهل الممتنع
وبيانه من الإيجاز بحيث يقع في صدور الكتاب وفي طليعة المنشئين . وأما رسالته
من حيث المنهج فهي أشبه بالقصة ، تتناسك حلقاتها وأحداثها ، كرواية متشابكة
متصل أولها بآخرها .

وهو على ايراده الأرقام والأعداد في ذكر التواريخ والمسافات والأبعاد
والأيام ، لا يبتعد عن أسلوب الأديب ، ولا يتقرب من أسلوب الجغرافي . فلا
نرى له ذكراً لدرجات الطول والعرض ومواقع البلدان ، ودرجات الحرارة
وموازنة الأقاليم بعضها ببعض كما يصنع الجغرافيون . ويعتمد في حكايته للأحداث

التي مرث به والأشخاص الذين لقيهم على المحاورة المباشرة ، كقصة كتبت لآيامنا وهذا سر نجاحه في رسالته ، وسرّ الاعجاب بها والعكوف عليها ، حين اتخذها المستشرقون موضعاً للترجمة والنقل فأوا فيها قطعة من الأدب الرائع في الرحلة .

وقد أفاده أدب القرآن والحديث في أسلوبه ، فاقبس منها من غير أن يتكلف ذلك ، كأنه تشبّع به فسأل بيانه مُشرقاً متيناً لا ضعف فيه ولا انحطاط . فإذا بدا بعضُ التفكك في هذه النشرة فردّه إلى حال النسخة وتصحيفها وإلى الترقيع الذي أدخل عليها في التصحيح ، فالثوب الرائع لا يصلح رتقه إلاّ الناسج الرائع . وأنّى لبياتنا أن يصلح من بيانه ما أفسد الدهر والنساخ .

أهمية الرحلة :

يقول المستشرق الأستاذ « فرهن » حين قدّم لدراسة ابن فضلان في الألمانية ان تاريخ روسية وما جاورها في العصور القديمة غير معروف وهو ما يزال غامضاً مبهماً في أكثر نواحيه لم يضىء من جوانبه أحد من الأوربيين . وفي زمن نسطور « Nestor » كتب عن البزنطيين والفرنك والسكاندنافيين ولكن ما كتب لم يتوسع في أخبار الروس . فإذا كان الغرب قد أغفل روسية فان العرب والشرقيين تحدّثوا عنها ، فألقى العرب أنواراً كثيرة على تاريخ الغرب القديم ، وأدلى بمعلومات نافعة وخاصة عن البلغار وروسية في عهدها البعيد ، وبذلك فتح العرب عيون الغرب على معلومات في الكون عجيبة من أقصى الهند والصين إلى المحيط الأطلسي . فقد كتبوا عن مجاورتهم في حدود واسعة ، ووصفوا الهند والنيجر

والقولنا . وذلك لأن تعاليم الدين الاسلامي توحى بطلب العلم وتفرضه وتطلب السعي إليه .

ذلك ما قاله المستشرق منذ مائة عام في فضل العرب على الغرب من حيث كتب الرحلة ، أثبتناه ، لنين أهمية ما كتبه الأجداد ، وفيهم ابن فضلان ، ولنشير إلى يدهم في الكتابة عن أقطار الغرب ، وعن روسية خاصة . فالقوم لا يعرفون من تاريخها القديم كبير أمر . فلما وقعت إليهم رسالة ابن فضلان فرحوا بها لأنها تسد ثغرة كبيرة في الحديث عنهم لماضيهم البعيد ، ولعلها وحدها تنير صفحات واسعة في حياتهم ، وتتحدث عن معيشتهم في أمانة ودقة وتوفيق .

ونحن لا ننظر إلى الرسالة من هذه الناحية فحسب ، وإنما نرى أن الرجل قد صور الرحلة والعادات والتقاليد والحياة والأخلاق في ذلك العصر ، في مختلف المناطق التي مر بها أو قام فيها ، فلم يغفل كثيراً مما يحتاج إليه ذلك الزمان ، وكان دقيق الملاحظة ، يسجل أكثر ما يرى السائح ، وينقل إليه ما يدور خلال السباحة من حوار ودسائس ، ويصف الحكام والأمراء ورجال الشعب على حد سواء ويرسم الهيئات والوجوه على إيجاز الرسالة وقصرها .

مر بينخاري فوصف الدراهم الغطريفية وتركيها وقيمتها ، وفعل مثل ذلك حين وصل إلى خوارزم فوصف دراهمها وتركيها وتسميتها بالطازجة ورسم وحشية أهلها وصور كلامهم بأنه أشبه شيء بصياح الزراير ، كما صور كلام قرية قريبة بأنه أشبه شيء بنقيق الضفادع فبين حال الأجنبي حين يسمع لغة لم يألها سمعه ، فحار في تشبيهها ورسمها .

ورسم اللباس في البلاد التي مرت بها ، وقرب إلينا أشكاله حتى يستطيع الرسام أن ينقل منه صوراً لأزياء البلاد في ذلك الزمان ، عن رحالة شاهد بعينه وصور بقلمه ، وأسماء الألبسة مهمة جداً لمن يريد أن يدرس الحياة الاجتماعية والبشرية .

وأما عادات تلك الشعوب في عيشها وحديثها وتدّينها فقد أحسن في بسطها فشرح حال الزواج والمهر وشروطه ، وأوضاع السكنى والمأكل والمشرب ووفاء الدين وحال المدين ، والضيافة واستقبال الزائرين والغرباء ومراسم ذلك كله في هذه الأصقاع .

والمهم في هذه الرسالة أنه خص بلاد البلغار والروس بوصف محيط دقيق وصف الصقالة فأفاض في مراسم الاستقبال ، وفي عيش القوم ، وجلس الملوك وطريقة الأكل مما يخالف حياة العرب ومأكلهم . ووصف المائدة . وقد جلس ملوكهم فأخذ سكيناً ، وقطع لقمة من اللحم المشوي وأكلها ، ثم دفع قطعة إلى غيره ، فلا يمد أحد يده إلى الأكل حتى يناوله الملك قطعته . وكان كل يأكل من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً .

ووصف قصر الليل وطول النهار في تلك البلاد ، حين حار في تأدية صلاة المغرب مع صلاة الصبح وقرب طلوع الفجر . وذكر أن القوم يأكلون لحم الدابة وأنهم لا يجدون موضعاً يجمعون فيه الطعام ، فيعمدون إلى آبار يحفرونها في الأرض ويجعلون فيها الطعام ، ولا تمضي عليه أيام حتى يتغير وينتن . وليس عندهم زيت أو شيرج وإنما يستعملون زيت السمك .

ثم ذكر أن القوم يلبسون القلانس ، ويرفعونها عن رؤوسهم حين يمر بهم الملكُ ويجعلونها تحت آباطهم ، وينهضون له واقفين ، فاذا جاوزهم ردوا القلانس إلى الرؤوس . وأنهم يحيون الملك بمثل ذلك ، حين الدخول عليه ، ويحنون له الرؤوس وينتظرون الاذن بالجلوس . وذكر أنهم ينزلون إلى النهر فيغتسلون رجالاً ونساء وهم عراة ، وقانونهم في الزنا شديدٌ فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبتة إلى فخذه .

ودفن الموقى عند المسلمين منهم يكون بعد الغسل بأن يحملوا الميت في عجلة ، وأن يواروه اللحد ، ويجعلون بعد ذلك سلاحه عنده حول قبره ولا يقطعون البكاء عليه ستين .

ثم وصف الروس في أبدانهم فرأى أنهم شقر حمر ، وأن الرجل منهم يحمل سيفاً وفأساً وسكيناً لا تفارقه . والمرأة تجعل على ثديها حقة مشدودة من حديد أو فضة أو نحاس أو ذهب على قدر غناها ، وفي كل حقة سكينٌ مشدودة على الثدي ، وفي عنقها طوق أو طوقان على قدر ثروتها كذلك . وقال إنهم يجتمعون على السكنى في بيت واحد عشرة أو عشرون ولكل منهم سرير يجلس عليه ، وحياتهم الزوجية عجيبة مكشوفة لأحياء فيها ولا عار ، على قذارة في الثياب والأبدان . فهم يغسلون وجوههم في طست واحد يطاف عليهم به يرسلون فيه كل ما يخرج من أفواههم وأنوفهم . وأنهم يسجدون لخشب ركزوه في الأرض وقد صنع على شكل صور ، يستشفعون إليه ويتضرعون وله يتصدقون .

وفصل الأمر في الموت عند الروس تفصيلاً بارعاً ، فقد وقف على ذلك بنفسه وشاهده بعينه ، فقص علينا ما رأى من موت روسيٍّ جليل . فقال إنهم جعلوه في قبر وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه . ثم سألوا جواريه من تموت معه ، فإذا كان يوم الحرق شربت الجارية وغنّت ، وأحضرت إلى سفينة معدة لذلك الأمر . وأخرجوا الميت من قبره وجعلوا معه نبيذاً وفاكهة وطينوراً ، وألبسوه أجمل الثياب الفاخرة وأدخلوه القبة ، وطرحوا بين يديه المأكّل ، ثم دفعوا الجارية بعد أن تودع صواحبها ، فخنقوها وقطعوا أضلاعها ، ثم أحرقوا الخشب تحت السفينة ، حتى أصبحت رماداً تذرّوه الرياح ، وغرسوا في موضعها خشبة عليها اسم الميت واسم ملك الروس .

ولا نستطيع أن نسرف في رواية ماجاء عند ابن فضلان وما قصّ من مشاهداته في بلاد الروس ، فالرسالة بين الأيدي تفصل الدقائق وتوضح الحركات في شكل دقيق لا نراه في مصدر عربيٍّ أو غربيٍّ غيرها . ويستطيع المصور أن يتخذ من التفصيلات مادة للوحة الحرق عند الروس في ذلك الزمان ، لدقتها الشديدة ووضوحها البين . وقد استقى فنان روسي اسمه (هنري سميرادسكي ^(١)) من هذه الرسالة لوحة للدفن ، تزيّن اليوم أزهى متاحف الروس في لننغراد رفعت اسم ابن فضلان إلى مراتب الخلود والشهرة ، وأكسبت رسالته سمعة عالمية .

ونحن لا نريد بهذا أن نقول إن ابن فضلان وحده ذكر احراق الموتى عند الروس ، ولكننا نريد أن نشير إلى أنه وحده فصل الأمر ووصف الحرق ووصف شاهد معين . فالجغرافيون العرب في القرن الرابع ذكروا أن الروس كالهنود

Henri Semiradski (١)

يحرقون موتاهم ، فقال ابن حوقل : « والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا ويحترق مع مياسيرهم الجواري منهم بطيب أنفسهم ، كما يفعل بغاة وكوغة ونواحي بلاد الهند » وقال المسعودي ^(١) : « فأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم صقالبة وروس وهم في أحد جانبي هذه المدينة ، ويحرقون موتاهم ودوابهم ، والآلة والحلية . وإذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة ، وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وإن مات منهم عزب زوج بعد وفاته . والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة ، وهذا فعل من أفعال الهند » . وقال غيرهما مثل هذا ، ولكن هذه الأقوال ليس فيها كبير غناء من حيث الدقة والقصة والحكاية ، فهي أخبار منقولة تواترت ، وربما كانت في أكثرها مأخوذة عن ابن فضلان ، والفضل للمتقدم .

وهنا يجب أن نشيد بفضل الرسالة على الجغرافيين والمؤرخين من العرب فهم كلما تحدثوا عن هذه الأصقاع نقلوا عن ابن فضلان من غير أن يذكروا غالباً اسمه أو رسالته ، اللهم إلا ياقوت الحموي ، فقد نقل عنه حرفياً صفحات كثيرة من الرسالة — كما نبين بعد قليل — ونقده وخالفه في بعض المواضع ، وأخذ عليه أشياء ، وكذبه في أشياء ، ولكنه على كل حال أثبت اسمه في كل موضع نقل عنه من مواضع معجم البلدان . فالرسالة في ذلك مرجع من أهم المراجع عن البلاد التي زارها وخاصة بلاد البلغار وبلاد الروس . وذلك سبب عناية المستشرقين بها ، بل لعله أحد الأسباب التي دفعتنا إلى تحقيقها والعمل لها على الطريقة التي نشرحها في الفصل التالي .

(١) مروج الذهب ، طبعة باريس ١٩٠٢ .

الفصل الثاني

تحقيق الرسالة

مؤلفها — فصول من الرسالة — مخطوطة الرسالة — طريقتنا في التحقيق

تحقيق الرسالة

مؤلفها

وأينا أن ابن فضلان بدأ رحلته في ٢١ حزيران ٩٢١ ، من بغداد وبلغ إلى نهر الفولغا عند ملك الصقالبة يوم الأحد ١١ أيار ٩٢٢ م ، فاستغرقت رحلته في الذهاب أحد عشر شهراً ، ولكننا لم نعرف طريقه في العودة ، ولم نقف على تاريخها والمدة التي قضاها في ذلك حتى وصل بغداد . وإنما نعرف عن ياقوت أن الرجل عاد من رحلته إلى العاصمة ، فقال عنه : « منذ خرج من بغداد إلى أن عاد إليها^(١) » .

والمصادر التاريخية لا تفصح عن شيء من أمر هذه الرحلة ومن صاحبها فلم نقع على ترجمة لابن فضلان في كتب الجغرافية والتاريخ والأخبار ، ولم نر سطوراً واحداً يُشير إليه ، فنحن نجهل كل الجهل ما كان من اسمه . فهو عند ياقوت « أحمد ابن فضلان بن العباس بن راشد^(٢) بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله » وهذا يطابق ما جاء في الرسالة المخطوطة بالعنوان ، ولكنه يخالف ما جاء في المخطوطة نفسها حين أعلننا أن ابن فضلان أنه أسلم على يديه رجل اسمه « طالوت »

(١) معجم البلدان ٢ / ٤٨٥ وما بعدها .

(٢) صحف ياقوت هذا الاسم في بعض المواقع فقال : « ابن اسد » ولعله من النساخ .

فأسماء عبد الله ، فقال الرجل : « أريد أن تسميني باسمك محمداً ^(١) » ويقول المؤلف : « ففعلت » فهل نرى في هذا تناقضاً واختلافاً ، أم نرى فيه تصحيحاً من الناسخ ؟ أم نقبل فيه بأن خير الأسماء ما حمد وعبد .

وليس الاسم وحده هو الذي يستوقفنا ، وإنما اسم فضلان ، فالوزن عربي معروف ، ولكننا لم نقع على « فضلان » في الأسماء المشهورة لذلك العصر مع أن الرسالة تقول إنه مولى لفاتح مصر محمد بن سليمان ^(٢) ، ويقول ياقوت إنه كان مولى لمحمد بن سليمان ثم مولى أمير المؤمنين فهو من العجم الموالي ^(٣) لذلك لزمان .

والمؤلف في رسالته يدعونا إلى الاعتقاد بغير ذلك ، فينقل إلينا قول ملك لصقابة يخاطبه معرّضاً بأصحابه في الرحلة : « انما أعرفك أنت ، وذلك أن هؤلاء وم عجم » . فهل يريد بذلك أنه عربي اللسان أم عربي الجنس ؟ أم أن الملك يجهل صله فدعاه كذلك ؟ !

وأين ولد ابن فضلان من بلاد العجم أو العرب ، وكيف نشأ ، وماذا شغل ن مناصب دينية قبل البعثة إلى البلغار ، وماهي صلته بالوزير حامد بن العباس ،

(١) الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ظ .

(٢) محمد بن سليمان بن المنفق أبو علي الكاتب كما جاء اسمه في تجارب الأمم ٥١/٥ ، فتح مصر وشئت آل طولون ودخلها سنة ٢٩٢ هـ ، وقتل سنة ٣٠٤ هـ ، وحصلت الري بيد أحمد بن علي صموك بعده - انظر الفرج بعد الشدة ١ / ١٨٠ .

(٣) في المولى - انظر دراسة المستشرق فون كيرير ، عن الثقافة في عهد الخلفاء (بالألمانية) ١ / ١٠٤ ، طبع سنة ١٨٨٨ م - ولاحظ أن ياقوت يسميه « مولى أمير المؤمنين ثم مولى محمد بن سليمان »

وما هي ثقافته الأدبية والدينية ، وماذا خلف من كتب غير هذه الرسالة ؟ . إننا اتيننا في تحليلها قبل قليل إلى أن الرجل كان على ثقافة دينية وأدب رفيع ، وأسلوب جميل ، وورع وخلق وحب لنشر الاسلام وصدق في الحديث ، وعفة في المال ، ولكننا رأينا عنده سذاجة ، لعلها راجعة إما إلى سنه المتقدمة أو إلى حالته الخاصة.

أما السن فقد لاحظنا أنه تحمل هذه الأسفار فخاض الأنهار وسكن قرب الثلوج وركب الجمال والسفن وعبر البوادي والصحارى والقفار والغابات وسار سيراً حثيثاً بأشد ما يكون في الجبال والوديان ، وغامر مغامرة الشباب وخاطر بحياته فرأى الموت بعينه . فهل كان في حال جسمية تحمل مثل هذا العذاب في الرحلة أم كان في سن قريية من الشباب ؟ ومهما يكن من أمر ، فالذي ساقه من حكايات كان راجعاً إلى عقليته التي تقبل هذا الخيال ، فقد نظر إلى السماء في بلاد البلغار ، فإذا بالجو يحمر وإذا بأصوات شديدة وهمهمة عالية ، وإذا بأشباح تحمل السيوف والرماح على قطعة أخرى فيها أشباح تحمل السيوف والرماح وفي كل منهما رجال ودواب وسلاح ، كما تحمل الكتبية على الكتبية . ففرع من ذلك وأقبل على التضرع والدعاء . والقوم يضحكون منه ومن زملائه ويتعجبون . فإذا سأل عن ذلك زعموا له أن هذا الفعل من مؤمني الجن وكفارهم يقتلون في كل عشية .

وكذلك وصفه لرجل من قوم يأجوج ومأجوج . قص الملك عليه قصته ، له رأس أكبر من القدور الكبيرة ، وأنف أكثر من شبر ، وعينان عظيمتان . فروى ابن فضال الخبر ، ثم زاد عليه بأن الله يُخرج للقوم كل يوم سمكة من

البحر ، يحتزّ منها الواحد ما يكفيه ويكفي عياله ، ثم يردّها إلى البحر تتقلب ، فإذا أخذ فوق حاجته اشتكى بطنه .

وما بسطنا هذا لننقد ابن فضلان أو نزري بقدره فلعله كان يتوهم حقاً هذا الذي يصف ، أو لعله خاف فتخيل الذي قال ، فليس من هين الأمور أن يبلغ رجل في عصره ما بلغ إليه من رحلة بعيدة يصل فيها إلى بلاد البلغار والروس ، وأن يرى العجائب التي رأى على وسائط ذلك الزمان ، ومصاعب المواصلات . وكثير من الرحالة والجغرافيين رووا مثلاً روى وأوغلوا في الأساطير ، حتى لقد دخل ذلك في كتب التاريخ عندنا ، وروى المؤرخون مثله على سعة عقولهم وأحلامهم . ولكننا أردنا أن نشير إلى ما كان من ثقافة ابن فضلان وتأثره بالقصص القديمة السائرة في عصره والتواريخ المنشورة المترجمة عن الفرس ، مما أدخله اليهود وغير اليهود في عقول الناس لذلك الزمان . ولأمر ما كان يدور على الألسنة في ذلك العصر خطر الدخول إلى تلك البلاد ، حتى قال ابن حوقل وهو في القرن نفسه عن بلاد الروس : « فلم أسمع أحداً يذكر أنه دخلها مع الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطئ أرضهم من الغرباء ، وانما ينحدرون في الماء يتجرون ولا يخبرون بشيء من أمرهم ومتاجرهم . ولا يتركون أحداً يصحبهم » .

وابن فضلان دخل البلغار . ورأى الروس يتجرون في تلك البلاد وعاد منها بوصف لرحلته ، أشبه ما يكون بالتقارير الرسمية التي يكتبها السفراء اليوم عن بلاد عجيبة غريبة ، فوفق في ذلك أشد التوفيق ، بل وفق أكثر من بعض السفراء

الدبلوماسيين لعصرنا في تقريره ، فنحن نرى في خلطهم اليوم في فهم الشعوب وعاداتها وتقاليدها ما يجعل ابن فضلان سيّداً من سادة السياسة في عصره وغير عصره .

وهذا دليل على أن الرجل نجح في مهمته ورسالته وكان حقاً عند حسن ظن المسؤولين به عندما اختاروه لهذه الوفادة الشاقة ، فلا شك في أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه شخصية ممتازة . فقد وقع عليه اختيار الخليفة أو اختيار الوزير حامد ابن العباس لرئاسة هذا الوفد ، وكلفاه بتسليم رسالة لكل منهما يحملها إلى ملك أوربي يعرفان أتم المعرفة أن الصلات بمملكته حين تتوثق ستزيد المسامحة قوة ودعاية ورفعة . وليس من اليسير أن يختار الخليفة أو وزيره رجلاً لا يكون محنكاً أو مجرباً .

ويبدو أن الأوائل قبلنا جهلوا عنه كل شيء ، فنقل عنه الجغرافيون كما قلنا ولم يذكروا اسمه ، ولم يعرضوا له في مصادرهم التي أخذوا منها . فقد قرأ الرسالة منذ القرن الرابع وما بعده الأضطخري ؛ وابن رسته ؛ والمسعودي ، ولكنهم لم يثبتوا في كتبهم أنهم نقلوا منه ، فاختلط عندهم ما جمعوه من غيره بما نقلوه عنه . وفي القرن السابع كان ياقوت أوّل من أشار إلى فضله ، وأختار فصولاً من الرسالة جعلها في كتابه « معجم البلدان » وهي التي عرّفت به في العصر الحديث وسيرت ذكره .

فصول من الرسالة

قال ياقوت في كتابه^(١) : « وقصة ابن فضلان وانفاذ المقتدر له إلى بلغار مدونة معروفة مشهورة بأيدي الناس . رأيتُ منها عدة نسخ » وبذلك نعرف أن نسخ الرسالة كانت متوفرة في القرن السابع ، يعرفها الناس ويتداولونها ، ولا شك في أن ياقوت رأى بعض هذه النسخ خلال رحلاته وأسفاره في بلاد العجم والأتراك ، فنقل من إحداها فصولاً عدة ، وجعلها في كتابه مادة يستنير بها ويستشهد على الأقاليم والبلدان التي أراد أن يصفها على عادته . وهذا بيانٌ بالفصول التي نقلها مرتبةً وفاق صفحات الرسالة وإلى جانبها ما يقابلها من الأوراق في هذه المخطوطة التي ننشرها :

١ - خوارزم^(٢) : ١٩٨ و + ١٩٨ ظ .

٢ - باشغرد^(٣) : ٢٠٣ و .

٣ - بلغار^(٤) : ٢٠٣ ظ - ٢٠٦ ظ .

٤ - اتل^(٥) : ٢٠٨ و - ٢٠٩ و .

٥ - روس^(٦) : ٢٠٩ ظ - ٢١٢ ظ .

٦ - خزر^(٧) : ٢١٢ ظ .

(١)	معجم البلدان ،	الطبعة الأوربية ،	١ / ١١٣ .
(٢)	معجم البلدان ،	« « ،	٢ / ٤٨٤ - ٤٨٥ .
(٣)	المصدر المذكور ،	« « ،	١ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .
(٤)	« « ،	« « ،	١ / ٧٢٢ - ٧٢٥ .
(٥)	« « ،	« « ،	١ / ١١٢ - ١١٣ .
(٦)	« « ،	« « ،	٢ / ٨٣٤ - ٨٤٠ .
(٧)	« « ،	« « ،	٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ .

فهو قد أثبت قرابة عشرين صفحة من هذه الرسالة ، وترك خمس عشرة صفحة منها ، فكأنه نقل ثلثيها ، وبقي ثلث واحد — على الأقل — مجهولاً لم يظهر في مصدر أو كتاب . وطريقة نقله واضحة بيّنة ، فهو يفتح غالباً بقوله : « قرأتُ في كتاب ^(١) أحمد بن فضلان . . . ويختتم : « هذا ما حكاه » ، أو يفتح بقوله : « قال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة أحمد بن فضلان . . . حكى فيها ما عاينه منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد إليها ، فحكيتُ ما ذكره على وجه استعجاباً به » .

وتعليقاته على ما ينقل من ابن فضلان تحمل طابعه في الصراحة والنقد والشدة فيقول بعد أن يروي الوصف في إتل : « قال المؤلف رحمه الله : هذا وامثاله هو الذي قدمتُ البراءة منه ، ولم أضمن صحته » . ويقول معلقاً على وصفه للخزر : « قال عبد الله الفقير : وهذا كذب منه فان أكثر ما يجمد خمسة أشبار وهذا ما يكون نادراً ، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة شاهدته وسألتُ عنه أهل تلك البلاد ، ولعله ظن أن النهر يجمد كله وليس الأمر كذلك » . ويعلق بعد سطور : « قلتُ : وهذا أيضاً كذب لأن العجلة أكثر ما تجر على ما اختبرته وحملت قماشاً لي عليه ألف رطل لأن عجلتهم جميعها لا تجرها إلا رأس واحد إما بقر أو حمار أو فرس . وأما رخص الحطب فيحتمل أن كان في زمانه بذلك الرخص فأما وقت كوني بها فان مائة من كان بثلاثة دينار ركني » ثم يقول معلقاً بعد

(١) نلاحظ أن ياقوت يسمي الرسالة تارة « كتاب أحمد » ١ / ١١٢ وطوراً « قصة ابن فضلان » وأحياناً « رسالة » .

سطور : « قلتُ أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه في الرستاق دوت المدينة شاهدت ذلك » .

ونلاحظ أن ياقوت الحموي لا يكتفي برواية الخبر ونقله ، وإنما يقلبه على وجوهه ، فإن كان قد زار البلاد ، كما وقع في الخزر ، فهو يناقش الرواية ويذكر ما كان لزمانه ، وبينهما ثلاثة قرون على الأقل^(١) . وإن كان لم يزرها أبدى استعجابه مما يقرأ كما فعل في وصف الروس ، أو تبرأ سلفاً مما ينقل كما فعل في وصف نهر إتل ويوافق ابن فضلان حين يتأكد صحة روايته . وهو فيما عدا ذلك أمين صادق ثبت ، شديد الفهم لما يقرأ ، قوي التبع لما ينقل ، إلا حين يحذف من الأخبار والأحداث ما لا يدخل في كتابه . ولذلك كان كتابه معجم البلدان أحسن كتاب يعرض فصول ابن فضلان ويمثلها تمثيلاً صحيحاً بالجملة .

والمستشرقون هم أول من تنبّه إلى خطر هذه الرسالة ، فبحثوا عنها في المراجع العربية ، ورأوا أن فصولاً منها أثبتتها ياقوت وحده مشيراً إلى صاحبها ، فراحوا منذ أهل القرن التاسع عشر يُعنون بها دراسة وتعليقاً ، وترجمة ، فنشر بعضهم سنة ١٨٠٠ ماقاله الجغرافيون العرب عن الروس وفيهم الادريسي والمسعودي وابن فضلان .

وفي سنة ١٨١٤ جمع المستشرق راسموسن Rasmussen مقاطع من هذه

(١) ولد ياقوت الحموي في آسية الصغرى سنة ٥٧٤ هـ ، وتوفي بحلب سنة ٦٢٦ هـ ، وطاف أمقاعاً كثيرة مما رأى ابن فضلان . وكان ثقة صادقاً فيما ينقل .

الفصول وترجمها إلى الروسية ، ونقلها عنه إلى الانكليزية نيكلسون بعد أربع سنوات .

وفي سنة ١٨١٩ راح المستشرق الألماني فرهن^(١) Fraehn يجمع مخطوطات ياقوت ليستخرج منها ما نقله عن ابن فضلان ، وينشرها تباعاً فنشر سنة ١٨٢٢ الفصل الخاص بالخزر إلى اللاتينية ، ومعه مقال ابن حوقل فيهم . وفي سنة ١٨٢٣ نشر الفصل الخاص بالروس إلى اللغة الألمانية مع شيء كثير من التفصيلات والتعليقات فكان مؤلفه كتاباً ضخماً كبيراً بلغ ٢٦٨ صفحة من القطع الكبير . مع العلم بأن الفصل عن الروس لا يتجاوز إحدى عشرة صفحة ، ترجمها في إحدى عشرة صفحة مقابلة إلى الألمانية ، وعلق عليها في ١١٥ صفحة زخرت بالنقول عن اليونانية والفرنسية والانكليزية والعربية ، وأتبعها بالفهارس والملاحق على نفقة المجمع العلمي القيصري آنذاك^(٢) .

وهذا الكتاب على قدمه جدير بالترجمة والنقد والدراسة لمن يعنون بما قال العرب عن روسية ، وما وقع لعلماء الآثار من النقود والأقشعة مما يلم بتاريخ تلك البلاد منذ عصر المقتدر ، فقد ذكر الرجل أن نقوداً عربية ما تزال محفوظة

(١) ولد فرهن الألماني في مدينة روستوك سنة ١٧٨٢ ، وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ ، وكان من كبار المستشرقين الألمان ، واشتهر خصوصاً بالنقود الشرقية ، وله من التأليف ما يزيد على مائتي كتاب ، وكان عضواً في مجامع عدة بسان بطرسبورغ واستوكهلم وكوبنهاغن وباريس وغيرها . . .

(٢) عنوان الكتاب بالألمانية : رسالة ابن فضلان ، والجغرافيين العرب الآخرين عن الروس في أقدم الأزمان . نص وترجمة مع نقد لغوي وملاحظات وثلاثة ملاحق ، بطرسبورغ ١٨٢٣ وتفضلت دار الكتب المصرية فأعارته لنا مشكورة .

في متحف لنتغراد ضربت في عهد المقتدر ، ولعلها جاءت منذ زيارة ابن فضلات وبعثته إلى البلغار . وذكر الرجل خلال هذه التعليقات مقال الجغرافيون والمؤرخون العرب عن هذه الأصقاع وبحث عن البلدان الروسية كويابة (كييف) وبحر ورنك (اهرنك) كما ذكره العرب وغيرهما من البلدان والمواقع . وفي سنة ١٨٣٢ نشر فرهن نفسه الفصل الخاص بالبلغار ونهر الفولغا (إتل) في منشورات الجمعية الآسيوية بلنتغراد (سان بطرسبرغ) . وهكذا نشر الرجل أكثر فصول الكتاب عن ياقوت وعني به عناية فائقة ، وتمنى أن يحصل على مخطوطة الرسالة كاملة ، ولكنه قضى قبل أن يصل إلى أمنيته الغالية .

وفي سنة ١٨٦٣ نشر « وستنفلد » عن الرحلات عند ياقوت وفيها رحلة ابن فضلان ، دراسة بالألمانية ، وكان يجمع مخطوطات ياقوت لنشر معجم البلدان ^(١) . وفي سنة ١٨٩٩ نشر فستبرغ Westberg دراسة كذلك عن ابن فضلان .

وفي سنة ١٩٠٢ نشر المستشرق فون روزن Rosen مقالاً بالروسية عن ابن فضلان وأوصافه لاتل ، وخوارزم ، والروسية ^(٢) .

وفي سنة ١٩١١ ، كتب المستشرق التشيكي دفورجاك Dvorák دراسة عن رحلة ابن فضلان نشرها في براغ . وبعد عامين نشر برتولد Barthold بالروسية دراسة عن موضوع الرحلات إلى روسية عند العرب ^(٣) .

(١) مجلة Z D M G ، المجلد ١٨ .

(٢) Z B O ، بالمجلد ١٥ ، ص ٣٩ - ٧٣ .

(٣) Z B O ، المجلد ٢١ ، سنة ١٩١٣ ، فيها عن الاصطخري وابن رسته والبكري .

وفي سنة ١٩٢٤ ، أصدر مار كوارت Markwart ، دراسة عن الرحالة في لبيتسك . وفي هذه السنة وقع الحدث الخبير في المعلومات عن ابن فضلان ، اذ تسلم المعهد الآسيوي للاستشراق في بطرسبورغ ورقتين مصورتين من النسخة الخطية التي اكتشفت في مدينة مشهد « طوس » من ايران ، ووصلت بقية الأوراق مصورة بعد عشر سنوات إلى هذا المعهد ، فتغير سير الدراسات عن الرحلة بعد الحصول على النسخة وسرى ما يكون من ذلك .

مخطوطة الرسالة

منذ عام ١٩٢٤ نشر مقال بالروسية^(١) في التعريف بهذه النسخة الخطية الثمينة التي اكتشفت في خزانة المخطوطات بمشهد ، وبعد سنتين ١٩٢٦ صدر فهرس هذه الخزانة ، وفيه وصف هذه النسخة ، تحت رقم ٢ « أخبار البلدان » عربي ، فاذا المخطوطة تحوي أربع رسائل^(٢) :

- ١ - الأولى : رسالة أبي دلف .
- ٢ - الثانية : رسالة أولها : أما بعد حمد الله . وخاتمتها « عبرة لأولي الألباب »
- ٣ - الثالثة : رسالة في أخبار البلدان .
- ٤ - الرابعة : كتاب ابن فضلان . وأوله : « قال أحمد بن فضلان لما وصل

(١) P. A. H المجلد ٦ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وصف المخطوطة .

(٢) جلد سوم - أزمهرست كتب كتنخانة مباركة استان قدس رضوى على مشرفا آلا ف السلام ، شهر المحرم ١٣٤٥ هـ ، دار الطباعة . طوس (مشهد مقدس) ، ص ٢٩٩ .

كتابُ الحسن بن بطوار ، ملك الصقالبة الى أمير المؤمنين وآخره : وله يذعن الملوك الذين يصاقبونهُ .

وقد كتبت المخطوطة بخط نسخ ، في كل صفحة منها ١٩ سطراً ، وقف ابن خاتون « وتاريخ الوقف ١٠٦٧ هـ » . وأوراقها ٢١٢ ورقة ، آخرها مبتور مخروم ، وهو بذلك ينقص من أوراق رسالة ابن فضلان مع الأسف .

ومنذ ظهور المخطوطة توجه المستشرقون إلى دراستها والتعريف بها ، فنهض العالم التركي زكي وليدي طوغان ، إلى تحقيقها والتعليق عليها وترجمتها . فأكمل مافيه ، وقابلها على ياقوت وغيره ، وأتبعها بنصوص من الجغرافيين العرب ، ونشرها بالحروف العربية والترجمة الألمانية ، وطبعها سنة ١٩٣٩^(١) . ونشر هو نفسه قبل ذلك مقالاً يبين فيه أهمية الرسالة وفائدة هذا الكشف^(٢) . وظهرت بعد ذلك مقالات في الصحف الغربية عن الرسالة لفائدة من تعدادها هنا كلها^(٣) لأنها في الفوائد اللغوية والتصحيحات الجغرافية .

وفي السنة نفسها صدرت دراسة بالروسية ، برعاية المستشرق الكبير

(١) Ibn Fadlan. s Reiseberichte Abhandlungen Für Die Kunde Des Morgenlandes XX11, 1939

(٢) J.1., 204, 144

(٣) منها مقالة للاستاذ ريتير في الملاحظات على نشرة وليدي ، صدرت سنة ١٩٤٢ في مجلة ZDMG ص ٩٨ - ١٢٦ ، ومقالة بالجرية في مجلة Acta Orientalia ، سنة ١٩٥١ ، ص ٢١٧ ، ٢٦٠ ، أشرنا إليها في تمهيدنا ، ومقالة للاستاذ دنلوب Dunlop في مجلة « عالم الشرق » بالانكليزية ، صدرت في مدينة شتوتغارت في أربع صفحات ، ومقالة للاستاذين فراي وبلاك R. Frye. R. Blake بالانكليزية كذلك ، صدرت سنة ١٩٤٩ ، في ٣٧ صفحة .

كراتشكوفسكي ، في مدينة موسكو ، وقد جاءت مقدمتها الروسية في دراسة الرحلة وصاحبها ، على إحدى وخمسين صفحة . ثم تلتها ترجمة الرسالة إلى الروسية في مئة وعشرين صفحة ، ورقة فورية ، في ملاحظات قيمة ثمينة جداً ، وأعقبها الملاحق ، والفهارس . وفي آخر هذه الدراسة نشرت صورة شمسية (فوتوغرافية) للرسالة كلها عن مخطوطة « مشهد » بحجم كبير واضح ، ورقمت أوراقها ^(١) .

والحق أن هذه الدراسة هي أدق ما صدر عن ابن فضلان ورسائله وهي أصح التعليقات وأقربها إلى فهم النص ، وخاصة فيما يلم بالبلغار وروسية ، فهي تعتمد على المقالات والدراسات التي نشرت قبلها ، وترجع إلى المصادر الحديثة الواسعة ، على قوة في الملاحظة ، ووقوف على العربية . ولكنها جعلت للمستشرقين عامة والروس منهم خاصة ، لأنها اكتفت بنشر الصور الفوتوغرافية « الشمسية » كما هي ، ولم تكن بطبع النص العربي محققاً ومصححاً بحروف الطباعة العربية ، كما فعل زكي وليدي ، وإنما اكتفت بالصور ، يصح روايتها القارئ الروسي من التعليقات ، ويبدل بذلك جهداً في التنقل بين المخطوطة وبين الحواشي والتعقيبات . أما القارئ العربي فلن يفيد منها أمراً إلا إذا صحح عن الروسية هذه الصور وقوم العبارات فيها ، وأكمل المبتور والناقص والمخروم بيده ، وفي ذلك جهد جديد لا ينهض به إلا ناشر أو محقق ، وليس هذا من عمل القراء في شيء .

(١) من منشورات المجمع العلمي بالاتحاد السوفيتي بعنوان ، رحلة ابن فضلان إلى البلغار ، مع مقدمة للمستشرق الأكاديمي أغناطيوس كراتشكوفسكي في موسكو ١٩٣٩ ، ١٩٣٠ صفحة + ٣٣ صورة شمسية .

وإذن فرسالة ابن فضلان طبعت مرة واحدة بالحروف العربية على يد زكي وليدي طوغان مع الترجمة والتعليق، ونشرت صورها الشمسية مرات ، وصدرت عنها دراسات ومقالات في الألمانية والروسية ^(١) والانكليزية . وهذه الطبعة والصور والدراسات هي في الغالب مفقودة في خزانتنا العربية العامة ، لاتكاد تملك منها طبعة أو دراسة ، فكأن الرسالة لم تنشر أو كأنها بقيت مخطوطة . ومع ذلك فإن طبعة زكي وليدي الوحيدة تحتاج إلى تصحيح وعناية وتقويم ، فهي تنص بالأخطاء ، كما أشار المعلقون من المستشرقين ، وهي على أخطائها نادرة لاتصل إليها الأيدي لأنها ظهرت في مجلة ألمانية من الصعب الحصول على نسخة منها ، ونشرها نفسه لا يكاد يملك فيما قال لنا إلا نسخته الخاصة .

وبذلك أصاب ابن فضلان ظلم كثير في الأقطار العربية ، فلم ينهض له ناشر أو محقق يجمع شتات التعليقات والمعلومات ، ويعود إلى الصورة المخطوطة ، فيتناولها بالقراءة والدراسة والتقويم كلمة كلمة ، وينشرها في جمهور المثقفين المتشوقين إلى تراثنا الخالد ، وخاصة في هذه الأيام ، ليعرف العرب أي يد كانت لهم منذ القرن العاشر للميلاد في نصرة البلغار على الخزر ، وعون هؤلاء الأقوام على أطراف القولغا ضد الخزر اليهود ، فقد طغت اليهودية على هذه الأمة وهددت كيانها ، وسلبت نساءها ، وأذلتها في عقردارها ، وفرضت عليها رسوماً وضرائب كانت تدفعها عن يدي وهي صاغرة . فهب العرب من بغداد لنجدة القوم المستضعفين ، وأرسلوا إليهم

(١) آخر الدراسات عن ابن فضلان ، صدرت في خار كوف سنة ١٩٥٧ بناية كوفالفسكي في ٣٠٩ صفحات بمجموع الربع ، مع ٣٣ صفحة للنص العربي في صورة المخطوطة ، وفيها شروح وتعليقات بالروسية .

المال ، ووعدهم بتحسين الحدود ، وقدموا لهم ما يملكون من وسائل الحضارة مما يُعينهم على العيش الكريم ، فكانت هذه البعثة الرسمية التي وصف مهمتها ابن فضلان في رسالته ، ورسم المراحل التي اجتازتها ، والعقبات التي مرت بها . فهي وثيقة سياسية تاريخية هامة ، تُعني بها الغربيون من جانبهم وبقي على العرب أن يُعنوا بها ، وهم أصحاب الفضل واليد ، منذ عشرة قرون كان الغرب قبلها يتخبط في الجهل والظلم ، وهذا سبب من الأسباب التي دفعتنا إلى العناية بها وتحقيقها .

طريقتنا في التحقيق

لهذا نهضنا بالمهمة منذ سنة ١٩٥١ ، نزولاً على إشارة الرئيس المرحوم العلامة محمد كرد علي ، واتخذنا الصورة الشمسية للرسالة أصلاً للتحقيق . فنقلناها ورحنا نقرأ عباراتها لنفهم منها ما يقيم ألفاظها ، فإذا بها قد كتبت بيد ناسخ عاش في القرن الحادي عشر للهجرة ، متأخر ، لم يفهم الرسالة ولم يفقه مراميها ، فتصحفت عليه وجوه القراءة فرسمها كما استطاع ، ولم يكن من السهل عليه أن يفهم كل ما فيها فقيها من الصعوبات ما يشق عليه تذليله . ويبدو أنه كان ضعيفاً في العربية ، لا يعرف قواعد النحو البسيطة ، مثل قاعدة الأعداد ، أو المفعول به أو الممنوع من الصرف^(١) ، وذلك من اليسير رده وتصحيحه على الناشر . والأمثلة عليه كثيرة لا نريد أن نثقل بها هذه المقدمة ، ففي حواشينا أدلة متوفرة كافية للبرهان على

(١) أما عن طريقة النسخ في رسم الحروف والكلمات فقد عرضنا صفحات بالتصوير كمنهج لخطه جملتها بمد هذه المقدمة .

ما نقول . وليس هذا وحده ، وإنما في الرسالة أشياء لم يفهمها فصورها كما هي ، وأعلام لم يسمع بها ، وألبسة لا يعرفها ، فهو ناسخ ضعيف ، لا يرقى إلى مرتبة النسخ المثقفين .

ومن هنا كانت صعوبة القراءة ، فعمدنا قبل كل شيء إلى مقابلة ما في المخطوطة على ما نقل منها ياقوت الحموي إلى معجم البلدان ، فإذا يياقوت يتفق في كثير من الروايات ويختلف في قليل ، وذلك لأنه وقع على نسخة قريبة من هذه النسخة أشدّ القرب ، ولعلّ هذه المخطوطة من حفيداتها ^(١) ، لولا شدة تصحيفها .

وشيء آخر أصاب هذه الرسالة فقد عدا عليها الإهمال ونزلت بها الرطوبة ، فطمست كلمات منها في كثير من مواضع الصفحات ، وحلت بها الأرضة فمحت مواضع أخرى ثم تناقلت بها الأيدي فمزقت آخرها ، على عادة المخطوطات ، لقلة التجليد وضعف العناية بالمخطوطات . أما ما وقعنا عليه في ياقوت مما يكمل المبتور ويوضح المطموس فقد أعدناه إلى مكانه وملأنا فراغه ، وجعلناه بين معقوفتين ؛ دلالة على إضافته من ياقوت . وأما ما لم تقع عليه في « معجم البلدان » فقد أعملنا فيه التخمين والحدس ، وجعلناه كذلك بين معقوفتين . وبقي أمر هام نحب أن نقف عنده ، وذلك هو آخر النسخة فهي تقف عند الورقة (٢١٢ ظ) ، وتختتم ثلاثة سطور جاء فيها الحديث عن الخزر ، بصورة مفاجئة ، من غير تهديد . وقد

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان مادة « مرو » أنه أفاد من خزائن هذه المدينة وأقام بها ثلاثة أعوام ينقل ويقتبس ، فله رأى رسالة ابن فضلان في هذه المدينة .

عودتنا ابن فضلان أن يقص علينا أمر انتقاله من بلد إلى بلد ومن مملكة إلى مملكة وأن يشير إلى الطريق التي سلكها ، والأيام التي قضاها ، والطريقة التي قوبل بها . ولكنه هنا بعد أن ينتهي من الحديث عن ملك الروس وعاداته ينتقل فجاءة إلى ملك الخزر ، فيقول : « فأما ملك الخزر . . . » فهل يصف هذا الاقليم بعد عودته من الروسية ، أم يصفه في طريق الذهاب إليها ، أم يوازن بين الروس والخزر في عاداتهم ؟ إنه وضع خطته في عنوان رسالته فقال : « يذكر ما شاهد في بلد الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد وغيرهم » ، وقد تحدث عن خوارزم ثم عن الترك وقبائلهم وعاداتهم وأطال في ذلك ، ثم عن البجناك ، ثم الباشغرد ، ثم بلغ إلى ملك الصقالبة ، فأسهب في الحديث عن مهمته عندهم وعند مليكهم وعن طبيعة بلادهم وعجائبها . فاذا رأى الروس وافوا في تجارتهم إلى « نهر إتل » عند الصقالبة تحدث عنهم ، وقصّ حكاية الدفن فأفاض في صفحات ختمها بكلامه عن ملك الروس ، وإذا به يتكلم عن ملك الخزر في ثلاثة سطور بترت بعدها الأوراق ، وحل محلها الشك . وتكلم المستشرقون وتناقشوا في هذا الأمر كثيراً

وقد رجعنا إلى ياقوت نستجد به كما استجدوا ، فرأينا أنه يتحدث عن الخزر فيقول^(١) : « وقال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة له ذكر فيها ما شاهده بتلك البلاد فقال : الخزر اسم اقليم من قصبة تسمى إتل ، وإتل اسم النهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار . . . » فصدنا صدمة عجيبة ،

(١) معجم البلدان ، الطبعة الأوربية ، ٢ / ٤٣٦ .

لأن ابن فضلان لم يعودنا الطريقة الجغرافية في الحديث عما زاره ، وإنما يقول كما رأينا أنه انتقل فرأى كذا ، ثم وصل إلى بلد كذا ، فهو حين يصل إلى الباشغرد يقول : « فوقفنا في بلد قوم من الأتراك يقال لهم الباشغرد ، فحذرناهم أشد الحذر » وحين أراد الحديث عن الصقالبة قال : « فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة ، وجه لاستقبالنا ... » وتحدث عن الروسية فقال : ورأيت الروسية ، وقد وافوا في تجاراتهم ، ونزلوا على نهر إتل فلم أر أتم منهم أبداً ... » فليس من المعقول في شيء أن يتبدى حديثه عن الخزر بذكر الاقليم وتعريفه والنهر وجريانه ، ولا يمهّد لذلك بقول كأقواله السابقة . ولكن ياقوت عودنا الصدق وأمانة النقل ، وهو في كل ما نقله إلى معجمه عن ابن فضلان كان ثقة وكان يطابق ما في مخطوطتنا ، فكيف وقعت منه هذه النسبة إلى ابن فضلان ؟

إن الاصطخري وابن حوقل يتحدثان عن الخزر^(١) ، ويقولان الكلام الذي قاله ياقوت في النصف الأول كلمة كلمة ، لا يكادان يختلفان عنه إلا في بعض الكلمات ، وإلا فيما تخطيء فيه العين حين النقل ، أو يمليه الحفظ واللب حين الكتابة . فالنصف الأول هو هو في الكتابين وفي ياقوت يتحدث عن الملك ، ثم عن الفرق الدينية ، والحكام والقضاة وشكل الأتراك وهيئاتهم . ويبدأ الاختلاف في النصف الثاني عند الحديث عن خاقان الخزر ، والدخول عليه فين فصل الكتابان عن ياقوت

(١) كتاب مسالك الممالك للاصطخري وهو معول على كتاب صور الأقاليم للبلخي ، ط . ليدن

تماماً في هذا الموقع ، فكأنه اتفق معها في الشق الأول فحسب . وهو في هذا القسم الأول يتحدث عن مساجد لم يرها ابن فضلان حتماً فانما جاء ليبشر بالاسلام وليبني منبراً . وهذا لا يتفق مع مفهوم رسالته ، وإنما قد يتفق لمن وصفها بعده وتأثر بعمله وتبشيره ، فليس القسم الأول من انشاء ابن فضلان وليس من رسالته .

والنصف الثاني عند ياقوت يتحدث عن ملك الخزر فيتفق والسطور الثلاثة التي بقيت في المخطوطة عند ابن فضلان ، ويتابع وفاق السطور المطموسة في الورقة ، فكأنهما متحدان منذ هذا الكلام فحسب ، وكأن القسم الأول نقله ياقوت عن الاصطخري وابن حوقل ، ونقل الثاني عن ابن فضلان ، ونسي أن يذكر مصدره في الأول فجعل النصين معاً باسم ابن فضلان لغلبة الشعور عنده بأن الرجل زار هذه البلاد فتحدث عنها هذا الكلام كله . وهنا نقلنا القسم الثاني فقط مما أثبت ياقوت متمماً لعبارة ابن فضلان ، ووصلنا بين السطور الثلاثة عندنا وتمة النص من ياقوت ، وجعلناه ذيلًا للمخطوطة ، كأنه يعوض علينا الورقة الضائعة أو الورقتين الضائعتين .

وبعض المستشرقين يظن أن نص الاصطخري منقول عن ابن فضلان في الأصل — والاصطخري^(١) كان حياً في سنة ٣٤٠ هـ ، بعد حوالي ثلاثين سنة من رحلة ابن فضلان — فأثبته ياقوت على أنه له . وبعضهم يرى أن ابن رسته والبكري

(١) لم يكتب أحد عن حياة الاصطخري ، حتى أن الناصر المسترق لم يجد نوراً يهتدي به في الحديث عنه ، ولكنه رأى أنه التقى بابن حوقل سنة ٣٤٠ هـ .

والاصطخري والمسعودي يشبهون آراء ابن فضلان فيما وصفوا من تلك البلاد ، ولعلمهم نقلوا جميعاً عن الجيهاني ، وقد ألف كتابه بعد سنة ٣١٠ هـ ، أي بعد رجوع ابن فضلان من رحلته . وكتاب الجيهاني ضاع ولم يصل إلينا لنوازن بينه وبين مؤلفنا ابن فضلان .

ونحن لانتحقق في الجغرافيين ، ولا نكتب في صدد مادة الخزر نفسها ، ولكننا وجدنا ثلاثة سطور في آخر المخطوطة عندنا ، وقعت هي نفسها في ياقوت تبدأ بحثاً أتم نقله ياقوت ، فنقلناه عنه . واطرحنا مانسبه إلى ابن فضلان في الشق الأول لأنه لا يشبه أسلوب صاحبنا ولا يلمّ برحلته في شيء ، وفيه إعادة وتكرار بين الشق الأول والثاني في الحديث عن خاقان الخزر ، فكان ياقوت جمع بين مصدرين على عادته ، ولكنه نسي أن يشير إلى مصدر الشق الأول ، فجعل الاثنين لابن فضلان — كما قلنا — .

ولعل القارئ يعذرنا في الاطالة والاسهاب ، فنحن أردنا أن نتحقق من من نسبة الرسالة إلى صاحبها وصحتها ، بعد أن تحققنا من وقوع الرحلة ، فأثبتنا وقوع النص في ياقوت وحده مشابهاً لما عند ابن فضلان في أكثر ما نقله . وليست المهمة سهلة كما تبسطها هذه السطور في يسر وسهولة ، وإنما استغرقت زمناً ليس باليسير وجهداً ليس بالقليل ، لانتم ولا نتكلف في امتداح ما فعلناه ، فقد نخطيء في هذا التخمين وفي هذا التقدير^(١) ، ولكننا نريد أن نضع المشاكل بين يدي المطالع

(١) رأينا أن المستشرقين الروس فعلوا مثل هذا فأنقصوا نص الخزر من الشق الثاني برسالة ابن فضلان وترجموه مع الرسالة .

كما وقعت لنا ، وأن نشركه في الرأي ليكون على اطلاع بما يقرأ من حيث النسبة والصحة والدقة ، فلا يتهمنا بالاسراع والاغراق في التفاؤل ، وإنما يعرف أننا شككنا في كل كلمة قرأناها ، ورددناها إلى أصلها من العربية أو التركية أو الفارسية وأنها رجعنا إلى المعاجم على اختلاف ألوانها ، تمدنا بما عندها . وعدنا إلى المستشرقين نسألهم ونقرأ تعليقاتهم ، ونأخذ منهم بما اتفقوا عليه . ولكنهم اختلفوا في كل شيء من هذه الرسالة ؛ فقد وقفوا عند اسم ملك الصقالية ، فهو الحسن حيناً وهو « المش » حيناً آخر ، وهو مسلم قبل أن يفد ابن فضلان ، بل هو أسلم بعده ، فأبوه كافر اسمه يلطوار أو بلطوار أو « فلاديمير » أي « أمير فولاذ » . وهم يقفون في حيرة كما نقف ، لضعف المصادر عن امدادهم بتاريخ تلك البلاد لذلك العصر . ولهذا بسطنا في التعليقات أمر شكهم وحيرتهم ، وتركنا للقارئ الحكم بعد ذلك .

ولن ننسى كذلك ما بسط هؤلاء العلماء من شك في تمام هذه الرسالة وكما لها فقد رأى بعض أنها موجز الرحلة ، بدليل كلمة : « قال » التي تبدأ كل مقطع طويل ولعلمهم على حق في ذلك ، ولكننا نجد المؤلفين القدماء يكررون هذه الجملة في كتبهم التي لا ينالها شك في تمامها . فعسى أن يجود الزمان بعالم يكتشف النسخة الكاملة للرحلة ، فيصحح ما وقعنا فيه من خطأ ، ويكمل ما بدأنا به . فقد عرفتُ منها فصول أول الأمر حتى سنة ١٩٢٤ — كما قلنا — ، ثم عرفت الرسالة كما نشرها مبتورة في آخرها ، والزمان كفيل بأن يظهرها كاملة مفصلة بعد سنين — إن شاء الله — فتزول هذه المشكلة ويموت هذا الشك .

أما أسماء الأنهار فهي مشكلة كذلك ، فقد تغيرت مواقعها وأسمائها وحرار المستشرقون كذلك في ردها إلى أسمائها اليوم ، لذلك ذكرنا ما انتهى إليه أهل الصنعة في جغرافية تلك البلاد ، ولسنا منهم في حال إلا أن نكون ناقلين مستيرين بهدي غيرنا ، ننتظر الصواب من كل فم ، والتصحيح من كل عالم واقف على الموضوع.

فنحن لا ندعي أننا فعلنا كل شيء ، ولكننا على ثقة بأننا صنعنا ما كان في إمكاننا ، فاتخذنا الصورة الشمسية المكبرة عن كتاب كراتشكوفسكي وبسطناها على الورق ، وعلّقنا عليها ، وصوّبناها كما انتهى إلى علمنا . وقسمناها إلى مقاطع وإلى فصول ، تمشياً مع طباعة اليوم ، من غير أن نبذل في ترتيب المخطوطة وفي كلماتها . فلقد أثبتناها كما هي مع إضافة يسيرة يقتضيها العلم الحديث من وضع الترقيم في الفواصل والنقط والأقواس وأضفنا البسملة في صدر الرسالة والعناوين الموجزة بين الأقواس المعقوفة ، وجعلنا أوراق المخطوطة معينة ، ووضعنا أرقامها بالحواشي بين معقوفتين . وضبطنا بعض كلماتها ، وفعلنا كل ما يقربها إلى العرض الواضح ، والطباعة المبسطة .

ونحن نعرف أن نشر النصوص قد اتخذ على يد بعض شبابنا^(١) قاعدة أفسدته حين أشاروا بأن نطبع المخطوطة كما وصلت من غير تعليق أو شرح ، فلو قد فعلنا ذلك لوقف القارئ دون الفهم ، وجعلناه أمام مشكلة فهم النص ، وبعثنا منه

(١) لقد أرسل بعض الشباب قواعد «في تحقيق النصوص» على قلة تجربتهم ، ونحن نرجع إلى القدماء من محققينا فقد ساروا في تحقيق الأحاديث سيرة يقلدها الغرييون اليوم لأنها عاقلة حقاً .

الخيبة والقلق ، ودفعناه عن جمال الرحلة ، وكأننا صنعنا كالمستشرقين فصورنا المخطوطة تصويراً فحسب . ولما كان من ههنا أن نقر به منها وأن نحجبه إليها وأن نعرفه إلى النصوص القديمة وإلى تراثنا العبقري ، أضفنا في الحواشي ما قد يستثقله بعض ويرمي به بعض ، ولكنه لا يفسد النص كما يتراءى لهؤلاء الشباب وإنما ينير جوانبه . والنور في الشرح خير من الضلال في الصمت والسكوت عن المشاكل وإيثار العافية .

ونحن بعد هذا كله نرجو الأجر عند الله وحده فيما صنعنا فقد عملنا لخدمة الجيل الجديد ، في عصر اليقظة العربية ، وقد تلفت إلى ماضيه ليتثبت من مفاخر أجداده وليتأكد من ضخامة ما صنعوا لأجل لغته وبلاده ، لعله ينهض بمثل ما نهضوا به فيصنع لمستقبلنا كما صنعوا لماضيها ، ويتكافأ عند ذلك ماض ومستقبل ، ونعود لمصافحة النجوم واستقبال المفاخر ونغدو من جديد أمة حية تستحق الخلود والاكبار كما كنا ، فقد سطرنا صفحات البقاء والعبقرية في قائمة الأمم وخارطة العالم . فعسى أن تجد هذه الصفحات عند العرب ما وجدت عند الغرب من اهتمام لائق . وعند ذلك نجد السلوان والعزاء عما بذلنا من وقت وجهد وصحة ورحلة ، والحمد لله على ما يستر وأعانت .

دمشق الشام في ١٨ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ

الموافق ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٩ م

محمد سامي الدهان

بيان الرموز المستعمدة في هذه الطبعة

ص	: صفحة
ج	: جزء
ط	: طبعة
و	: وجه الورقة من المخطوطة
ظ	: ظهر الورقة من المخطوطة
	مخطوطة الأصل : أو نسختنا : هي مخطوطة مشهد الوحيدة
ياقوت	: معجم البلدان لياقوت
[]	: وضعنا بينهما ما رأينا إضافته للسياق ، إما لطمس في المخطوطة أو غموض ، أو لإكمال نقص سواء أدلت عليه النسخة أم لم تدل
	: للدلالة على نهاية الصفحة وبداية الصفحة التالية في مخطوطتنا
[٣٣]	: وضعناهما في الهامش ، وبينهما الرقم المتسلسل للدلالة على رقم الأوراق في مخطوطتنا ، وهي نسخة مشهد .

(وأما المختصر من أسماء المؤلفين وآثارهم ففي الفهارس آخر الكتاب عون لبيانه والتفصيل فيه)

رسالة ابن فضالان

عن المخطوطة الوحيدة في مدينة مشهد

رحلة ابن خلدون

بأخذ حارثا وأقام لنا رجلا يفتني حوائجنا ويرشح طائفا في كل ما نريد فقلنا
إياها ثم استأذن لنا طاهر بن أحمد فقلنا إليه وهو غلام لم نرد
قلنا عليه بالمره فأمرنا بأجله. فكان أول ما بدأ به أن قلنا
وكيف خاتم مولاي أمير المؤمنين إمام الله بقائه وسلامته في غيبه
وقبائه وأوليائه؟ قلنا: «غيره قل: وذاك الله خير». ثم قرأ الكتاب
عليه بتلخيص أربعة عشر من الأهل من موسى التبرلي وكل ابن الدبران
وسلبها إلى أحمد بن موسى الخوارزمي وقلنا والكتاب إلى صاحبه
مؤلفة بركة المرحوم لنا والكتاب باب التبرك يديكنا وذلك الأمر
١١ قلنا: «وإن أحمد بن موسى؟ قلنا: «مخطئه مدية السلم ليخرج
قلنا فكتبه إمام». قلنا: «سمعا وباطنا لا أم». مولاي أمير المؤمنين
إمام الله خاتم.

٥ قلنا: «أهل الأمر المفضل من موسى التبرلي وكل ابن التبرات
فأهل الجيلة في أمر أحمد بن موسى وكتبنا إلى جمال الملائك بطريق
خراسان من چند سرخس إلى يكتمار الكوفي الشيخ علي أحمد بن موسى
الخوارزمي في الملائك والراشد وهو رجل من صفته ومنه قلنا به
فقلنا له إلى أن يرد عليه كتابنا ونبينا^{١٢} فاعطى سرور واعتقل وقلنا
نحن يتولوا شئنا ونخبرهم يوما وقد كذبوا الخلد بن موسى أيضا ولما
عبد الله بن مختار خبره من أسماطين بخراسان: «إن أقدنا جميع الدماء
وما بنا المصير لأحد من دمي إذا وألفا لحيي^{١٣}».

٥ : «وأنت الدوام» «أرا ألويا شئنا» حضا طرام قلنا لها
الصلابة دمي سلمي وشبهه وتبرير غدا منها. بعد بلا وزن مائة منها
(1887) مدرم فقة وأنا شريطين في دج ساوي- خرج ثلاثين من ثلاثين

٥ : «وأنت الدوام» «أرا ألويا شئنا» حضا طرام قلنا لها
الصلابة دمي سلمي وشبهه وتبرير غدا منها. بعد بلا وزن مائة منها
(1887) مدرم فقة وأنا شريطين في دج ساوي- خرج ثلاثين من ثلاثين

رحلة ابن خلدون

خوارزم من شيوخ ابن التبرات. «كلنا» الرسل إلى القدر من صاحب
الصلابة رجل يقال له عبد الله بن بختيار الخروزي و«الروح» من جهة
السلطان حسن الرعي مولد بدير المرمري^{١٤} وكفى التركي دناوي
السلطاني وأما معهم على ما ذكرت. فسلمنا إليه الهدايا له لأمره
وإلا قد راحوه وفاداه وأدوية كان كتب إلى بدير بطلبها

٥ لخروزم من مدينة السلم بن الحسين^{١٥} لأصحب خروزم ليله حلت
من سر سنة تسع وثلاثمائة. فاقبنا بالهروان يوما واحدا ورجلنا
محمدين حتى وأبنا السكره فاقبنا بها ثلثة أيام. ثم رجلنا فاصدق
لا لأوى على شيء حتى سريا إلى حلوان فاقبنا بها يومين ورجلا منها
١٥ إلى فريسيين فاقبنا بها يومين. ثم رجلنا فريا حتى ورجلنا إلى صمدان
فاقبنا بها ثلثة أيام. ثم سريا حتى فقمنا سلو فاقبنا بها يومين
ومنها إلى الري فاقبنا بها أحد عشر يوما فشتغل أحمد بن علي أخا
مسلكه لا كان يحوار الري ثم رجلنا إلى خوار الري فاقبنا بها ثلثة أيام

٥. ثم رجلنا إلى سمنان ثم منها إلى الأهامان وفاقبنا بها إلى
١٥ ملون من قبل الأهامان فتكربا في القاطعة ورجلا عديدين حتى فقمنا
بساطور وقد قتل بلبي من صمان فاقبنا بها حويبه كراما صاحب جيش
خراسان ثم رجلنا إلى (1897) سرخس ثم منها إلى اردن ثم منها
إلى قندصار وهي على طرف مدارة آمل فاقبنا بها ثلثة أيام رجع
إلى المدن لاجل المدارة.

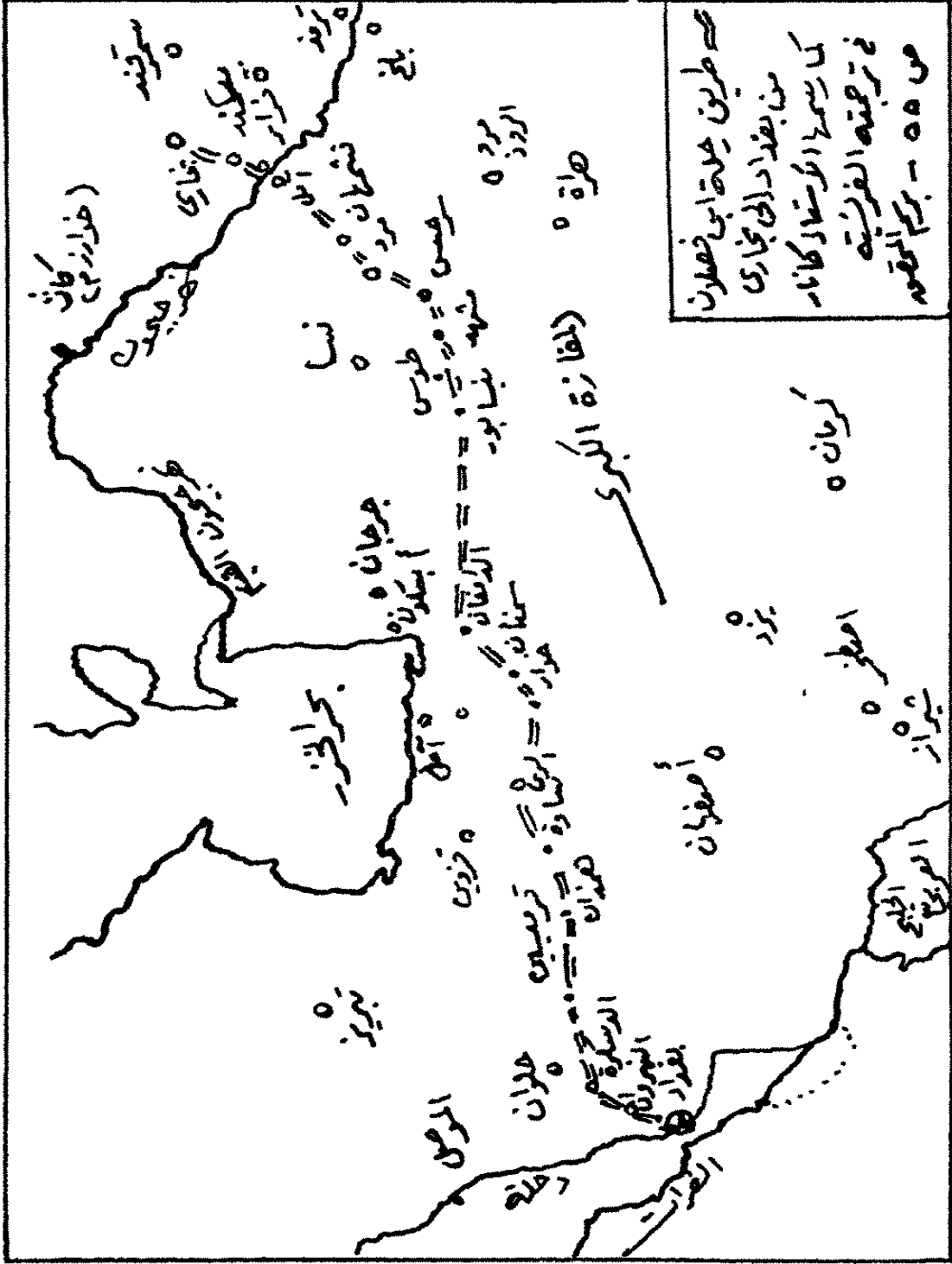
٥. ثم فقمنا الملقية إلى آمل ثم سريا جيمون ورجلا إلى الكرد
ربما طاهر بن علي ثم رجلنا إلى يكند. ثم فقمنا بخارا ورجلا إلى الميهاني
وهو كتب أمير خراسان وهو يفتني خراسان الشيخ السيد خندم

٥. ثم فقمنا الملقية إلى آمل ثم سريا جيمون ورجلا إلى الكرد
ربما طاهر بن علي ثم رجلنا إلى يكند. ثم فقمنا بخارا ورجلا إلى الميهاني
وهو كتب أمير خراسان وهو يفتني خراسان الشيخ السيد خندم

تخرج من طبعة أ. زكي وليد طرخان لرحلة ابن فضلان ، سنة ١٩٣٩ في المجلة الآلافية وهي وحدها التي صدرت بالخراف
المرية - (انظر ص ٦٨ - ٧٩ من طبعتنا صورناها عن باريس)

157

عن طريق خدمة ابي خضر
من بغداد الى تجاري
في ترجمه الفريته
ص ٥٥ - بسم الحق



== من بخاری إلى بلغار ==

هَذَا كِتَابُ

[٩٦]

أَحْمَدَ بْنَ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ إِشْدَ بْنِ حَمَّادٍ

مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ رَسُولِ الْمُقْتَدِرِ الْمَلِكِ الصَّقَالِبَةِ

بِذِكْرِ فِيهِ مَا شَهِدَ فِي بِلَادِ التُّرْكِ ، وَالْخَزَرِ ، وَالرُّوسِ ،

وَالصَّقَالِبَةِ ، وَالْبَاسْغَرِ ، وَغَيْرِهِمْ ؛ مِنْ اخْتِلافِ

[١٩٧]

مَذَاهِبِهِمْ ۥ وَأَخْبَارِ مَلُوكِهِمْ وَأُمُورِهِمْ

فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ

[فاتحة الكتاب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

قال أحمد بن فضل بن

لَمَّا وَصَلَ كِتَابُ^(١) الْمَشِ^(٢) بَنَ يَلْطَوَارَ مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ^(٣) إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِرِ^(٤) ، يَسْأَلُهُ فِيهِ الْبَعْثَةَ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ^(٥) ، وَيَعْرِفُهُ

(١) لم يقع الغربيون على كتاب ملك الصقالبة ، ولم يعرفوا فعواه ، والتواريخ العربية لم تشر إليه بشيء ، ولو وصل إلينا لكان وثيقة هامة في السياسة لذلك الزمان .

(٢) في الأصل بالخطوط هنا : « الحسن بن بطوار » - وفي الورقة ٢٠٢ ظ بعد قليل : « المش بن شلكي صهر الأتراك » - وفي ياقوت ١ / ٧٢٣ : « كتاب المس بن شلكي يلطوار » - وقد ناقش المستشرقون أصل هذا الاسم الذي صحف على الزمان ، فرأى بعضهم أنه المش بن يلطوار ، ورأى آخرون أن يلطوار ربما كانت فلاذير أي أمير فلاذ ، وللتفصيل انظر مادة « بلغار » في دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ، وقد اخترنا رواية المخطوطة في الموقع الثاني فجعلنا الاسم « المش ابن يلطوار » .
(٣) الصقالبة أو الصقلية ، هم السلاف أو السكلاف ، كان العرب يجلبون من بلادهم الرقيق ، وأرضهم فيما يرى الاصطخري (ص ٩ طبعة ليدن ١٩٢٧) عريضة طويلة نحواً من شهرين في مثلها ، وبلغار الخارجة هي مدينة صغيرة ليس فيها أعمال كثيرة ، واشتبارها لأنها فوضة لهذه الممالك . والروس يقوم بتأجبة بلغار ، فيما بينها وبين الصقالبة . وأما الغربيون فلم يستطيعوا تحديد مملكة الصقالبة ، ولكنهم يرون أن البلغار هم الصقالبة أنفسهم .

(٤) المقتدر بالله هو أبو الفضل جعفر ابن المتضد تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وقيل سنة ٣٢٠ هـ - انظر مصادر التاريخ عنه ، والفخري طبعة أوربة ، ص ٣٠٥ وما يليها ، وقال السعودي إن الجهبشاري ألف في المقتدر كتاباً نحو ألف ورقة .

(٥) يرى بعض المؤرخين أن الصقالبة دخلوا الإسلام قبل هذا ، ولكن شيخ الربوة ، في نخبه الدهر ط . ليتسك ١٩٢٣ ص ٢٦٣ ، يوافق ما جاء في رواية ابن فضال فيقول : « وأما البلغار فنسوبيون إلى الصقيع ، وهم مسلمون أسلموا أيام المقتدر ، وبعث ملكهم إلى المقتدر يطلب فقيهاً يعرفه قواعد الإسلام -

شرائع الإسلام ، ويبني له مسجداً ، وينصب له منبراً ليقم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته^(١) ، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له فأجيب^(٢) إلى ما سأل من ذلك .

وكان السفير له^(٣) نذير الحزمي^(٤) فندبتُ أنا^(٥) لقراءة الكتاب عليه وتسليم ما أهدى إليه ، والإشراف على الفقهاء والمعلمين^(٦) . وسبب له بالمال المحمول إليه ، لبناء ما ذكرناه وللجراية على الفقهاء والمعلمين ، على الضيعة المعروفة « بَارْتَحُشْمِثِينَ »^(٧) من أرض « خوارزم »^(٨) من ضياع ابن الفرات^(٩) .

— فأجابه إلى ذلك . ثم وصل جماعة من البنار إلى بغداد يريدون الحج ... — وفي ياقوت ٧٢٣ / ١ يذكر اسلامهم في عهد المقتدر ويقول إنه لم يقف على السبب في اسلامهم .

(١) في ياقوت ٧٢٣ / ١ : « في جميع بلده وأقطار مملكته » .

(٢) في الأصل المخطوط : « أجيب إلى » بغير فاء المطف ، وفي ياقوت ٧٢٣ / ١ : « فأجيب إلى ذلك » ولهذا أضفنا الفاء .

(٣) في الأصل : « وكان السفير فيه » — وفي ياقوت ، بالصفحة المذكورة : « وكان السفير له » فأخذنا برواية ياقوت .

(٤) في ياقوت : « نذير الحزمي » بالراء المعجمة ، وفي ابن تفردي بردي ط . أوربة ٢ / ١٨٤ : « نذير الحزمي » بالراء المهملة — انظر ابن جرير الطبري طبعة مصر ١٢ / ٣٠ وقد جاءت في بعض المصادر الحزمي بالحاء المعجمة .

(٥) في الأصل : « فندبتُ أنا » ولا معنى لها : فلعلها : « فندبت أنا » — وفي ياقوت : « فبدأت أنا بقراءة » ولكنها لا تفي بما يريد الكاتب ، والمستشرقون يقترحون صوراً كثيرة ، لا نرى اثباتها هنا .

(٦) يضيف ياقوت هنا ١ / ٦٨٨ : « ليفيض عليهم الخلع ويعطهم الشرائع الاسلامية » وهي من عند ياقوت بغير شك .

(٧) في الأصل : « بَارْتَحُشْمِثِينَ » وهي مصحفة . وصوابها كما في ياقوت ١ / ١٩١ : « أَرْتَحُشْمِثِينَ » بالفتح ثم السكون وثناء مفتوحة ، وثناء معجمة مضمومة وشين ساكنة معجمة وميم مكسورة وثناء مفتوحة ونون : — مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ، في قدر نصيبين ، وهي من أعمال خوارزم من أعاليها ، بينها وبين الجرجانية مدينة خوارزم ثلاثة أيام ، فيها برد شديد . ولعلها أصبحت مدينة في عهد ياقوت ، بعد ثلاثة قرون ، وقد زارها بنفسه ، ويرى المستشرق فراي أنها : « Artahusmitan » .

(٨) انظر في خوارزم معجم ياقوت ٢ / ٨١٤ ، وخوار مناهل اللحم ورزم مناهل الخبز .

(٩) ابن الفرات هو أبو الحسن علي بن الفرات ، من أجل الناس وأعظمهم كرمًا لزمانه ، كان وزيراً —

وكان الرسول إلى المقتدر من صاحب الصقالبة رجل يقال له عبدالله ابن باشتو الخزري^(١) . والرسول من جهة السلطان سوسن الرسي^(٢) مولى نذير الحربي ، وتكين التركي ، وبارس الصقلابي^(٣) وأنا معهم — على ما ذكرت — فسلمتُ إليه الهدايا ، له ولامرأته ولأولاده ، وإخوته ، وقواده^(٤) ، وأدوية كان كتب إلى « نذير » يطلبها .

— للمقتدر خلال الفتنة بينه وبين ابن المعتز ، ثم قبض عليه المقتدر ، وصادر ضياعه ، وهذه بينها ، فجعلها هنا جارية

للبعثة — انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري ، طبعة مصر ١٢٠٦ هـ ، والفخري طبعة أوربة ص ٣١٤ .

(١) في الأصل : « باشتوا » ولم نقف على ترجمة له .

(٢) في الأصل : « سوسن الروسي » — وفي المصادر : « الرسي » ، ولعله حاجب المكتفى ، سمي نسبة إلى نهر الرس ، وهو عند الإدريسي نهرا تل أي الفولغا عند الروس .

(٣) هو بارس الحاجب غلام اسماعيل بن أحمد صاحب خراسان ، جاء ذكره في ابن حوقل ٢ / ٤٧١ قال إنه هرب من مولاة أحمد بن اسماعيل ، فنزل العراق بمدة هالت السلطان ، والخليفة إذ ذاك المقتدر ، فلم يكن بمحضرة السلطان جيش مثله يوازيه — انظر كذلك تجارب الأمم ٥ / ٤ .

(٤) سنرى فيما بعد أنه ذكر تسليم الهدايا من الطيب والثياب والأؤلؤ ، ولم يذكر الأدوية . وهو هنا يروى في البدء ما فعله خلال الرحلة ، فقد كتب تقريره هذا أو رسالته بعد عودته من مهمته وقيامه بما كلف به .

[العجم والأتراك]

فرحلنا من « مدينة السلام » يومَ الخميس لاحدى عشرة ليلة [في]فا
 خلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة^(١). فأقمنا « بالنهروان »^(٢) يوماً واحداً
 ورحلنا مُجَدِّين حتى وافينا « الدَّسْكَرَة »^(٣) فأقمنا بها ثلاثة أيَّام .
 ثم رحلنا قاصدين لا نلوي^(٤) على شيء حتى صرنا إلى « حلوان »^(٥) فأقمنا
 بها يومين .

وَسِرْنَا منها إلى « قَرْمِيسِينَ »^(٦) فأقمنا بها يومين . ثم رحلنا
 فسرنا حتى وصلنا إلى « همدان »^(٧) فأقمنا بها ثلاثة أيام .

-
- (١) ذكرنا في المقدمة أن هذا التاريخ يوافق ٢١ حزيران (يونية) ٩٢١ .
 (٢) النهروان : أكثر مايجري على الألسنة في ضبطها بكسر النون ، وهي كورة واسعة بين بغداد
 وواسط من الجانب الشرقي ، كما في ياقوت ٨٤٦ / ٤ .
 (٣) الدسكرة ، في ياقوت ٥٧٥ / ٢ ، قرية كبيرة بنواحي نهر الملك من غربي بغداد .
 (٤) في مخطوطتنا : « لانكون على شيء » ولعل صوابها : « لا نلوي على شيء » وقد كرر هذا التعبير فيما
 بعد مرة أخرى .
 (٥) حلوان : (بالفم ثم السكون) - حلوان العراق ، في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ،
 كما في ياقوت ٣١٧ / ٢ .
 (٦) قَرْمِيسِينَ : (بالفتح ثم السكون) - تمريب كرمان شاه ، بلد معروف بينه وبين همدان ثلاثون
 فرسخاً ، قرب الدينور ، وهي بين همدان وحلوان ، على طريق الحاج ، نزهة عذبة الماء ، كما في
 ياقوت ٦٩ / ٤ ، فابن فضلان كان يسلك طريق الحاج .
 (٧) همدان : مدينة بالجليل . وصفها ياقوت ٩٨١ / ٤ ، وتحدث عن بردها الشديد في حكايات طويلة .

ثم سِرْنَا حَتَّى قَدَمْنَا « سَاوَة » ^(١) فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَيْنِ ؛ وَمِنْهَا إِلَى « الرِّيِّ » ^(٢) ، فَأَقَمْنَا بِهَا أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا ، نَتَنَظَّرُ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَا صَعْلُوكَ ^(٣) لِأَنَّهُ كَانَ « بِخُورِ الرِّيِّ » ^(٤) .

ثُمَّ رَحَلْنَا إِلَى « خُورِ الرِّيِّ » فَأَقَمْنَا بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . ثُمَّ رَحَلْنَا إِلَى « سَمْنَانَ » ^(٥) . ثُمَّ مِنْهَا إِلَى « الدَّامَغَانَ » ^(٦) ، وَصَادَفْنَا بِهَا « ابْنَ قَارِنَ » ^(٧) مِنْ قَبْلِ « الدَّاعِي » ^(٨) ، فَتَنَكَّرْنَا فِي الْقَافِلَةِ ، وَسَرْنَا مُجِدِّينَ حَتَّى

-
- (١) ساوَة : ذكرها ياقوت ٣ / ٢٤ ، وقال أنها مدينة حسنة بين الريّ وهمدان ، في وسط ؛ بينها وبين كل واحد من همدان والريّ ثلاثون فرسخاً
- (٢) الريّ : ذكرها ياقوت ٢ / ٨٩٢ ، وقال أنها قسبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً ، وهي من أعلام المدن ، محطّ الحاج على طريق السابلة ، قرب « طهران » الحالية .
- (٣) جاء في التواريخ أنه أحمد بن علي صعلوك ، قلد أعمال الماعون بأصبهان وقم ، وكان يلي الريّ ، انظر تجارب الأمم ٥ / ٥٠ وصلة عريب ٢٧ ، وابن جرير الطبري ١٢ / ٢٧ .
- (٤) خوار : بضم أوله - ذكرها ياقوت ٢ / ٤٧٩ ، وقال أنها مدينة كبيرة من أعمال الريّ ، بينها وبين سمنان للقاصد إلى خراسان ، بينها وبين الري نحو عشرين فرسخاً .
- (٥) سمنان : بكسر السين عند أهل الحديث ، ذكرها ياقوت ٣ / ١٤١ ، وقال أنها بلدة بين الري ودامغان وبعضهم يجعلها من قومس ، كثيرة الأشجار والأنهار والبساتين .
- (٦) دَامَغَانَ : بفتح الميم والغين ، ذكرها ياقوت ٢ / ٥٣٩ ، وقال أنها بلد كبير بين الريّ وقومس ، كثيرة الفواكه - انظر كذلك ابن حوقل ٢ / ٣٨٠ .
- (٧) في الأصل : « ابن قارق » باللفاف في آخره ، وقد ذكر المؤرخون أحد أجداده وهو المازيار بن قارن ، وهو هنا الميأس بن قارن - انظر ياقوت ٣ / ٢٨٣ ، والطبري ٣ / ١٥٧٥ طبعة أوربة .
- (٨) هو الحسن بن القاسم الحسني الداعي ، ذكرته المصادر لأهميته ، ومنها مروج الذهب ، طبعة باريس ٦ / ٩ ، وابن الأثير ط المنيرة ٦ / ١٤٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، وتجارب الأمم ٥ / ٣٦ ، وزامباور بالترجمة العربية ٢ / ٢٩٣ .

قَدِمْنَا « نيسابور »^(١) ، وقد قُتِلَ « لَيْلَى بنُ نُعْمَانَ »^(٢) فَأَصَبْنَا بِهَا
« حَمَوِيَّة كُوسَا »^(٣) صَاحِبَ جَيْشِ خِرَاسَانَ .

ثُمَّ رَحَلْنَا إِلَى « سَرخَس »^(٤) ثُمَّ مِنْهَا إِلَى « مَرُو »^(٥) ثُمَّ مِنْهَا إِلَى [١]
« قَشْمِهَانَ »^(٦) وَهِيَ طَرَفُ مَفَازَةِ « آمَل »^(٧) فَأَقَمْنَا بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،
نُرِيحُ الْجَمَالَ لِدُخُولِ الْمَفَازَةِ .

(١) نيسابور : بفتح النون ، مشهورة ، ذكرها ياقوت ٨٥٧ / ٤ ، وقال أنها مدينة عظيمة ، بينها وبين الري ١٦٠ فرسخاً .

(٢) قتل ليلي بن النعمان قبل قليل ، فقد جاء في تجارب الأمم ٧٦ / ٥ ، لحوادث سنة ٣٠٩ هـ : « وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلي بن النعمان القديلي الذي خرج بطبرستان » ، وقد كان ليلي أحد قواد أولاد الأطروش العلوي ، وكانت إليه ولاية جرجان ، استعمله عليها الحسن بن القاسم الداعي سنة ٣٠٨ هـ ، كما في ابن الأثير ١٦٧ / ٦ ط المنيرة .

(٣) حمويه بن علي ، ذكرته التواريخ في أكثر من مكان ، وقد حكم سمرقند سنة ٣٠١ هـ ، كما في ابن الأثير ١٤٥ / ٦ ، وفي المقدسي ط أوربة ص ٣٣٧ ، أنه كان صاحب جيش نصر بن أحمد بن إسماعيل وفي ابن الأثير بعد ذلك ١٤٩ / ٦ : « فتوجه إليها من بخارى حمويه بن علي في عسكر ضخم لحاربها » .

(٤) سَرخَس : بفتح أوله وسكون ثابته وفتح الحاء ، ويقال بالتحريك - ذكرها ياقوت ٧١ / ٣ ، فقال أنها مدينة قديمة من نواحي خراسان ، كبيرة بين نيسابور و مرو ، في وسط الطريق ، بينها وبين كل واحدة منها ست مراحل .

(٥) مرو : مشهورة ، ذكرها ياقوت ٥٠٧ / ٤ وقال أنها أشهر مدن خراسان ، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً ، ومنها إلى سرخس ثلاثون .

(٦) قشمان : لم تقع عليها في ياقوت بهذا الضبط ، ولعلها : « كشميين » كما ضبطها أبو الغداء في تقويم البلدان ص ٤٤٦ فقال : « ومن بلاد خراسان كشميين ، قال المهلب وهي قرية من أعمال مرو الشامجان على خمسة فراسخ منها على طرف المفازة » وضبطها ياقوت ٢٧٨ / ٤ فقال : « بالضم ثم السكون وفتح الميم وباء ساكنة وهاء مفتوحة ونون » كشميين ، قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية آخر عمل مرو لمن يريد قصد آمل » فالفرق بينها هو الباء بعد الهاء .

(٧) آمل : بضم الميم واللام - ذكرها ياقوت ٦٩ / ١ فقال إنها مشهورة ، في غربي جيحون على طريق القاصد إلى بخارى من مرو ، بينها وبين شاطيء جيحون نحو ميل . ويقال لها آمل المفازة ، لأن بينها وبين مرو ومالاً صبة المسلك ، ومفازة أشبه بالمهلك - انظر ابن حوقل ٣٨١ / ٢ حيث يقول إن آمل أكبر مدن طبرستان ، وهي مستقر ولايتها ، وهي أكبر من قزوين .

ثم قطعنا المفازة إلى آمل ، ثم عبرنا « جَيِّحُونَ » وصرنا إلى آفرير^(١)
رباط طاهر بن عليّ .

٣

[ثم رحلنا إلى « ييكند »^(٢) . ثم دخلنا « بُخارا »^(٣) ، وصرنا إلى الجيهاني^(٤)
وهو كاتب أمير خراسان ، وهو يدعى بخراسان الشيخ العميد ، فتقدم
بأخذ دار لنا ، وأقام لنا رجلاً يقضي حوائجنا ويزيح عللنا^(٥) في كل
ما نريد ، فأقمنا أيّاماً .

(١) في الأصل : « آفرين » هكذا ، ولم تقع عليها بهذا الاسم ، ولعلها « آفرير » تقع على مقربة من نهر جيحون بعد آمل ، كما في كتاب بلدان الخلافة الشرقية تأليف استرنج ، في الخريطة مقابل صفحة ٤٧٦ من الترجمة العربية . وقد حار المستشرقون قبلنا في ضبطها وفي مكانها ، فاقترح المستشرق « فراي » أن تكون « آفريبار » ، ورأى غيره أن تكون « آفرندين » - وفي ابن حوقل ٣٨٤ / ٢ : من الري إلى آفرينين مرحلة .

(٢) ييكند : بالكسر وفتح الكاف وسكون النون - ذكرها ياقوت ٧٩٧ / ١ وقال : إنها بلدة بين بخارا

وجيحون على مرحلة من بخارا ، كانت كبيرة ، وبها رباطات كثيرة نحو ألف ، خربت منذ زمان .

(٣) بخارا : من أعظم المدن ، ذكرها ياقوت ٥٧١ / ١ ، قال انه يُعبر إليها من آمل الشط ، بينها وبين

جيحون يومان وكانت قاعدة ملك السامانية بينها وبين سمرقند سبعة أيام . بينها وبين مرو ١٢ مرحلة .

وهي اليوم من أشهر المدن في أوzbekستان من الولايات السوفيتية .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني ، ذكره ابن العديم في كتابه بشية الطلب المخطوط ، ٢١ / ١ قال :

« هو وزير صاحب خراسان ، كان له كتاب المسالك والممالك ضاع ، وقام مكانه كتاب البلدان لابن

الغضائري الحمذاني كما يقول ابن النديم سلخه من كتابه » - وذكره غيره ، فانظر في احسن التقاسيم

للمقدسي ٣٣٧ ، وفي ابن الأثير ط أوردية ٢٨٣ / ٨ ، وفي ياقوت ارشاد الأريب ٥٩ / ٢ ، وذكره

بروكلمن ٢٢٨ / ١ والذيل ٤٠٧ / ١ وقال انه أحمد بن محمد ، وزير في بخارى ٢٧٩ هـ - ٢٩٥ هـ ،

لنصر بن أحمد الساماني .

(٥) أزاح العلة : تقال خاصة في الجنود الذين يحتاجون الى أمر فتقضي حاجاتهم .

ثم أَسْتَأْذِنَ لَنَا عَلَى نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ^(١) فَدْخَلْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ غَلَامٌ أَمْرَدٌ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ بِالْأَمْرَةِ ، وَأَمَرْنَا بِالْجُلُوسِ . فَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأْنَا بِهِ أَنْ قَالَ : « كَيْفَ خَلَقْتُمْ مَوْلَايَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَسَلَامَتَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِتْيَانِهِ وَأَوْلِيَائِهِ - » فَقُلْنَا : « بِخَيْرٍ » ، قَالَ : « زَادَهُ اللَّهُ خَيْرًا » .

ثُمَّ قُرِئَ الْكِتَابُ عَلَيْهِ بِتَسْلِيمٍ^(٢) « أَرْغَضْتُمْنِي » مِنَ الْفَضْلِ بْنِ مُوسَى النَّصْرَانِيِّ وَكَيْلِ ابْنِ الْفُرَاتِ ، وَتَسْلِيمَهَا إِلَى أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْخَوَارِزْمِيِّ ، وَانْقِاذَنَا ، وَالْكِتَابِ إِلَى صَاحِبِهِ بِخَوَارِزْمٍ بِتَرْكِ^(٣) الْعَرْضِ لَنَا ، وَالْكِتَابِ بِيَابِ التُّرْكِ بِبَذَرَقْتَنَا^(٤) وَتَرْكِ الْعَرْضِ لَنَا .

فَقَالَ : « وَأَيْنَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى ؟ » فَقُلْنَا : « خَلَفْنَاهُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ لِيُخْرِجَ خَلْفَنَا لَخَمْسَةِ أَيَّامٍ » . فَقَالَ : « سَمِعًا وَطَاعَةً لِمَا أَمَرَ بِهِ مَوْلَايَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - » .

(١) نصر بن أحمد بن نصر الساماني ، أحد الملوك المشهورين في السامانية وهو صاحب خراسان - كان في الثامنة من عمره حين قتل أبوه ، حكم من سنة ٣٠١ - ٣٣١ هـ .

(٢) في الأصل : « بتسليم » ولعلها كما رسمنا .

(٣) في الأصل : « يترك » - والعرض : كل شيء سوى الدرهم والدنانير من الماع .

(٤) بذركة : اتخاذ الدليل أو الحراس ، كما في تكملة معجم العرب لدوزي ، ١/٦٠ ، وهنا يعني أن تحرس البعثة بجنود يحمونها وهي « Escorte » بالانجليزية ، وفي شرح القاموس أن بذركة تكون بالذال المعجمة والمهمله معاً ، وأنها مركبة من بد ، وراه والمعنى الطريق الرديء ، فارسية معربة .

قال :

وَأَتَصِلُ الْخَبِيرُ بِالْفَضْلِ بْنِ مُوسَى النَّصْرَانِيَّ وَكَيْلِ ابْنِ الْفُرَاتِ ،
فَأَعْمَلُ الْحِيلَةَ فِي أَمْرِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُحَمَّالِ الْمُعَاوِنِ^(١)
بِطَرِيقِ خُرَاسَانَ مِنْ جُنْدِ سَرْخَسِ إِلَى يَكْنَدَ : « أَنْ أَذْكُوا الْعِيُونَ عَلَى
أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْخَوَارِزْمِيِّ فِي الْخَنَائِنَاتِ وَالْمَرَاصِدِ^(٢) وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ صِفَتِهِ
وَنَعْتِهِ ، فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَلْيَعْتَقِلْهُ^(٣) إِلَى أَنْ يَرَدَّ عَلَيْهِ كِتَابُنَا بِالْمَسْئَلَةِ » .
فَأَخِذَ بَمَرَوْ وَأَعْتَقَلَ .

وَأَقْمَنَّا نَحْنُ بِيُخَارَا ثَمَانِيَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا . وَقَدْ كَانَ الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى
أَيْضًا وَاطِّاعًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ بَاشْتُو وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا يَقُولُونَ : « إِنَّ
أَقْمَنَّا هَجَمَ الشُّتَاءُ وَفَاتِنَا الدُّخُولُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُوسَى إِذَا وَافَانَا^(٤)
لَحِقَ بِنَا » .

(١) عامل المعاوين ، أو صاحب المعاوين أو عامل المعونة ، وهو فائد الشرطة أو الأمن ، كما في تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ١٩٢ .

(٢) المرصد : مركز جنود الجمارك والحراس للحدود على الدروب والأمن ، كما في معجم دوزي ١ / ٣٣٥ والراصد هو الجندي المكلف بحراسة الحدود وأمن الطرق وسؤال المسافرين - وأذكر على الرجل العيون : أرسل عليه الطلائع .

(٣) في الأصل : « فليعتقه » - ولعلها « فليعتقه » بتقديم القاف على اللام ، كما يرد بعد كلمات ، حيث يقول : « واعتقل » .

(٤) في الأصل : « ووافانا » وهي خطأ من الناسخ ، وصوابها « وافانا » .

قال :

ورأيتُ الدرهم يُبخارا^(١) أَلوانًا شَتَّى . منها دراهمُ يقالُ لها
 الغطريفية^(٢) : وهي نحاسٌ وشبهه^(٣) وصفر ، يُوخذ منها عدد بلا وزن ،
 مائةٌ منها || بدرهم فضّة . وإذا شروطهم في مهور نسائهم : تَزَوَّجَ [٩٨
 فُلانُ ابْنُ فُلانٍ فُلانةَ بنتَ فُلانٍ على كذا وكذا ألف درهم غطريفية .
 وكذلك أيضاً شراء عقارهم وشراء عبيدهم ، لا يذكرون غيرها مِنَ الدَّرَاهِمِ .
 ولهم درهم آخر^(٤) صفر وحده ؛ أربعون^(٥) منها بدائق . ولهم أيضاً درهم
 صفر يقال لها السمرقندية ستة منها بدائق .

* * *

(١) تحدث ياقوت عن الدرهم ببخارا كذلك فقال ١ / ٥١٩ : « وكانت معاملة أهل بخارا في أيام السامانية بالدرهم . ولا يتعاملون بالدنانير فيما بينهم . فكان الذهب كالسلع والعروض . وكان لهم درهم يسمونها الغطريفية من حديد وصفر وآنك ، وغير ذلك من جواهر مختلفة ، وقد ركت ، فلا تجوز هذه الدرهم إلا في بخارا ونواحيا وحدها » - انظر الحضارة الاسلامية لمتز ، بالعريضة . ٢ / ٣١٧ ، والاصطخري ٣١٤ ، ٣٢٣ .

(٢) الدرهم الغطريفية أو القطارفة ، وهي درهم كانت معتبرة جداً في بخارا ، ضربها غطريف بن عطاء عامل خراسان لعبد الرشيد . والدرهم يساوي ستة دوائق ، والدائق يساوي اثني عشر قيراطاً - انظر تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ٢١٦ ، والمصادر السابقة المذكورة .

(٣) الشَّبه : محرّكة ، النحاس الأصفر كالشبه بكسر الشين وسكون الباء ، والصفر مثلها .

(٤) في الأصل « درهم أخذ » وهي مصحفة عن كلمة « درهم آخر » واستعمل التعبير نفسه ياقوت ١ / ٥٠٩ . في الكلام عن بخارا ولعل الجملة تستقيم حين يقول « من الصفر وحده » على شكل أجمل ولي طبعه وليدي : « وحده أربعين » .

(٥) في الأصل : « أربعين منها » ولعلها خطأ من الناسخ .

٤

فلما سمعتُ كلام عبد الله بن باشتو وكلام غيره يُحذِرُونِي^(١) مِنْ رزم [هجوم الشتاء ، رحلنا مِنْ « بُخارا » راجعين إلى النهر ، فتكارينا^(٢) سفينةً إلى « خَوَارِزَم » ، والمسافة إليها من الموضع الذي أكترينا منه السفينة أكثر من مائتي فرسخٍ ، فَكُنَّا نسير بعض النهار ، ولا يَسْتَوِي لَنَا سَيْرُهُ كُلُّهُ مِنَ البرد وشدته ، إلى أَنْ قدمنا « خَوَارِزَم » . فدخلنا على أميرها « محمد بن عراق خوارزم شاه »^(٣) ، فَأَكْرَمَنَا وقربنا وأنزلنا داراً .

فلما كان بعد ثلاثة أيام أحضرنا ، وناظرنا في الدخول إلى بلد التُّرْكِ ، وقال : « لَا آذَنُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا يَحِلُّ إِلَيَّ تَرَكُّكُمْ تُغَرِّزُونَ بدمائكم . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا حِيلَةٌ أَوْقَعَهَا هَذَا الْفَلَامُ ، - يَعْنِي تَكِينَ - لَأَنَّهُ كَانَ عِنْدَنَا حَدَادًا وَقَدْ وَقَفَ عَلَى يَسِّعِ الْحَدِيدِ يَبْلَدُ

(١) في الأصل : « يحذروني » .

(٢) أكثرى الشيء أكثرًا وتكراه تكرارًا : استأجره .

(٣) محمد بن عراق أمير خوارزم ، انظر في شأنه ، كتاب الانساب لزامباور ١٩٢٧ ، ص ٢٠٨ ، وتاريخ خوارزم لسخاو ، والبيروني ص ٢٤١ .

الكفار^(١) ، وهو الذي غرَّ « نذيرآ » وحمله على كلام أمير المؤمنين ، وإيصال كتاب ملك الصقالبة إليه . والأمير الأجل - يعني أمير خراسان - كان أحق بإقامة الدعوة للأمير المؤمنين في ذلك البلد لو وجد محيصاً^(٢) . ومن بعد ، فبينكم وبين هذا البلد الذي تذكرون ألف قبيلة من الكفار . وهذا تمويه على السلطان ، وقد نصحتكم . ولا بد من الكتاب ، إلى الأمير^(٣) الأجل حتى يراجع السلطان - أيده الله - في المكاتبة ، وتقيمون أنتم إلى وقت يعود الجواب .

فانصرفنا عنه ذلك اليوم ، ثم عاودناه ، ولم نزل نرفق به ونُدَّاريه ، ونقول : « هذا أمر أمير المؤمنين وكتابه ، فما وجه المراجعة فيه ؟ » حتى أذن لنا ، فأنحدرنا من خوارزم^(٤) إلى « الجرجانية » وبينها وبين « خوارزم » في الماء خمسون فرسخاً .

(١) وهذا برهان جديد على أن الأتراك كانوا يسمون الصقالبة كفاراً قبل أن يذهب اليهم ابن فضلان واصحابه .

(٢) المحيص : في الأصل ، المهرب ، يقال حاص عن الشر يحيص حبصاً ومحيصاً ، عدل وحاد عنه ، والمحيص : المحيد ، وفي القرآن الكريم : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » .

(٣) في الأصل : « أمير الأجل » فأضفنا التعريف على الأمير تصويباً .

(٤) يقول ياقوت ٢ / ٤٨٠ ان خوارزم ليس اسماً للمدينة انما هو اسم للناحية يجملتها ، فأما القصة العظمى

فقد يقال لها اليوم الجرجانية ، وأهلها يسمونها كركانج . ويقول ياقوت في الجرجانية ٢ / ٥٤ انها مدينة عظيمة على شاطئ جيجون ، وهي كركانج فمرت إلى الجرجانية ، وقد رآها ياقوت سنة ٥٦١٦ هـ ، فوصف بردها الشديد ، وقال انه يسكنها قوم من الأتراك والتركمان لأيامه ويجدر أن ننه إلى أن ياقوت بدأ ينقل هنا عن ابن فضلان حرفاً حرفاً .

وَرَأَيْتُ دِرْهَمَ خُوارِزَمٍ مُزَيَّفَةً^(١) ، وَرِصَاصًا^(٢) وَزِيُوفًا^(٣) ، وَصَفْرًا^(٤) .
وَيَسْمُونَ الدَّرْهَمَ « طازجة »^(٥) ، وَوزنه أربعة دوانيق^(٦) ونصف .
وَالصَّيْرَفِيُّ مِنْهُمْ يَبِيعُ الْكُمَابَ^(٧) ، وَالِدَوَامَاتِ ، وَالْدِرْهَمَ .

[١] ظ و هم أوحش الناس || كلاماً وطبعاً ، كلامهم أشبه شيء بصياح
الزراير^(٨) . وبها قرية على يوم يقال لها « أردكو »^(٩) أهلها يقال
لهم « الكردلية » ؛ كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع . وهم يتبرءون
من أمير المؤمنين « عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » - رضي الله عنه - في دبر^(١٠)
كل صلاة .

* * *

- (١) في الأصل : « مزيفة وريصاص وزيوف وصفر » - وفي ياقوت ٢ / ٤٨٤ : « مزيفة وريصاصاً وزيوفاً وصفراً » فرأينا أنها من خطأ الناسخ في العربية فصوبناه .
(٢) الزائف : هو الدرهم الرديء والمردود لنفس فيه ، جمه زيوف . وكان للعملة الزائفة ثمنها المحدد جباراً ، وتسمى المزيفة ، لأن الفضة تذاب مع الزئبق - انظر كلمة « زبق » عند الجوهري ، والحضارة الإسلامية لمتز ٢ / ٣١٩ ، ومجلة JRAS ، مقال آمدرود سنة ١٩٠٦ ص ٤٧٩ .
(٣) طازجة : النقية الخالصة ، وهي معرب قازة ، كما في المعرب للجواليقي ٢٢٩ .
(٤) في الأصل : « أربع دوانيق » وهو ضخم من الناسخ صوبناه .
(٥) الكماب : جمع كمب وهو الدائق الصغير كما في معجم دوزي ١ / ٤٧٨ ومعجم Lane .
(٦) انقص ياقوت حين النقل هذه الجملة كما يحدث عادة عند النسخ ، فجاء عنده أن كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع ، وهو يأتي بعد سطر واحد - وأما التشبيه بصياح الزراير ، فقد بدأ شبه النابغة الشيباني صوت المعجم بتلك فقال (ديوانه طبعة دار الكتب ١٩٣٢ بمصر ص ٥٣) :
أصوات عجم إذا قاموا بقربتهم كما تصوت في الصبح الخطاطيف

(٧) لم نقف على موقع القرية أو اسم أهلها في المصادر ، فلملها مصحفتان .

(٨) دبر : عقب كل صلاة .

٥

فأقمنا « بِالْجُرْجَانِيَّةِ » أياماً ، وجد « نهر جيحون » من أوله إلى آخره . وكان سمك الجَمَد سبعة عشر شبراً^(١) ، وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق . وهو ثابت لا يتخلخل . فأقام على ذلك ثلاثة أشهر .

فراينا بلداً ما ظننا إلاَّ أنَّ باباً من الزَّمَّهَرِيرِ قَدْ فُتِحَ عَلَيْنَا مِنْهُ ، ولا يسقط فيه الثلج إلاَّ ومعه ريح عاصف شديدة^(٢) . وإذا أتحف الرجل مِنْ أَهْلِهِ صَاحِبَهُ ، وأراد برَّه قال له : « تعال إِلَيَّ حَتَّى نَتَحَدَّثَ »^(٣) فَإِنَّ عِنْدِي نَاراً طَيِّبَةً . هذا إذا بالغ^(٤) في برِّه وَصَلَّتِهِ . إلاَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ لَطَفَ بِهِمْ فِي أَلْخَطْبِ وَأَرْخَصَهُ عَلَيْهِمْ : حمل عجلة من حطب الطاغ^(٥)

(١) وصف ياقوت نهر جيحون ٤ / ١٧١ ، وذكر نجمده فقال : « حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار » . ولذلك كذب ابن فضال هنا وقال : ٢ / ٨٤ « وهذا كذب منه فان أكثر ما يجمد خمسة أشبار ، وهذا يكون نادراً ، فأما المادة فهو شبران أو ثلاثة . شاهدته وسألت عنه أهل تلك البلاد - والمجيب ان السمك عند ابن فضال هنا هو « سبعة عشر شبراً » وينقل ياقوت فيقول : « تسعة عشر شبراً » .
(٢) ويعلق ياقوت على هذا الكلام كذلك فيقول ٢ / ٨٥ : « قات : وهذا أيضاً كذب ، فانه لولا ركود الهواء في الشتاء في بلادهم لما عاش فيها احد » .

(٣) في الأصل المخطوط : « حتى يتحدث » وصوابها مارسنا .

(٤) في الأصل : « بلغ في بره » ولعل صوابها ما وضعناه .

(٥) فسر ياقوت الكلمة فقال : « الطاغ وهو الغضا » ، وهي تركية مرّبة ، ولكن ياقوت بضيف ٢ / ٨٥ « قات : وهذا أيضاً كذب ، لأن العجلة أكثر ما تجرّ عليها ما اختبرته وحملت قاشاً لي عليه ألف رطل »

بدرهمين من دراهمهم^(١) تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل .

ورسم سؤالهم أن لا يَقِفَ السائل على الباب ، بل يدخل إلى دار^(٢) الواحد منهم فيقعد ساعةً عند ناره يَصْطَلِي ، ثم يقول : « يكند » يعني الخبز^(٣) . [فَإِنْ أَعْطَوْهُ شَيْئًا أَخَذَ وَإِلَّا خَرَجَ]^(٤) .

* * *

وتطاول مقامنا « بالجرجانية » ، وذاك أنا أقمنا بها أياماً من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال . وكان طول مقامنا من جهة^(٥) البرد وشدته . ولقد بلغني أن [رجلين ساقا]^(٦) اثني عشر جلاً ليحملا عليها حطباً من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قداحة وحُرَاقَة^(٧) ، وأنهما باتا بغير نار ، فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد .

(١) في الأصل : « من دارم » وصوابها كما في ولدي : « من دراهمهم » .

(٢) في مخطوطتنا : « الدار الواحد » فصوبنا ما أفسده الناسخ .

(٣) يعاق ياقوت كذلك فيقول : « قلتُ أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه في الرستاق دون المدينة ، شاهدتُ ذلك » - ثم يختصر ياقوت ما عند ابن فضال من وصف البرد ، وقال إنه نفسه أراد أن يكتب هناك فجعد المداد ، ووضع الشربة على شفتيه فالتصقت لجمودها - انظر ص ٩٩ حيث يقول أن « يكند » بلغة خوارزم .

(٤) هذه الزيادة من ياقوت لتام العبارة والسياق .

(٥) في مخطوطتنا : « من جهت » بالتاء المفتوحة ، ذكرناها لتصور ضعف النسخ وسوء إلامه بالعربية .

(٦) في مخطوطتنا : « يافني أن اثنا عشر جلاً » ولا معنى لها ، فأضفنا ما بين المعقوفتين تنمة للسياق وصححنا العدد .

(٧) الحُرَاقَة : بالفم - ما يقع فيه السقط عند القدح من خرقة أو نسيج أو نحوهما ، والنبيج أصول البردي إذا جف ، وهي ، كالحُرَاق - والفداحة : حجر القدح ، وقيل الحديدية التي يقدح بها .

ولقد رأيتُ لهواء بردها^(١) بأن السوق بها والشوارع لتخلو^(٢) حتى يطوف الإنسان أكثر الشوارع والأسواق ، فلا يجدُ أحداً ولا يستقبله إنسان . ولقد كنت أخرجُ من الحمام ، فإذا دخلت إلى البيت نظرتُ إلى لحيتي وهي قطعةٌ واحدة من الثلج حتى كنت أدنيها^(٣) إلى النار .

ولقد كنت أنام^(٤) في بيت جوف^(٥) بيتٍ ، وفيه قبة لبود^(٦) تركية وأنا مدترّ بالأكسية والفرى^(٧) ، فربّما التصق خدّي على المخدة .

ولقد رأيتُ || الجبابَ بها تكسى البوستينات^(٨) من جلود الغنم لثلاً^(٩) تتشقق وتنكسر ، فلا يُغني ذلك شيئاً .

(١) اقترح احد المستشرقين هنا رواية : « رأيت لاهراهما » ولا نرى رأيه .

(٢) في مخطوطتنا : « ليخلوا » أثبتناها صورة لاملاء الناسخ وخطه ، ومثاها كثير .

(٣) في طبعة وليدي : « كنت أذيبها » ولا تستقيم به العبارة .

(٤) في الأصل : « ولقد كنت أيام » وقد جعلها وليدي في طبعته كذلك .

(٥) الجوف من البيت وغيره : داخله ، جمه أجواف .

(٦) اللبد : كل شعر أو صوف متلبد ، سمي به للصوق بهضمه يبيض جمه ألباد والنبود ، وهو كذلك بساط من صوف .

(٧) كذا في الأصل ، ولماها الفراء جمع فروة ، وهي شيء نحر الجبة ، بطافته يطن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب والثعالب والسمّور . وقيل هي كساء يتخذ من أويار الأبل .

(٨) يرى ده خويه أنها « بوست » ، ودوزي : « بوستين » وهي من الجلد الغليظ ، كاللبساء أو المعطف الكبير .

(٩) في طبعة وليدي : « لثلا تشقق وتنكسر » .

ولقد رأيتُ الأرض تنشق فيها أوديةً عظاماً لشدة البرد ، وأنَّ
الشجرة العظيمة العادية لتنفلق بنصفين لذلك .

* * *

فلما انتصف شوال من سنة تسع وثلاثمائة ، أخذَ الزَّمانُ في التَّغْيِيرِ ،
وانحَلَّ « نهر جيحون » ، وأخذنا نحن فيما نحتاج إليه مِنْ آلةِ السَّفَرِ
واشترينا الجمالَ الثَّرَكِيَّةَ ، واستعملنا السَّفَرَ^(١) من جلود الجمال لعبور^(٢)
الأنهار التي نحتاج أنْ نعبرها في بلد الترك ، وتزودنا الخبزَ والجاورسَ^(٣)
والنمكسوذ^(٤) لثلاثة أشهر .

وَأَمَرْنَا مَنْ كُنَّا نَأْنَسُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ بِالاستظهار^(٥) فِي الثِّيابِ
والاستكثار منها . وهوَّأُوا عَلَيْنَا الْأَمْرَ وَعَظَمُوا الْقِصَّةَ . فلما شاهدنا
ذلك كان أضعاف ما وصف لنا . فكان كل رجلٍ مِنَّا عليه قُرْطُقٌ^(٦) ،

(١) السَّفَرُ : جمع سفرة ، وهي المركب أو السفينة .

(٢) فِي غَطْلُوطَتِنَا : « من الحلو والجمال لعيون » - وهي مصحفة قطعاً ، فلا تستقيم بها عبارة ولا يقوم لها
معنى ، فرأينا أن تكون السفن من جلود الجمال لعبور الأنهار ، وصوبناها محافظين على رسم الحروف .
- وفي طبعة وليدي : « لعيون الأنهار » وهو خطأ .

(٣) الجاورس حبٌّ مروف يؤكل مثل الدهن ، مرب كاورس ، وهو ثلاثة أصناف أجودها الأصفر ،
وهو يشبه بالأرز ، ويدّر البول ويمسك الطبيعة ، وذلك كما جاء في تاج العروس .

(٤) النمكسوذ : بفتح النون والميم وسكون الكاف - لحم مجفف من غير تقديد ، انظر تكملة المعاجم
لدوزي ٢ / ٧٢٦ ، وده خوية في المكتبة الجغرافية ٤ / ١٦٨ .

(٥) استظلم الرجل : احتاط .

(٦) قرطق : بالقلم فالفتح ثم فتح الطاء - مرب كرتة ، وهو قيس أو مطف قصير يصل إلى منتصف الجسم
كما في معجم دوزي للملابس ٣٦٢ .

وفوقه خِفْتَانٌ^(١) ، وفوقه بوسيتين ، وفوقه لبّادَةٌ^(٢) وبرنس^(٣) ، لا تبدو منه إلّا عِيناه^(٤) ، وسراويل^(٥) طاق ، وآخر مبطّن ، وران^(٦) ، وخُفٌّ كيميخت^(٧) ، وفوق الخُفِّ خُفٌّ آخر . فكان الواحد منا إذا ركب الجمل لم يَقْدِرَ أن يتحرك لما عليه من الثياب .

وتأخّر عنا الفقيه والمعلم والعِلّمان^(٨) الذين خرجوا معنا من مدينة السّلام ، فزعا من الدّخول إلى ذلك البلد . وسرت أنا والرسول وسلف له ، والغلّمان تكين وبارس^(٩) .

* * *

- (١) خفّتان : استعمله القدماء بما نستعمل اليوم القفطان « أي الجاكيت » ، وهو صدرية تحت الثياب ، وقد حلّ محلّ الملابس العربية ، انظر معجم الملابس لدوزي ١٦٣ ، وفراي ٣٢ .
- (٢) اللبّادة : بالقلم وتشديد الباء ، ما يلبس من البود وقاية من المطر والبرد .
- (٣) برنس : هو في القاموس كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أو جبة أو ممطراً ، وهو معطف طويل له قلنسوة تلتصق به وتغطي الرأس ، كما في معجم الملابس لدوزي ٧٤ .
- (٤) في مخطوطتنا : « عِصْنَاه » ولم نجد لها موضعاً ، فلملها كما رسمنا ، لأن البرنس يغطي الوجه والرأس ولا تبدو إلّا العينان .
- (٥) السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم ، فارسيّ معرّب ، وهي مؤنثة وقد تذكر ، جمعها سراويلات ، وقيل السراويل جمع سروال أو سروالة - انظر الحضارة الإسلامية لآل ١٨٦ / ٢ - والطاق : ضرب من الثياب بغير جيب ، يلبسه المولود غالباً ، وقيل هو العيلسان ، ولكنه هنا فيما نرى أنه بغير بطانة .
- (٦) ران : نوع من الأحذية ، جمه رانات .
- (٧) كيميخت : بكسر الكاف وسكون الياء وضم الميم - فارسي ، نوع من الجلد لعله من جلد الخيل كما في تكملة المايجم لدوزي ٥٠٦ / ٢ .
- (٨) لم يذكر أسماء هؤلاء في بدء الرحلة ، ولا نعرف من هم وما همتهم ، وهل في البعثة فقيه غير ابن فضال ؟
- (٩) في مخطوطة الأصل : « فارس » وصحّحها ما مرّ بنا من قبل وشرحتاه « بارس الصّقلاني » - ولكن طبعة وليدي ترسمه « فارس » .

فلما كان في اليوم الذي عزمنا فيه على المسير قلتُ لهم : « يا قوم ، معكم غلام الملك ، وقد وقف على أمركم كله ، ومعكم كتبُ السلطان ، ولا أشك [أن] ^(١) فيها ذكرُ توجيه أربعة آلاف دينار المسيبية ^(٢) له . وتصيرون ^(٣) إلى ملك أعجمي فيطالبكم بذلك فقالوا : « لا نخش من هذا فإنه غير مطالب لنا » . فحذرتهم ، وقلتُ : « أنا أعلم أنه يطالبكم » . فلم يقبلوا .

وأستدَف ^(٤) أمر القافلة ، وأكترينا دليلاً ، يقال له « قلواس » ^(٥) من أهل « الجرجانية » . ثم توكلنا على الله - عز وجل - وفوضنا أمرنا إليه .

* * *

(١) أضفناها تجلية للنص وبدونها يصح الكلام كذلك .

(٢) في الأصل : « دينار المسيبة » وصوابها بالياء الثانية بعد الباء - وفي ياقوت ١ / ٥١٩ عن بخارا : « وكانت سكنتها تصاوير وهي من ضرب الاسلام . وكانت لهم دراهم اخر تسمى المسيبة والمحمدية .

(٣) في المخطوطة : « ويصيرون » وصوابها ما وضعنا - ولم يشرح ابن فضال في تفصيل ثبة القوم في اخفاء الدراهم أو في اقتسامها وحجبها عن الملك ، ولكن السياق يدل على ذلك .

(٤) استدَف الأمر : أي استتب واستقام ، وهي بالدال والذال ، واستدَف هنا تهيأ ، وأمكن وتسهل .

(٥) في مخطوطتنا : « فلوس » - ويرى المستشرق فراي أن تكون « قلواس » لا رأى من نصوص شبيهة واحاء قريبة في المنطقة ، ولعلها كلمة فارسية - وفي طبعة وليدي : « قلوس » .

٦

ورحلنا من الجرجانية يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة . فتركنا رباطاً يقال له « زيجان^(١) » || وهو بياض التُّرك ، [٩٩] ثم رحلنا من الغد فنزلنا منزلاً يقال له « جيت^(٢) » ، وجاءنا الثلجُ حتَّى مَشَتِ الجمالُ إلى ركبها فيه . فأقمنا بهذا المنزل يومين .

ثم أوغلنا في بلد الترك لا نلوى على شيء ، ولا يلقانا أحد ، في برية قفر ، بغير جبل . فسرنا فيها عشرة أيَّام ، ولقد لقينا مِنَ الضرِّ والجهد ، والبرد الشديد ، وتواصلِ الثلوج الذي كان برد « خوارزم » عنده مثلَ أيَّام الصَّيف ، ونسينا كلَّ ما مر بنا ، وأشرفنا على تَلَفِ الأَنْفُسِ .

ولقد أصابنا في بعضِ الأيَّامِ برْدٌ شديدٌ ؛ وكان « تكين » يُسَايرُنِي^(٣) وإلى جانبه رجلٌ مِنَ الأتراك ، يكلمه بالتركية ، فضحك « تكين » وقال : « إِنْ هَذَا التُّرْكِيُّ يَقُولُ لَكَ : أَيُّ شَيْءٍ يَرِيدُ رَبُّنَا مِنْنا ، هُوَ ذَا

(١) الرباطات كثيرة ، ولم تقع على اسم هذا الرباط ، وأصلحنا كلمة « باب » فجعلناها « بياض » .

(٢) في الأصل : « جنب » - ويقترح ولبدي أن تكون : « جيت » .

(٣) سايره : جاره وسارمه .

يقتلنا بالبرد ، ولو علمنا ما يريد لرفعناه^(١) إليه . فقلت له : « قُلْ له يريد منكم أَنْ تقولوا : (لا إِلَهَ إِلَّا الله) » . فضحك وقال : « لو علمنا لفعلنا » .

ثم صرنا بعد ذلك إلى موضع فيه مِنْ حَطَبِ الطَّاغِ شيءٌ عظيم ، فزلناه ، وأوقدت القافلة وأصطلوا ، ونزعوا ثيابهم وشرَّروها .

ثم رحلنا ، فما زلنا^(٢) نسير في كل ليلة من نصف الليل إلى وقت العصر أو [إلى]^(٣) الظهر ، بأشد سِر يكون وأعظمه ، ثم ننزل^(٤) .

فلَمَّا سرنا خمسَ عَشْرَةَ^(٥) ليلة وَصلنا إلى جبلٍ عظيم ، كثير الحجارة ، وفيه عيون تنجرف عبره وبالحفرة [تستقر] الماء^(٦) .

* * *

-
- (١) في الأصل : « لرفعناه » - ولعلها كما يرى أحد المعلقين : « لدفعناه » .
 (٢) في الأصل : « فازلنا » وهو تصحيف من الناسخ .
 (٣) في المخطوطة : « أول الظهر » ولا معنى لها وهي كما رستنا .
 (٤) وهو تصحيف آخر في المخطوطة : « تنزل » ونحن نرسم هذا لبيان حال الناسخ .
 (٥) وهنا جهل بالنحو حيث يرسم الناسخ : « خمسة عشر ليلة » فصبوناها .
 (٦) هنا عبارة غامضة رسمت كما يلي : « وفيه عيون تنجرف عبر وبالحفرة الماء » - وهي بغير نقط ، فحام المستشرقون حول تصحيحها فرأى الروسي ٩٧ أن تكون : « وفيه عيون تنجرف عين وبالحفرة الماء » ويرى المغربي ٢٣٨ : « عيون تنجرف غدِير وبالحفرة » - ونحن نرى أن تكون : « وفيه عيون تنجرف عبره وتستقر بالحفرة الماء » - وفي طبعة وليدي : « وفيه عيون تنجرف عنه وبالحفرة الماء » . وهذا التمييز استعمله الجغرافيون لوصف العيون التي تنحدر إلى البحيرة ، انظر خريدة المعجائب لابن الوردي ص ٨٥

٧

فَلَمَّا قَطَعْنَاهُ أَفْضَيْنَا^(١) إِلَى قَبِيلَةٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ يُعْرَفُونَ بِالْفَزَّةِ^(٢) . وَإِذَا [الـ] هُمْ بِأَدِيَّةٍ ، لَهُمْ بِيُوتٌ شَعْرٌ ، يَحْلُونَ وَيَرْتَحِلُونَ ، تَرَى مِنْهُمْ الْأَيَّاتَ فِي مَكَانٍ ، وَمِثْلَهَا فِي مَكَانٍ آخَرَ ، عَلَى عَمَلِ الْبَادِيَةِ وَتَنْقَلِبُهُمْ ، وَإِذَا هُمْ فِي شَقَاءٍ . وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَالْحَمِيرِ الضَّالَّةِ لَا يَدِينُونَ لِلَّهِ بِيَدَيْنٍ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى عَقْلِ ، وَلَا يَعْبُدُونَ شَيْئًا ، بَلْ يُسَمُّونَ كِبْرَاءَهُمْ أَرْبَابًا . فَإِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُهُمْ رَأْسَهُ فِي شَيْءٍ قَالَ لَهُ : « يَا رَبِّ إِيْشْ أَعْمَلْ فِي كَذَا وَكَذَا ؟ » (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ^(٣)) غَيْرَ أَنَّهُمْ مَتَى اتَّفَقُوا عَلَى شَيْءٍ وَعَزَمُوا عَلَيْهِ^(٤) جَاءَ أَرْذَلُهُمْ وَأَخْسَهُمْ فَتَقَضَّ مَا قَدْ أَجْمَعُوا^(٥) عَلَيْهِ .

(١) في المخطوطة : « فلم قطعنا واقضينا » وهي تصحيف صوبناه .

(٢) في ياقوت ١ / ٨٤٠ : « وذكر أحمد بن محمد الهمداني عن أبي العباس عيسى بن محمد المروزي قال : لم نزل نسمع بالأهم التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفرة الفزّة ، والفزّة غزّة والحزلية » - وفي الاصطخري ، طبعة ليدن ص ٩ : « وديار الأتراك متميزة . فأما الفزّة فإن حدود ديارهم ما بين الحزور وكياك » - وفي دائرة المعارف الإسلامية ٢ / ١٧٨ لبرتولد أن الفزّة سكنوا منذ القرن الرابع قرب بخارا ومشوا على أطراف الفولغا وإلى الدانوب ، وعمرها شرقي أوردية والسلجوقيون جاءوا من الفزّة .

(٣) انظر القرآن الكريم سورة شوري ٤٢ / ٣٨ وقامها : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

(٤) وفي الأصل : « ثم جاء » فحذفنا « ثم »

(٥) في الأصل وفي وليدي : « ما قد جمعوا » فرأينا أن نرسمها كما ترى .

وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)، تَقَرُّبًا بِهَذَا الْقَوْلِ
 [و٢] إِلَى مَنْ يَحْتَاظُ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۥ لَا اعْتِقَادًا لَذَلِكَ . وَإِذَا ظَلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ
 أَوْ جَرَى عَلَيْهِ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ :
 « يِرْ تَنَكْرِي » وَهُوَ بِالْتُرْكِيَّةِ « اللَّهُ الْوَاحِدُ ^(١) » . لِأَنَّ « يِر » بِالْتُرْكِيَّةِ :
 « وَاحِدٌ » ؛ وَتَنَكْرِي : « اللَّهُ » بِلُغَةِ التُّرْكِ . وَلَا يَسْتَنْجُونَ مِنْ غَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ ؛
 وَلَا يَغْتَسِلُونَ مِنْ جَنَابَةٍ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ . وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ عَمَلٌ ، خَاصَّةً
 فِي الشَّتَاءِ . وَلَا يَسْتَتِرُ نِسَاؤُهُمْ مِنْ رِجَالِهِمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ . وَكَذَلِكَ
 لَا تَسْتَرِ الْمَرْأَةُ شَيْئًا مِنْ بَدَنِهَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

* * *

وَلَقَدْ نَزَلْنَا يَوْمًا عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَجَلَسْنَا ، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ مَعَنَا ، فَبَيْنَا
 هِيَ تُحَدِّثُنَا إِذْ كَشَفَتْ فَرْجَهَا وَحَكَّتْهُ ^(٢) . وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهَا فَسَتَرْنَا
 وَجُوهَنَا ، وَقُلْنَا : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ » فَضَحِكَ زَوْجُهَا ، وَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ :
 « قُلْ لَهُمْ تَكْشِفُهُ بِحَضْرَتِكُمْ قَتَرُونَهُ وَتَصُونُهُ ^(٣) فَلَا يُوصَلُ إِلَيْهِ ، هُوَ
 خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَغْطِيَهُ وَتَمَكِّنَ مِنْهُ » .

(١) فِي الْأَصْلِ الْمَخْطُوطِ : « بِاللَّهِ الْوَاحِدُ » وَلَيْسَ فِي الْجُمْلَةِ التُّرْكِيَّةِ حَرْفُ جَرٍ ، فَلَمَّا « اللَّهُ الْوَاحِدُ » .

(٢) نَحْنُ نَسْتَفْظِعُ الْفِظَةَ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَلَكِنْ الْقِدْمَاءُ فَمَا ظَهَرَ لَنَا لَمْ يَكُونُوا عَلَى مِثْلِ نَظَرَتِنَا ، لِذَلِكَ أَبْقَيْنَا
 مَا جَاءَ فِي النَّصِّ ، أَمَانَةً ، وَعَمَلًا بِأَنَّهُ لَا حَيَاءَ فِي الدِّينِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَتَصُونُهُ » - وَيُقْتَرَحُ وَلِيَدِي أَنْ تَكُونَ : « وَتَصُونُونَهُ » .

وليس يعرفون الزنا . وَمَنْ ظَهَرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَعْلِهِ شَقَّوهُ
بِنِصْفَيْنِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ أَغْصَانِ شَجَرَتَيْنِ ، ثُمَّ يَشْدُونَهُ بِالْأَغْصَانِ ،
وَيُرْسِلُونَ الشَّجَرَتَيْنِ فَيَنْشِقُ الَّذِي شَدَّ إِلَيْهِمَا ^(١) .

وقال بعضهم ، وسمعتني [أقرأ] ^(٢) قرآناً ، فاستحسن القرآن ، وأقبل
يقول للترجمان قل له : « لَا تَسْكُتْ » . وقال لي هذا الرجل يوماً على
لسان الترجمان : « قل لهذا العربي : أَلَرَبُّنَا عز وجل امرأة ؟ ! فاستعظمتُ
ذلك ، وسبحت الله ، واستغفرته ؛ فسبح واستغفر كما فعلت . وكذلك
رسمُ التركي كلما سمع المسلم يسبح ويهمل قال مثله .

* * *

٨

ورسوم تزويجهم ، وهو أن يخطبَ الواحدُ منهم إلى الآخر بعضَ حرمه ،
إِذَا ^(٣) ابنته أو أخته أو بعض مَنْ يملك أمره ، على كذا وكذا ثوب
خوارزمي ، فإذا وافقه ^(٤) حملها إليه ، وَرَبَّمَا كَانَ الْمَهْرُ جَمَالاً ^(٥) أو دوابَّ

(١) في الأصل : شيالهما « ولما شياهما كما وضعنا .

(٢) أضفنا الفعل للسياق .

(٣) في الأصل المخطوطة : « أنا ابنته » وهي تصحيف من غير شك وصوابها : « إياها » .

(٤) في الأصل المخطوط كذلك : « فإذا وافاه » ولعلها : « فإذا وافقه » أو وافقه « أو لعله يريد أن

يقول : « فإذا وافاه بما طلب » ، أو « وفاه ما طلب » .

(٥) أخطأ الناسخ في النحو فجعلها « جمال » فصوبناها .

أو غير ذلك . وليس يصل الواحد إلى امرأته حتى يوفي الصداق الذي قد واقف وليها عليه ، فإذا وقاه إياه جاء غير مُحْتَشِمٍ حتى يدخل إلى المنزل الذي هي فيه ، فيأخذها بحضرة أبيها وأُمها وإخوتها ، فلا يمنونه من ذلك .

[٢] وإذا مات الرجل وله زوجة وأولاد تزوج الأكبر من ولده || بامرأته إذا لم تكن أمه . ولا يقدر أحد من التجار ولا غيرهم أن يغتسل من جنابة بحضرتهم إلا ليلاً من حيث لا يرونه . وذلك أنهم يغضبون ويقولون : « هذا يريد أن يسحرنا لأنه قد تفرس^(١) في الماء » ، ويفرمونه مالا .

ولا يقدر أحد^(٢) من المسلمين [أن] يجتاز ببلدهم حتى يحمل له منهم صديقاً ينزل عليه ، ويحمل له من بلد الإسلام ثوباً ، ولا مرأته مقنعة^(٣) ، وشيثاً من فلفل^(٤) ،

(١) في الأصل : « تفرس » بالعين بعد التاء ، وصوابها مارستا ، وتفرس الرجل إذا تثبت وتأمل ونظر ، في الأصل .

(٢) في المخطوطة « أحدهن من » وهو سهو من قلم الناسخ حين رسم « هن » زائدة فحذفناها .

(٣) المقنعة : غطاء من قماش يحمله الرجل والمرأة على رأسها ، ولعلها برقع على وجه النساء ، كما في معجم الملابس لدوزي ٣٧٧ - وفي ابن بطوطة طبعة باريس ٢ / ٣٨٨ في الحديث عن البلقار في الفولغا ، قوله : « وعلى رأس الوزيرة والحاجية مقنعة حرير مزركشة الحواشي بالذهب والجوهر » .

(٤) يقول ياقوت عن الفلفل ٣ / ٥٣ : « فشاهدت نباته ، وهو شجر عادي لا يزول الماء من تحته ، فإذا هبت الريح تساقط حله » وما يزال الفلفل يستعمل إلى اليوم .

وَجَاوَرَسَ ، وَزَيْدِيبَ ، وَجُوزَ ، فَلِذَا قَدِمَ عَلَى صَدِيقِهِ ضَرَبَ لَهُ قَبَّةً ^(١) ،
وَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ عَلَى قَدَرِهِ ، حَتَّى يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُ ذَنْبَهَا لِأَنَّ التَّرِكَ
لَا يَذْبَحُونَ وَإِنَّمَا يَضْرِبُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ رَأْسَ الشَّاةِ حَتَّى تَمُوتَ .

* * *

وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ الرَّحِيلَ ^(٢) وَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ جِوَالِهِ
وَدَوَابِّهِ أَوْ أُحْتَاجَ إِلَى مَالٍ تَرَكَ مَا قَدْ قَامَ عِنْدَ صَدِيقِهِ التُّرْكِيِّ ، وَأَخَذَ مِنْ
مِنْ جِوَالِهِ وَدَوَابِّهِ وَمَالِهِ حَاجَتَهُ ، وَرَحَلَ . فَإِذَا حَادَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَقْصِدُهُ
قَضَاءَ مَالِهِ ، وَرَدَّ إِلَيْهِ جِوَالَهُ وَدَوَابِّهِ .

* * *

وَكَذَلِكَ لَوْ أُجْتَازَ بِالتُّرْكِيِّ إِنْسَانٌ لَا يَعْرِفُهُ ثُمَّ قَالَ : « أَنَا ضَيْفُكَ ، وَأَنَا
أُرِيدُ مِنْ جِوَالِكَ وَدَوَابِّكَ وَدِرَاهِمَكَ » دَفَعَ إِلَيْهِ مَا يَرِيدُ . فَإِنْ مَاتَ التَّاجِرُ
فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ ، وَعَادَتِ الْقَافِلَةُ لِقِيَمِ التُّرْكِيِّ ، وَقَالَ : « أَيْنَ ضَيْفِي ؟ »
فَإِنْ قَالُوا : « مَاتَ » حَطَّ الْقَافِلَةُ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى أُنْبَلِ تَاجِرٍ يَرَاهُ فِيهِمْ ، فَحَلَّ
مَتَاعَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَخَذَ مِنْ دِرَاهِمِهِ مِثْلَ مَالِهِ عِنْدَ ذَلِكَ التَّاجِرِ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ
حَبَّةً ، وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ مِنْ دَوَابِّهِ وَجِوَالِهِ ، وَقَالَ : « ذَلِكَ ابْنُ عَمِّكَ ،

(١) القبة : بالضم - بناء سقفه مستدير مقعر ، مغمود بالحجارة أو الأجر - على هيئة الخيمة ، جملها قباب وقباب.

(٢) في الأصل بالخطوط : « الرجل » وهي تصحيف بلا شك فلا معنى لها ، وإنما صوابها ما رسمنا لأن الجملة
بمدها تفسر المراد حين يقول : « ورحل » .

وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ غُرْمٍ عَنْهُ . وَإِنْ فَرَ فَعَلَ أَيْضًا ذَلِكَ الْفَعْلَ . وَقَالَ لَهُ :
« ذَلِكَ مُسْلِمٌ مِثْلُكَ ، خَذِ أَنْتَ مِنْهُ » . وَإِنْ لَمْ يُوَافِقِ الْمُسْلِمَ ضَيْفُهُ
فِي الْجَادَّةِ ^(١) ، سَأَلَ عَنْ بِلَادِهِ ^(٢) : « أَيْنَ هُوَ » فَإِذَا أُرْشِدَ إِلَيْهِ سَارَ فِي
طَلَبِهِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى بَصِيرَ إِلَيْهِ ، وَرَفَعَ مَالَهُ عِنْدَهُ ، وَكَذَلِكَ مَا يُهْدِيهِ لَهُ .

وهذه أيضاً سبيلُ التركيِّ إِذَا دَخَلَ « الْجُرْجَانِيَّةَ » سَأَلَ عَنْ ضَيْفِهِ
فَنَزَلَ عَلَيْهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ . وَمَتَى مَاتَ الْتُرْكِيُّ عِنْدَ صَدِيقِهِ الْمُسْلِمِ ، وَاجْتَازَتْ
الْقَافِلَةُ فِيهَا صَدِيقَهُ قَتَلُوهُ ، وَقَالُوا : « أَنْتَ قَتَلْتَهُ بِجَبْسِكَ || إِيَّاهُ ، وَلَوْ
لَمْ تَجْبِسْهُ لَمَاتَ » . وَكَذَلِكَ إِنْ سَقَاهُ نَبِيذًا ^(٣) فَتَرَدَّى مِنْ حَائِطٍ ^(٤) قَتَلُوهُ
بِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَافِلَةِ عَمِدُوا إِلَى أَجَلٍ مِنْ فِيهَا فَقَتَلُوهُ .

* * *

وَأَمْرُ اللُّوَاطِ عِنْدَهُمْ عَظِيمٌ جَدًّا . وَلَقَدْ نَزَلَ عَلَى حَيٍّ « كُوَذَرَكِينَ »
— وَهُوَ خَلِيفَةُ مَلِكِ التُّرْكِ — رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ « خَوَارِزْمِ » فَأَقَامَ عِنْدَ ضَيْفٍ

(١) يرى أحد المستشرقين أن تكون الكلمة هنا : « فِي الْجَادَّةِ » ، وَلَكِنْ الْجُمْلَةُ وَاضِحَةٌ مَعْنَى أَنَّ الْمُسْلِمَ لَمْ
يُوَافِقْ فِي طَرِيقِهِ أَوْ فِي قَافِلَتِهِ ضَيْفَ التُّرْكِيِّ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « سَأَلَ عَنْ ثَلَاثَةِ » وَلَا مَعْنَى لَهَا ، فَارْتَأَى أَحَدُ الْمُسْتَشْرِقِينَ أَنَّ تَكُونَ : « سَأَلَ عَنْ ثَلَاثَةِ
أَوْ ثَلَاثَةِ أَوْ سَائِسَةٍ » . وَلَكِنَّا نَرَى مَا وَضَعْنَا أَقْرَبَ لِلْسَّبَاقِ .

(٣) النَّبِيذُ : مَا نَبَذَ مِنْ عَصِيرٍ وَنَحْوِهِ ، سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَنْبِذُ أَيَّ يَتْرَكُ حَتَّى يَشْتَدَّ وَيُلْقَى فِي الْجُرَّةِ حَتَّى يَغْلَى جَمْعُهُ
أَنْبِذَةٌ — وَفِي النَّجَاحِ : « يَقَالُ لِلْخَمْرِ الْمُعْتَصَرِ مِنَ الْعِنَبِ نَبِيذٌ » .

(٤) تَرَدَّى : سَقَطَ .

له مدة في ابتياع غنم . وكان للتركي ابن أمرد فلم يزل الخوارزمي يُداريه ويرأوده عن نفسه حتى طاوعه على ما أراد . وجاء التركي فوجدهما في بنيانِهِما ، فرفع التركي ذلك إلى « كوذركين » فقال له : « اجمع الترك » فجمعهم ، فلما ^(١) اجتمعوا ، قال للتركي ^(٢) : « بالحقّ تحبّ أن أحكم أم بالباطل » ؟ قال : « بالحق » قال : « أحضر ابنك » ، فأحضره . فقال : « يحبّ عليه وعلى التاجر أن يقتلا جميعاً » ، فامتعض التركي من ذلك ، وقال : « لا أسلم أبني » . فقال : « فيفتدي التاجر نفسه » ففعل . ودفع للتركي ^(٣) غنماً للفعل بابنه . ودفع ^(٤) إلى « كوذركين » أربعمئة شاة لما رفع عنه ، وارتحل عن بلد الترك .

* * *

٩

فأول من لقينا من ملوكهم ورؤسائهم ينال الصغير ^(٥) — وقد كان

-
- (١) في المخطوطة : « فيا » وصوابها مارسنا .
 (٢) في الأصل : « قال التركي » والصواب أن يكون القائل كوذركين للتركي ، والسياق يدل على ذلك في الجملة بعدها .
 (٣) وهنا في الأصل : « ودفع التركي » وصوابها أن الذي دفع هو الخوارزمي .
 (٤) في الأصل : « ورفع إلى » ولعلّ صوابها : « ودفع » والذي يث الاضطراب في النص هو تكرار كلمة « رفع » .
 (٥) هو في توارخهم : « كوجوك ينال » — وهو ولي العهد - انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٧٣ .
 (٧)

أَسْلَمَ - فقيل له : « إنَّ أَسْلَمْتَ لَمْ تَرَوْسَنَا ^(١) » ؛ فرجع عن إسلامه .
 فلما وصلنا إلى الموضع الَّذِي هُوَ فِيهِ ، قَالَ : « لَا أَتْرَكُكُمْ تَجُوزُونَ لِأَنَّ
 هَذَا شَيْءٌ مَا سَمِعْنَا بِهِ قَطُّ ، وَلَا ظَنَّنَا أَنَّهُ يَكُونُ » . فَرَفَقْنَا بِهِ إِلَى أَنَّ
 رَضِيَ بِخَفْتَانٍ جَرَجَانِي يُسَاوِي عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ ، وَشَقَّةٍ بَايَ بَافٍ ^(٢) ، وَأَقْرَاصٍ
 خَبَزٍ ، وَكَفٍّ زَيْبٍ ، وَمِائَةِ جُوزَةٍ . فَلَمَّا دَفَعْنَا هَذَا إِلَيْهِ سَجَدَ لَنَا .
 وَهَذَا رَسْمُهُمْ إِذَا أَكْرَمَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ سَجَدَ لَهُ ، وَقَالَ : « لَوْلَا أَنَّ يَبُوتِي
 نَائِيَةٌ ^(٣) عَنْ الطَّرِيقِ لَهَلْتُ إِلَيْكُمْ غَنَمًا وَبَرًّا ^(٤) » . وَانصَرَفَ عَنَّا وَارْتَحَلْنَا .
 فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ لَقَيْنَا رَجُلًا وَاحِدًا مِنَ الْأَثْرَاكِ ، دَمِيمٌ الْخَلْقَةِ ، رَثٌ
 الْهَيْئَةِ ، قَمِيءٌ الْمَنْظَرِ ، خَسِيسٌ الْمَخْبَرِ ، وَقَدْ أَخَذَنَا مَطَرٌ شَدِيدٌ فَقَالَ :
 « قِفُوا » . فَوَقَفَتِ الْقَافِلَةُ بِأَسْرَافِهَا - وَهِيَ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافِ دَابَّةٍ وَخَمْسَةِ
 آلَافِ رَجُلٍ - ثُمَّ قَالَ : « لَيْسَ يَجُوزُ مِنْكُمْ أَحَدٌ » . فَوَقَفْنَا طَاعَةً
 لِأَمْرِهِ . فَقُلْنَا لَهُ : « نَحْنُ أَصْدِقَاءُ كُوذْرَكِينَ » . فَأَقْبَلَ || يَضْحَكُ وَيَقُولُ :
 « مَنْ كُوذْرَكِينَ ؟ أَنَا أُخْرَى ^(٥) عَلَى لَحْيَةِ كُوذْرَكِينَ » ! . . ثُمَّ قَالَ :

(١) رَوْسُ الرَّجُلِ يَرْوُسُ رِئَاسَةً كَانَ رِئِيسًا . وَلَعَلَّ صَوَابَهَا : « لَنْ تَرَوْسَنَا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « بَايَ تَافٍ » وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالْبَايَ يَافٍ : لِبَاسُ الْمَرْأَةِ ، - وَفِي أَحْسَنِ التَّقَاسِمِ لِلْمَقْدِسِيِّ ،
 ط . أُودِبَةُ ، ص ٣٢٣ : « وَأَمَّا التِّجَارَاتُ فَتَرْتَفِعُ مِنْ نِيَابُورِ ثِيَابِ الْبَيْضِ الْخَفِيَّةِ وَالْبِيَّافِ ، وَالْمِهَامِ
 الشَّهْجَانِيَةِ الْخَفِيَّةِ وَالْمَقَانِعِ » .

(٣) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « يَبُوتِي نَائِيَةٌ » وَهِيَ مَصْحُفَةٌ ، وَصَوَابُهَا مَا وَضَعْنَاهُ .

(٤) الْبُرْتُ : بِالضَّمِّ - الْقَمَحُ ، وَالْوَّاحِدَةُ 'بُرَّةٌ' .

(٥) فِي الْأَمْلِ : « أَمَّا أُخْرَى » وَصَوَابُهَا مَا كَتَبْنَا .

« يكند » : يعني الخُبْزَ بلغة خوارزم . فدفعتُ إليه أقراصاً فأخذها وقال :
« مُرّوا قد رحمتكم » .

* * *

قال :

وإذا مرض الرجل منهم ، وكان له جوار وعبيد خدموه ولم يقربهُ
أحد من أهل بيته ، ويضربون له خيمة ، ناحية من البيوت ، فلا يزال فيها
إلى أن يموت أو يبرأ . وإن كان عبداً أو فقيراً رَمَوْا به في الصحراء
وارتحلوا عنه .

وإذا مات الرجل منهم حفروا له حفيرةً كبيرةً كهيئة البيت وعمدوا
إليه فألبسوه قرطقه ^(١) ومنطقته وقوسه ^(٢) . . . وجعلوا في يده قدحاً من
خشب فيه نبيذٌ ، وتركوا بين يديه إناءً من خشب فيه نبيذ . وجاءوا
بكل ماله فجعلوه معه في ذلك البيت . ثم أجلسوه فيه فسقفوا البيت عليه ،
وجعلوا فوقه مثل القبة من الطين ، وعمدوا إلى دوابه على قدر كثرتها ،
فقتلوا منها مئة رأسٍ إلى مائتي رأسٍ إلى رأسٍ واحد ، وأكلوا لحومها إلا
الرأسَ والقوائمَ والجلدَ والذنبَ ، فإنهم يصلبون ذلك على الخشب . وقالوا :
« هذه دوابه يركبها إلى الجنة » . فإن كان قتل إنساناً وكان شجاعاً نحتوا

(١) في الأصل : « قرطته » وهو تصحيف .
(٢) بعد هذه الكلمة بياض في المخطوطة قدر كلمة .

صوراً من خشب على عدد مَنْ قَتَلَ ، وجعلوها على قبره ، وقالوا : « هؤلاء غلمانہ يخدمونه في الجنة » ! ..

وربما تفافلوا ^(١) على قتل الدواب يوماً أو يومين ، فيحشُّهم ^(٢) شيخ من كبارهم فيقول : « رأيتُ فلاناً - يعني الميتَ - في النومِ فقال لي : « هو ذا تراني وقد سبقني أصحابي وشُقِّقْتُ ^(٣) رجلاي من أتباعي لهم ، ولستُ ^(٤) ألحقهم ، وقد بقيت وحدي » . فعندَها يعمدون إلى دوابه فيقتلونَها ويصلبونها عند قبره . فإذا كانَ بعدَ يومٍ أو اثنين جاءهم ذلك الشيخ وقال : « قد رأيتُ فلاناً وقال : عَرَّفَ أهلي وأصحابي أَنِّي قد لحقتُ ^(٥) مَنْ تقدَّمَنِي ، واسترحتُ من التعب » .

* * *

١٠

قال :

والترك كلهم ينتفون لحام إلا أسبلتهم ^(٦) . وربما رأيت الشيخ الهرم

-
- (١) كذا في الأصل ، ولعلها « عن قتل » .
 (٢) في الأصل « فحشهم » - وفي طبعة وليدي : « فحشهم » ولعلها كما رسمنا .
 (٣) يرى المستشرق المجري أن تكون : « شغفت » وشغفت الرجل خرجت بها الشفعات ، وهي قرحة في أسفل القدم - ولكننا لانرى وجوباً لذلك .
 (٤) في الأصل : « وكس »
 (٥) في المخطوط : « لحقتهم » وهي من الناسخ ، صوبناها .
 (٦) أسبله وسبال : جمع سبله ، وهو الشارب .

منهم ، وقد نتف لحيته وترك شيئاً منها تحت ذقنه وعليه البوستين . فإذا رآه إنسان من بُعدٍ لم يشك أنه تيس .

|| وملكُ الترك الغزاة يُقال له : « يينغو »^(١) وهو اسم الأمير ، وكل من [٢] ملك هذه القبيلة فهذا الاسم يُسمّى ، ويقال لخليفته « كوذركين » ، وكذا كلٌّ من يخلف رئيساً منهم يقال له : « كوذركين » .

ثم نزلنا بعد ارتحالنا من ناحية هؤلاء بصاحب^(٢) جيشهم ، ويقال له : « أترك بن القطغان » ، فضرب لنا قباباً تركية ، وأنزلنا فيها^(٣) وإذا له ضبنة^(٤) وحاشية ، وبيوت كبيرة . وساق إلينا غنماً ، وقاد^(٥) دوابّ ، لنذبح الغنم ونركب الدواب ، ودعا هو جماعة^(٦) من أهل بيته وبني عمه فقتل لهم غنماً كثيرة .

وكنا قد أهدينا إليه هدية من ثياب ، وزبيب ، وجوز ، وفلفل ، وجاورس ، فرأيت امرأته وقد كانت امرأةً أيّيه ، وقد أخذت لحماً ولبناً

(١) يينغو لقب لكثير من ملوك الأتراك - انظر معانيخ الملوم ص ٧٣ حيث يقول ان جبويه هو ملك الغزاة .

(٢) في الأصل «صاحب جيشهم» فأضفنا الباء - وفي طبعة وليدي : « عند صاحب » - وهو سباشي في معانيخ الملوم .

(٣) في الأصل : « وأنزلنا فيه » .

(٤) كلمة لم تنقط في الأصل ، فلعلها : « صنية » أو لعلها : « ضبنة » وهي على وزن فرجة ، العيال يضطبنهم الرجل في كنفه وناحيته ، يقال خرج في ضبته أي في أهله وعياله .

(٥) في الأصل : « وقادوا دواباً » ولعلها كما رسمنا .

(٦) في الأصل : « وجماعة » .

وشيئاً مما أتحفناه^(١) به ، وخرجت من البيوت إلى الصحراء فحفرت حفيرةً ودفنت الذي كان معها فيها ، وتكلمت بكلام ، فقلت للترجمان : « ما تقول » ؟ قال : « تقول هذه هدية للقطفان أبي^(٢) أترك ، أهداها^(٣) له العرب » . فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبته جالس ، ومعنا كتاب نذير الحرمي^(٤) إليه ، يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه ، ووجه إليه خمسين ديناراً ، فيها عدة دنائير مسيية^(٥) ، وثلاثة مثاقيل مسك ، وجلود أديم وثياب^(٦) مروية ، وقطعنا له منها قرطقين^(٧) وخف أديم ، وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير ، فدفعنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً .

وقرأت عليه الكتاب فقال للترجمان : « لست أقول لكم شيئاً حتى ترجعوا^(٨) » وأكتب إلى السلطان بما أنا حازم عليه . ونزع الديباجة التي كانت عليه ليلبس الخلع - التي ذكرنا - فرأيت القرطق الذي

(١) في الأصل : « ألحفنا » فرأينا أن تكون : « أتحفناه به » .

(٢) في الأصل : « أبو اترك » .

(٣) في الأصل : « أهدوها » فصوبناها .

(٤) في الأصل هنا : « نذير الحرمين » وهي سهو من الناسخ ، وقد مرّ بنا اسمه في صدر الرسالة وعلقنا عليه في الحاشية .

(٥) كذلك صحت كلمة « مسيئة » وصوابها « مسيية » وقد مرّت بنا وثرحنها .

(٦) في الأصل : « وثوبين مروية » فأصلحناها ، وهي نسبة إلى مرو .

(٧) في المخطوطة : « منها قرطبين » فصوبناها .

(٨) في المخطوطة : « حتى ترجعون »

تحتها و [قد] ^(١) تقطع وسخاً ، لأن رسومهم أن لا ينزع الواحد منهم الثوب الذي يلي جسده حتى ينتثر قطعاً ، وإذا هو قد تنف لحيته كلها وسباله ، فبقي كالخادم . ورأيتُ الترك يذكرون أنه أفرسهم ولقد رأيت يوماً وهو يسايرنا ^(٢) على فرسه إذ مرت وزه طائرة فأوتر قوسه ، وحرك دابته تحتها ، ثم رماها فإذا هو قد أنزلها .

* * *

فلما كان في بعض الأيام وجّه خلف القواد الذين يلونه وهم : طرخان ، وينال ، وابن أخيهما ، وإيلغز ^(٣) . وكان || طرخان أنبلهم وأجلهم ، [٢] وكان أعرج أعمى أشل ، فقال لهم : « إن هؤلاء رسل ملك العرب إلى صهري ألمش بن شلكي ^(٤) ، ولم يُخَيَّر لي أن أطلقهم إلا عن مشورتكم » . فقال طرخان : « هذا شيء ما رأيناه قط ، ولا سمعنا به ، ولا اجتاز بنا رسول سلطان مذكنا نحن وآباؤنا ^(٥) . وما أظن إلا أن السلطان قد

(١) زدناها السياق - وفي طبعة وليدي : « تتقطع » .

(٢) في الأصل : « وهو سايرنا » ولعلها كما صوبت .

(٣) قطعت الكلمات هنا وبقي منها ما غرض رسمه : « وان حبها ونفل » - فجعلناها كما تراءى لنا في قربه من اسمائهم التركية - وفي طبعة وليدي يقترح : « وابن اخته » .

(٤) رأينا أن الناسخ رسم هذا الاسم في صدر الرسالة « الحسن بن بطوار » وعرفنا أن ياقوت رسمه كما جاء هنا ، وقد علقنا على أقوال العلماء فيه في الحاشية والمقدمة بما يغنينا عن الاعادة هنا - وفي ياقوت ٧٢٣/١ « المس بن شلكي بطوار » .

(٥) ولعل هذا دليل آخر على أن بمشة ابن فضال هي الأولى من نوعها ، وأن رجالها هم أول من وطئ البلاد وزارها من قبل بغداد .

أَعْمَلَ الحِيلَةَ ووجه هؤلاء إلى الخَزَر لِيَسْتَجِيشَ بِهِمْ عَلَيْنَا ، والوجه أَنْ يُقَطَعَ هؤلاء الرسلُ نصفين نصفين ونأخذ ما معهم .

وقال آخرُ منهم : « لا بل نأخذ ما مَعَهُمْ ونتركهم عُرَاةً يَرْجِعُونَ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا » . وقال آخر : « لا ، وَلَكِنْ لَنَا عِنْدَ مَلِكِ الْخَزَرِ أُسْرَاءُ فَنُبْعَثُ بِهِؤْلَاءِ نُقَادِي بِهِمْ أَوْلَئِكَ » . فما زالوا يتراجعون بينهم هذه الأشياءُ سبعة أيام ، ونحنُ في حالة الموت ، حتى أَجْعَ رَأْيُهُمْ^(١) على أَنْ يَخْلُوا سَبِيلَنَا ، ونمضي . فَخَلَعْنَا دَلِي « طرخان » خَفَتَانًا مَرْوِيًّا^(٢) ، وشقتين باي باف ، وعلى أَصْحَابِهِ [كل واحد]^(٣) قَرطَقًا^(٤) ، وكذلك على « ينال » . ودفعنا إِلَيْهِمْ فَلْفَلًا وجاورس ، وأَقْرَاصًا من خبز . وانصرفوا عنا .

* * *

١١

ورحلنا حتى صرنا إلى « نهر يغندي »^(٥) فَأَخْرَجَ النَّاسُ سَفَرَهُمْ^(٦)

-
- (١) في المخطوطة : « أَجْعَ دَأْيُهُمْ » وصوابها ما كتبنا .
 (٢) في الأصل : « خَفَتَان مَرْوِي » وهي خطأ ، فأصلحناها من حيث النحو ، وهي نسبة كذلك إلى مرو - كما مر قبل قليل - .
 (٣) ناقصة أضفناها لتأتم المبالغة .
 (٤) في الأصل : « قَرطَق قَرطَق » وحقها النصب .
 (٥) في المخطوطة : « نهر بنندي » - وهو نهر ياغندي أو يندى كما في مقالة المستشرق فراس ص ٢٦ إذ يرسه Jagindi وهو الآن نهر زايندي Zayindi ، فرع لنهر كيم Emba - انظر تعليق الطبعة الروسية ص ١٠٠ .
 (٦) قلنا أن السفر هي جمع سفرة ، المركب أو السفينة ، وعلفنا بأنها مصنوعة من جلود الجمال . كما يقول ابن فضلان نفسه هنا - انظر استعمال السفر في الكامل لابن الأثير ٣٣٤/٩ (سنة ٦١٧ هـ) .

وهي من جلود الجمال فبسطوها ، وأخذوا بالأناث^(١) من الجمال التركية لأنها مدوّرة فجعلوها في جوفها ، حتى تمتد ، ثم حشوها بالثياب والمتاع ، فإذا امتلأت جلس في كلّ سفرة جماعة من خمسة وستة وأربعة ، وأقل وأكثر ، ويأخذون بأيديهم خشبَ الخدنك^(٢) فيجعلونه كالمجاديف ، ولا يزالون يحدفون والماء يحملها وهي تدور حتى نعب . فأما الدواب والجمال فإنه يُصاحُ بها فتعبر سباحةً ، ولا بد أن تعبر جماعة من المقاتلة ومعهم السّلاح ، قبل أن يعبر شيء من القافلة ، ليكونوا طليعة للناس خيفة^(٣) من « الباشفرد »^(٤) أن يكبسوا الناس وهم يمرون .

فعبّرنا « يَغْنِدي » على هذه الصّفة التي ذكرنا . ثم عبّرنا بعد ذلك نهراً يقال له « جام »^(٥) في السّفَر أيضاً ، ثم عبّرنا « جاخش »^(٦) ، ثم

(١) في الأصل : « بالاث » ولا معنى لها ، فلعلها : « بالآت » أولعها كما وضع وليدي : « بالاث من الجال » .

(٢) شجر الخدنك : هو الحور الأبيض كما في دوزي ، Peuplier .

(٣) في الأصل المخطوط : « خليفة من الباشفرد » ولا نجد لها معنى ، وإنما تقترح أن تكون « خيفة من الباشفرد » تمثيلاً مع السياق ، وهو الخوف من قوم الباشفرد .

(٤) يقول ياقوت ١/٦٨ ، أن الباشفرد هم باش جرد أو باش قرد ، من الأتراك ، وهم شر هذه الأقوام ثم يتحدث عنهم لينقل عن ابن فضلان كما سنرى بعد قليل .

(٥) يرى فراي أنه « نهر جيم » Gim وسنأخذ عنه تحقيقاته في الأنهار التالية - جاء في مقاله بالإنكليزية ص ٢٦ .

(٦) هو نهر « سجير » Sagir .

« أذل »^(١) ، ثم « أردن »^(٢) ، ثم « وارش »^(٣) ثم « أختي »^(٤) ، ثم « وتبا »^(٥) .
وهذه كلها أنهار كبار .

* * *

١٢

ثم صرنا بعد ذلك إلى البجناك^(٦) وإذا هم [نزول]^(٧) على ماء شبيه
[بالبحر غير جار وإذا هم سمر شديدو^(٨) الشمرة || وإذا هم محلّقو^(٩) اللّحي ،
فقراء ، خلاف الغزيّة . لأنّي رأيتُ من الغزية من يملك عشرة آلاف دابةً
ومائة ألف رأس من الغنم . وأكثر ما ترعى من الغنم ما بين الثلج تبحثُ

(١) هو الآن نهر « أوييل Oyil » .

(٢) هو الآن نهر « زاكساي Zaqsi bay » على الأغلب .

(٣) لعله اليوم باسم نهر « كالداغاي تي Qaldagayti »

(٤) لعله اليوم فرع من نهر « أشي ساي Assi say » .

(٥) رسمه في المخطوطة : « وبتا » ويقترح المستشرق أن يقرأ « وتبا » أو « أوتبا » ، وهو فرع من
الأورال Yayıq . رسم المستشرق طريق سيره ومكانه .

(٦) البجناك : قبيلة من الأتراك ، من قبائل الغز من القفجق ، وهم في أصلهم من تركستان الصينية ، وكانت
مساكنهم في الأورال والفلغا بجوار الخزر . وكان الغز في الشمال الشرقي ، وقد طردهم الغز حوالي
سنة ٨٦٠ للميلاد فلم يصادف ابن فضلان منهم إلا قليلاً - انظر دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ١١٠٧
Peceneges ، والقفجق كانوا يعيشون في شمالي البجناك . ووصف ياقوت البجناك ٣ / ٤٤٦ نقلاً عن
أبي دلف مسعر بن المهلهل - وارجع كذلك إلى نخبة الدهر لشيخ الربوة ٢٦٤ حيث يقول : « أما
القفجق ، فساكنهم في جبال وغياض من وراء دربند شروان مما يلي بحر الروس ، ولهم عليه مدينة
اسمها سرداق والبحر ينسب إليها » ودربند هنا « عقبة صعبة ضيقة » وبحر القفجق هو بحر آزوف المشهور
(٧) يياض في الأصل ملائاة بما ترى تمشياً مع السباق - وفي طبعة وليدي : « نزلوا على » .

(٨) في الأصل : « شديدي » وصوابها مارسمنا .

(٩) وقد رسم الناسخ كذلك « محلقي » خطأ .

بأظلافها تطلب الحشيش ، فإذا لم تجده قضمت الثلج فسمّنت غاية السمن .
فإذا كان الصيف وأكلت الحشيش هزلت ، فنزلنا على البجناك يوماً واحداً .
ثم ارتحلنا فنزلنا على « نهر جيخ »^(١) وهو أكبر نهر رأيناه ، وأعظمه ،
وأشدّه جرية . ولقد رأيت سُفْرَةً انقلبت فيه ففرق من كان فيها ، وذهبت
رجال كثير من الناس ، وغرقت عدة جمال ودواب ، ولم نعبّره إلا بجهد .
ثم سرنا أياماً ، وعبرنا « نهر جاخا »^(٢) ثم بعده نهر « أرخز »^(٣) ثم
« باجاغ »^(٤) ثم « سمور »^(٥) ثم « كنال »^(٦) ثم نهر « سوخ »^(٧) ثم نهر « كنجلو »^(٨) .

* * *

١٣

ووقفنا^(٩) في بلد قومٍ من الأتراك يقال لهم « الباشغرد » ، فحذرناهم [الباء] أشدّ الحذر . وذلك أنهم شر الأتراك وأقذرهم^(١٠) وأشدّهم إقداماً على القتل

(١) كذا رسم في الأصل ، وقد حار المستشرقون في معرفة اسمه ومكانه ، فرأى بعضهم أنه فرع « جيغون » وعجز فرأي عن التعليل عليه .

(٢) نهر جاخا أو جاخان « واسمه الآن جاغان Gagan » ، كما يرى فرامي ص ٢٧ .

(٣) نهر أرخز ، لعله « تالفوكا Talvoka » بين الأورال والقوقاز .

(٤) نهر باجاغ هو الآن « موشا Moca » فرع للقوقاز .

(٥) نهر سمور هو الآن « سامار » أو سَمَار Samar .

(٦) في الأصل : « كبال » وصوابه « كنال » وهو نهر « كينل Kinel » .

(٧) في المخطوطة : « موح » وصوابه « سوخ » وهو « سوك Sok » .

(٨) في الأصل : « كنجلو » ولعله الآن « كوندورشا Qundurca » .

(٩) في المخطوطة عذرا : « فوقتنا » - وفي ياقوت : « ووقتنا » .

(١٠) في الأصل بالمعجمة ولعلها : « وأقذرهم » بالبدال المهمة كما في ياقوت .

يلقى الرجلُ الرجلَ فيفزّر^(١) هامته ، ويأخذها ، ويتركه . وهم يحلقون لحام ، ويأكلون القمل ، يتتبع الواحدُ منهم دَرز^(٢) قُرْطَقه ، فيقرض القمل بأسنانه . ولقد كان معنا منهم واحد قد أسلم ، وكان يخدمنا فرأيتُه وجد قملة في ثوبه ، فقصصمها^(٣) بظفره ، ثم لحسها ؛ وقال لما رأيته : « جيد^(٤) » ! وكلُّ واحدٍ منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل^(٥) ويعلقها عليه ، فإذا أراد سفراً أو لقاءً عدو^(٦) قبلها ، وسجد لها ، وقال : « يا رب افعل بي كذا وكذا » ، فقلت للترجمان : « سل بعضهم ما حاجتهم في هذا ، ولم جعله ربه ؟؟ » قال : « لأني خرجت من مثله فلست^(٧) أعرف لنفسي خالقاً غيره » .

ومنهم من يزعم أن له اثني^(٨) عشر رباً : للشَّتاء ربٌّ ، وللصيف ربٌّ ،

(١) في المخطوطة : « سور » بنير تقط ، ولعلها : « فيفزّر » كما في ياقوت وفزّر بمعنى فسخ وشق وكسر ، يقال فزر أنقه وفزّر بمعنى قنت .

(٢) في الأصل : « درز » - وفي ياقوت : « دروز » - والدَّرز : الارتفاع الذي يحصل في الثوب إذا جمع طرفاه في الخياطة ، فارسي معرب ، جمعه دروز ، يقال دقق الخياط الدروز ، وما تزال تسمى كذلك الى اليوم .

(٣) قصص القملة بظفره أو بين ظفريه : قتلها .

(٤) هذه العبارة غامضة في الأصل رسماً الناسخ كما يلي : « وقال الراي حيدر » وقد اقترح فـرهـن هذه الرواية التي وضعناها في النص ، فهي « جيد » أو « جيدة » .

(٥) في المخطوطة عندنا : « الاحليل » - وفي ياقوت : « قد نحت خشبة على قدر الأكليل » - ونسختنا أصوب ، والسياق يفسر معنى الكلمة فلا حاجة بنا إلى شرحها .

(٦) في نسختنا : « و لقي عدو » - وفي ياقوت : « أو لقاء عدو » وهي أصوب ففضلناها على ما عندنا .

(٧) في مخطوطتنا : « وليس أعرف » - وفي ياقوت : « فلست أعرف لنفسي موجداً غيره » .

(٨) في نسختنا : « ان له اثنا عشر » وهو من جمل الناسخ بالنحو .

وللمطر رب ، وللريح رب ، وللشجر رب ، وللناس رب ، وللدواب رب
وللماء رب وللليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ؛ وللأرض رب^(١)
والرب الذي في السماء أكبرهم ؛ إلا أنه^(٢) يجتمع مع هؤلاء باتفاق ، ويرضى
كل واحد منهم بما يعمل شريكه . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٣) .

ورأينا طائفة منهم تعبد الحيات ، وطائفة تعبد السمك ، وطائفة
تعبد الكراكي^(٤) . فعرفوني أنهم كانوا يحاربون قوماً^(٥) من أعدائهم [٢٠٣]
فهزموا ، وأن الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهمزوا ، بعدما هزموا ،
فعبدوا الكراكي لذلك . وقالوا : « هذه ربنا و »^(٦) هذه فعالاته . هزم
أعدائنا « فهم يعبدونها لذلك^(٧) .

(١) ذكرت نختنا ستة أرباب فحسب ، ولكن ياقوت ١ / ٦٩٤ زاد فيها حتى بانث ثلاثة عشر فقال :
« للشاء رب ، وللصيف رب ، وللماء رب ، وللليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ، وللحيات رب ،
وللأرض رب » فأضفتنا النامس عه ، وافترضنا سقوط سطر من الناسخ ، لتكرر الكلمة ، وهذا كثير
الوقوع عند من ينسخ مثل هذه العبارة .

(٢) في المخطوطة : « لأنه يجتمع » - وفي ياقوت : « إلا أنه » وهي أصوب فجعلناها في المتن .

(٣) في ياقوت : « جل ربنا عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً » - وقد اقتبس ابن فضال كلامه
من القرآن الكريم ، ففي سورة الأسرى ١٧ / ٢ : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتقوا
إلى ذي العرش سيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً » .

(٤) الكركي : طائر يقرب من الوز ، أبتر الذنب ، رمادي اللون ، يأوي الماء أحياناً ، جمه كراكي .

(٥) في الأصل : « أنوما » ويرى ريتز أن تكون « قوماً » وهي أصوب .

(٦) في ياقوت : « وقالوا هذه ربنا لأنها هزمت أعداءنا فعبدوها لذلك » وافترضنا سقوط هذه الجملة ، ليعود
إليها ضمير « فعالته » .

(٧) ويضيف ياقوت مطلقاً ١ / ٦٩٤ ، فيقول انه رأى من الباشفردية في حلب ، وم شقر الشعور والوجوه
جداً ، يتفهمون على مذهب أبي حنيفة . وذكر موقع بلادهم وسبب اسلامهم وفي كلامه كثير من البعد
عن الواقع .

قال :

وسرنا من بلد هؤلاء فعبرنا « نهر جِرمِشان^(١) » ثم نهر « أوران^(٢) »
ثم نهر « أورم^(٣) » ثم نهر « بايناخ^(٤) » ثم نهر « وتيخ^(٥) » ثم نهر
« نياسنه » ثم نهر « جاوشيز^(٦) » . وبين النهر والنهر - مما ذكرنا -
اليومان والثلاثة والأربعة ، وأقل من ذلك وأكثر .

* * *

-
- (١) في الأصل بغير نقط ، وقد ذكره فراي ص ٢٧ وجعل اسمه « نهر جِرمِشان Girimsan » .
(٢) هو الآن نهر « أوران Lran » .
(٣) هو الآن نهر « أورم Urem » .
(٤) يرى ذكي وليدي أنه نهر « مينا Mayna » .
(٥) في الأصل بغير نقط، وهو الآن نهر أوتكا « Utka » من الروسية Udga ، كما يرى كوفالفسكي .
(٦) يرى فراي أنه « أكتاي Aqtay » - وهذه آخر تعليقات المستشرق فراي في مقاله عن الأنهار والمدن .

[الصقبة]

١٤

فلما كنّا مِنْ مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ^(١) وهو الذي قصدنا^(٢) له على مسيرة يوم [١١] وليلة ، وجّه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده وإخوته^(٣) وأولاده ، فاستقبلونا معهم الخبز واللحم والجاورس وساروا معنا .

فلما صرنا منه على فرسخين تلقّانا هو بنفسه ، فلما رأنا نزل فخرّ ساجداً شكراً لله - جلّ وعزّ - وكان في كتفه دراهم فنثرها علينا ، ونصب لنا قباباً فنزلناها^(٤) .

وكان وصولنا إليه يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة عشر وثلاثمائة . فكانت المسافة من الجرجانية^(٥) إلى بلده سبعين يوماً . فأقمنا يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء في القباب التي ضربت لنا حتى جمع الملوك والقواد وأهل بلده^(٦) ليسمعوا قراءة الكتاب .

(١) نقل ياقوت هذا الفصل كذلك إلى معجمه كما ذكرنا في المقدمة ، بعنوان بلغار ١ / ٧٢٣ : « وقرأت رسالة عماها أحمد بن فضال ... » وعليها نقابل ما في نسختنا - انظر تقويم البلدان ٢١٦ ، نخبة الدهر ٢٦١ حيث يحددان موقع بلغار أو بلار .

(٢) في الأصل : « قصدناه » - وفي ياقوت : « قصدناه » .

(٣) في الأصل : « تحت يده وإخوانه » - وفي ياقوت : « تحت يديه وإخوته » .

(٤) في نسختنا : « فنزلها » - وفي ياقوت : « فنزلناها » وهي أصوب .

(٥) في ياقوت : « وكانت المسافة من الجرجانية وهي مدينة خوارزم سبعين يوماً » .

(٦) في ياقوت : « حتى اجتمع ملوك أرضه وخواصه ليسمعوا قراءة الكتاب »

فلما كان يوم الخميس واجتمعوا نَشَرْنَا الْمِطْرَدَيْنِ^(١) اللذين كانا معنا ،
 وأسرجنا الدابة بالسرج الموجه إليه^(٢) ، وألبسناه السواد^(٣) وعممناه ،
 وأخرجتُ كتابَ الخليفة . وقلتُ له : « لا يجوزُ أن نجلس والكتابُ
 يقرأ » فقام على قدميه^(٤) هو ومن حضر من وجوه أهل مملكته ، وهو
 رجل بدينٌ بطينٌ^(٥) جداً .

وبدأتُ فقرأتُ صدرَ الكتاب . فلما بلغتُ منه : « سَلامٌ عليك
 فإني أحمدُ إليك اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو » . قلتُ : « رُدَّ على أمير المؤمنين
 السلام » فردَّ ، وردّوا جميعاً بأسرهم ، ولم يزل التَّرجُمان يترجم لنا حرفاً حرفاً .
 فلما استتمنا قراءته^(٦) كَبَرُوا تكبيرة^(٧) ارتجت لها الأرض .

ثم قرأتُ كتابَ الوزير « حامد بن العباس^(٨) » ، وهو قائمٌ ، ثم أمرته

(١) في نسختنا : « المطردين الذين كانا » - وفي ياقوت : « المطردين الذين كانوا معنا » - والمطرود :
 بكسر الميم وسكون الطاء - وهو الراية والواء ، يقول الجوهري : « والألوية المطارد ، وهي دون
 الأعلام والبنود ، مثل الراية » - انظر تكملة المعجم لدوزي ٢ / ٣٤ .

(٢) في نسختنا : « الموجه إلينا » - وفي ياقوت : « الموجه إليه » .

(٣) من المعلوم أن السواد هو شعار الباسيين ، يشير إليه هنا .

(٤) يختصر ياقوت هنا فيقول : « فقرأته وهو قائم على قدميه » ثم يجوز فلا يورد صدر الكتاب وردَّ
 السلام مما يفصل الأمر فيه ابن فضال .

(٥) البطين : العظيم البطن .

(٦) في النسخة : « قرأته »

(٧) يرى أحد المستشرقين أن تكون هنا : « كبروا تكبيراً » - وفي نسخة وليدي : « ارتحب » .

(٨) حامد بن العباس ، كان يتولى أعمال السواد ، ثم وُزر للقندر ، وكان كريماً مفضلاً ، متجعلاً ، سريع -

بالجلوس ، فجلس عند قراءة كتاب « نذير الحرمي » ، فلما || استتمته نثر [٤] أصحابه عليه ^(١) الدراهم الكثيرة . ثم أخرجت ^(٢) الهدايا من الطيب والسياب واللؤلؤ له ، ولأمراته . فلم أزل أعرضُ عليه وعليها شيئاً شيئاً حتى فرغنا من ذلك . ثم خلعتُ على أمراته بحضرة الناس ، وكانت جالسةً إلى جنبه ، وهذه سنتهم وزيتهم ^(٣) ، فلما خلعتُ عليها نثر النساء عليها الدراهم ، وانصرفنا .

* * *

فلما كان بعد ساعةٍ وجّه إلينا ، فدخلنا إليه ، وهو في قبه ، والملوك عن يمينه . وأمرنا أن نجلس عن يساره ، وإذا أولاده جلوسٌ بين يديه ، وهو وحده على سريرٍ مغشّى بالديباج الرومي ^(٤) ، فدعا بالمائدة فقدمت ، وعليها اللحم المشوي وحده ^(٥) .

- الطيش كما يقول ابن الطفطلي في الفخري ٣١٥ (طبعة أوربة) وذر عام ٣٠٦ - ٣١١ ، اشتغل بالتجارة ثم عظم شأنه ، ولما ولي الوزارة كان في الثمانين من العمر ، ولم يكن نصيبه من الوزارة إلا اللقب والحلمة ، وكان المدير للامور علي بن عيسى الذي كان وزيراً من قبل - انظر الحضارة الاسلامية لمتز ، بالترجمة العربية ١ / ١٦٤ - وارجع إلى ابن جرير الطبري ١٢ / ٢٩ (سنة ٣٠٣) .

(١) في نسختنا : « عليه » - وفي ياقوت « علينا » .

(٢) في نسختنا ينسب ابن فضال الأعمال لنفسه بضمير المتكلم المفرد ، وفي ياقوت بضمير المتكلم الجمع ، فيقول : « واخرجنا الهدايا وعرضناها عليه ثم خلعتنا على امرأته وكانت جالسة إلى جانبه » - ويلاحظ أن ياقوت يوجز ويختصر فلا يورد العبارة بنصها ، ولا يذكر أنواع الهدايا .

(٣) في ياقوت : « سنتهم ودأبهم » .

(٤) الديباج الرومي : الحرير الرومي ، مشهور معروف بمجودته في القرن الرابع وكان يجلب إلى بلاد المسلمين من فرنسا غالباً ، كما في ابن الفقيه ٢٧٠ ، والحضارة الاسلامية ٢ / ٣٠١ .

(٥) هنا يوجز ياقوت في النقل ، ولكنه يقول : « وعليها لحم مشوي » .

فابتدأ هو فأخذ سكيناً وقطع لقمةً وأكلها ، وثانيةً ، وثالثةً ، ثم احتز قطعةً دفعها إلى « سوسن » الرسول . فلما تناولها جاءت مائدةٌ صغيرة فجعلت بين يديه . وكذلك الرسم ، لا يمدُّ أحدٌ يده إلى الأكل حتى يناوله الملكُ لقمةً ، فساعة يتناولها قد جاءت مائدة^(١) . ثم ناولني فجاءتني مائدة [ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة . ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة] . ثم ناول الملك الرابع فجاءته مائدة ، ثم ناول أولاده فجاءتهم الموائد .

وأكلنا^(٢) كل واحد من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً ، فإذا فرغ من الطعام^(٣) ، حمل كل واحد منهم^(٤) ما بقي على مائدته إلى منزله .

فلما أكلنا^(٥) دعا بشراب العسل وهم يسمونه « السجو »^(٦) ليومه

(١) كذا في الأصل عندنا وهو مضطرب ، وفي ياقوت : « فإذا تناولها جاءت مائدة » ، ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة ، ثم ناوله الملك الثاني فجاءته مائدة ، وكذلك حتى قدم إلى كل واحد من الذين بين يديه مائدة » وهي عبارة واضحة مستقيمة أثبتناها ليستأنس بها القارئ في تصوّر المراسم عندهم ، وهي قريبة مما هي اليوم في الغرب اختصرتنا منها ما يصلح للسياق ووضعناه في المتن .

(٢) في ياقوت : « وأكل كل واحد منا من مائدة لا يشاركه فيها أحد » .

(٣) في ياقوت : « من الأكل » .

(٤) في المخطوطة : « كل واحد منهم ما يبقى على مائدتنا » - وهو تحريف واضح ، وفي ياقوت : « كل واحد منا ما بقي على مائدته إلى منزله » .

(٥) في ياقوت : « فلما فرغنا » .

(٦) السجو أو سرجو وسوجي : لم نجد له ذكراً في معاجنا ، وقد حام حول تفسيره المستشرقون فرأوا أنه الخمر ، ونحن نستبعد أن يشرب الشيخ ابن فضال خمراً ، ومع ذلك يقول ياقوت : « فشرب وشربنا قدحاً » .

- انظر ص ١٢٩ التالية وتعليق كاثار ص ٨٩ بالترجمة الفرنسية .

وليلته فشرب قدحاً ، ثم قام قائماً فقال : « هذا سروري بمولاي أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — » وقام الملوك الأربعة وأولاده لقيامه ^(١) ، وقمنا نحن أيضاً حتى إذا فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثم انصرفنا من عنده .

* * *

وقد كان يُخَطَّب له على منبره قبل قدومي ^(٢) : « اللهم وأصلح ^(٣) الملك يلطوار ^(٤) ملك بلغار » . فقلتُ : أنا له : « إِنْ الله هُوَ الملك ، ولا يُسمَّى على المنبر ^(٥) بهذا الاسم غيره — جلَّ وعزَّ — وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي ^(٦) لنفسه أن يُقال على منبره في الشرق والغرب : اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفرَ الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين . وكذا من كان قبله || من آبائه الخلفاء . وقد قال النبي ﷺ : ﴿ لا تُطروني كما أُطرتِ [٤]

(١) حذف ياقوت هذه الجملة الأخيرة ، فهو هنا يوجز ويختصر من الرسالة .

(٢) في ياقوت : « قبل قدومنا » .

(٣) في مخطوطتنا : « اللهم وأصلح » - وفي ياقوت : « اللهم أصلح » ولا ثبات الواو أو حذفها رجعتنا إل تماير القدماء في ذلك فرأينا في مخطوطة « رسوم دار الخلافة » للصافي ، بالورقة ١٨٨ أنه من عادة الخطب أن يقال على المنابر : « اللهم وأصلح عبدك وخليفتك عبد الله » فأبقينا الواو هنا ، وإن كانت محذوفة في جملة مشابهة بعد قليل ، ولكنه ثبتها بعد ذلك .

(٤) ذكرنا الصور المختلفة التي قلبها المستشرقون لمعرفة بלטوار ، فبعضهم يرى أنه الب ايلطوار ، وايلطوار ، وبلطمار ، وبال ايدار وفردن قل أن من ملوك التتار ملك يسمى « ايدار » . وقد شرحنا ذلك مستوفي ولكننا نسبنا أن نضيف ملاحظة هذا المستشرق وهي أن ملك الروس على الفولغا كان اسمه « ايكور Igore » وقد صفه الرب ، وقال برتولد أن لقب ملك البلغار « بطاطون Waldawac » فأصبح الب ايلطوار .

(٥) في ياقوت : « ولا يجوز أن يخُطب لأحد سِما على المنابر » .

(٦) في مخطوطتنا : « قد رضي » - وفي ياقوت : « وصى » .

النَّصَارَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا [عَبْدٌ فَقُولُوا] عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ^(١) .
 فقال لي: « فكيف يجوز أن يخُطب لي؟ » قُلْتُ: « بِاسْمِكَ واسمِ أَيْيِكَ » ،
 قال: « إِنَّ أَبِي كَانَ كَافِرًا وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَذْكَرَ اسْمَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَأَنَا أَيْضًا
 فَمَا أُحِبُّ أَنْ يَذْكَرَ اسْمِي ، إِذْ كَانَ الَّذِي سَمَّانِي [بِهِ] ^(٢) كَافِرًا . وَلَكِنْ
 مَا اسْمَ مَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ » فَقُلْتُ: « جَعْفَرٌ » ، قَالَ: « فَيَجُوزُ أَنْ
 أَتَسْمِيَ بِاسْمِهِ؟ » قُلْتُ: « نَعَمْ » . قَالَ: « قَدْ جَعَلْتَ اسْمِي جَعْفَرًا ، واسم
 أَبِي عَبْدَ اللَّهِ فَتَقَدَّمْ إِلَى الْخُطِيبِ ^(٣) بِذَلِكَ » ففعلت .

فَكَانَ يَخْطُبُ لَهُ: « اَللّٰهُمَّ وَأَصْلَحْ عَبْدَكَ جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرَ بُلْغَارِ
 مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

* * *

١٥

ولما كان ^(٤) بعد قراءة الكتاب وإيصال الهدايا بثلاثة أيام ، بعث

(١) جاء الحديث النبوي الشريف في الفتح الكبير للسيوطي ٣ / ٣٢٩ ، نقله عن البخاري ، وهذا نصه
 فيه : « لَا تَطْرُقُنِي كَمَا أَطْرُقَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ » وقد اسقطت
 نسختنا كلمتين لعلها سقطتا لذهول الناسخ فأرجعتهما إلى المتن ، وأما ياقوت فقد أغفل ذكر الحديث
 واختصر كما فعل في سائر النسخ .

(٢) زيادة من ياقوت - وهنا يتأكد أن اسمه لم يكن الحسن كما صحت النسخة في بدشها بل « المش » كما قلنا .

(٣) في نسختنا : « إل الخطيب بذلك ففعلت » وهذا تحريف ، صوبناه عن ياقوت .

(٤) هذه الصفحة لم يثبتها ياقوت ، وإنما يستأنف النقل عند ذكر السجائب ، فليس فيه أمر المال ووصوله لأنه
 لديهم ياقوت في بجنه .

إِلَيَّ وَقَدْ كَانَ بَلَّغَهُ أَمْرَ الْأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ حِيلَةِ النَّصْرَانِيِّ (١) فِي تَأْخِيرِهَا ، وَكَانَ خَبَرُهَا فِي الْكِتَابِ .

فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ أَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ ، وَرَمَى إِلَيَّ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : « مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْكِتَابِ ؟ » قُلْتُ : « أَنَا » . ثُمَّ رَمَى إِلَيَّ كِتَابَ الْوَزِيرِ ، فَقَالَ : « وَهَذَا أَيْضًا ؟ » قُلْتُ : « أَنَا » . قَالَ : « فَالْمَالُ الَّذِي ذُكِرَ فِيهِمَا مَا فَعَلَ [بِهِ] ؟ » (٢) قُلْتُ : « تَعَذَّرَ جَمْعُهُ ، وَضَاقَ الْوَقْتُ ، وَخَشِينَا فَوْتَ الدُّخُولِ ، فَتَرَكْنَاهُ لِيَلْحَقَ بِنَا » . فَقَالَ : « إِنَّمَا جِئْتُمْ بِأَجْمَعِكُمْ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْكُمْ مَوْلَايَ مَا أَنْفَقَ لِحَمْلِ هَذَا الْمَالِ إِلَيَّ ، حَتَّى أَتَيْتَنِي بِهِ حِصْنًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْيَهُودِ (٣) الَّذِينَ قَدْ اسْتَعْبَدُونِي . فَأَمَّا الْهَدِيَّةُ فَعَلَامِي قَدْ كَانَ يُحْسِنُ أَنْ يَجِيءَ بِهَا » . قُلْتُ : « هُوَ كَذَلِكَ ! إِلَّا أَنَّا قَدْ اجْتَهَدْنَا » . فَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ : « قُلْ لَهُ أَنَا لَا أَعْرِفُ هَؤُلَاءِ ، إِنَّمَا أَعْرَفْتُكَ أَنْتَ ، وَذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ عَجَمٌ ، وَلَوْ عَلِمَ الْأُسْتَاذُ (٤) - أَيْدَهُ اللَّهُ - أَنَّهُمْ يَبْلُغُونَ

(١) النصراني ، وهو الفضل بن موسى ، وقد موّ بنا في الصفحة ١٩٧ ظ ، وهو وكيل ابن الفرات ، كان عليه أن يدفع ما يرتفع من القرية ، ولكنه احتال وسوّف كما رأينا .

(٢) أضفناها لتمام المعنى .

(٣) نحدث ابن حوقل عن الخزر ٣٨٩ / ٢ فقال : « أما الخزر فاسم الاقليم ، وقصبتها تسمى اقل ... والملك يهودي » ، ويقال ان له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل « والمقصود باليهود هم الخزر ، كما قلنا - وفي غيبة الدهر لشيخ الربوة ٢٦٣ ، عن الخزر أنهم ملهون ويهود ، وابن الأثير يقول أنهم أسلموا سنة ٢٥٤ ، وذكر - بب اسلامهم .

(٤) تسميته للخليفة بالأستاذ عجيبة ، وقوله أنهم عجم أعجب ، لأن ابن فضال نفسه مول أعجمي ، فيما تقدّر .

ما تبلغ ما بعث بك حتى تحفظ علي^(١) وتقرأ كتابي ، وتسمع جوابي ،
ولست أطلب غيرك بدرهم^(٢) فأخرج من المال^(٣) فهو أصلح لك .

فانصرفت من بين يديه مذعوراً مغموماً ، وكان رجلاً^(٤) له منظر
وهيبة^(٥) ، بدين ، عريض كأنما يتكلم من خاية . فخرجت من عنده
وجئت أصحابي || وعرفتهم ما جرى بيني^(٦) وبينه . وقلت لهم : « من
هذا حذرت ! »

* * *

وكان مؤذنه يُثني الإقامة إذا أذن ، فقلت له : « إن مولاك
أمير المؤمنين يُفرد في داره الإقامة » . فقال للمؤذن : « إقبل ما يقوله لك
ولا تخالفه » .

فأقام المؤذن^(٧) على ذلك أياماً وهو يُسائلني عن المال ، ويُناظرني فيه ،

(١) لعله يريد : « حتى تحفظ عليّ حقّي » .

(٢) في المخطوطة : « وليس أطلب غيرك درهم » فلملها كما رسمنا .

(٣) اخرج من المال أو أخرج عنه : أعطه ، دوزي ٣٥٨/١ - وخرج الرجل إلى فلان من دينه قضاء إياه

(٤) في المخطوطة : « رجل » وصوابها ما أثبتنا .

(٥) يتسامل المستشرق الروسي هنا لملها « هيئة » .

(٦) في المخطوطة : « بينه وبينه » والمها كما وضعنا .

(٧) الضير « هو » يعود على الملك طبعاً .

وأنا أويسه^(١) منه ، وأحتج فيه . فلما ينس منه تقدم إلى المؤذن أن ينثي الإقامة ، ففعل . وأراد بذلك أن يجعله طريقاً إلى مناظرتي . فلما سمعتُ تنثيته للإقامة نهيته^(٢) وصحتُ عليه ، فعرف الملكُ ذلك ، فأحضرني وأحضر أصحابي .

فلما اجتمعنا قال للترجمان : « قل له - يعني^(٣) - ما يقول في مؤذنين أفرد أحدهما وثني الآخر ، ثم صلى كل واحد منهما بقوم أتجوز الصلاة أم لا ؟ » قلتُ : « الصلاة جائزة » . فقال : « باختلاف أم باجماع ؟ » قلتُ : « باجماع ! » قال : « قل له فما يقول في رجل دفع إلى قوم مالا لأقوام ضعفي^(٤) محاصرين مستعبدين فخانوه ؟ » فقلتُ : « هذا لا يجوز ، وهؤلاء قوم سوء » . قال : « باختلاف أم باجماع ؟ » قلتُ : « باجماع » ، فقال للترجمان : « قل له : تعلم أن الخليفة - أطل الله بقاءه - لو بعث

(١) أيسه وآيسه ايئاساً : جملة يقنط ، مثل ينس وأياس .

(٢) جاء في مجمع الزوائد للهيتمي ١ / ٣٣٠ : « وكان بلال يقيم للنبي (صلى الله عليه وسلم) بفرد الإقامة » وروى في غير هذا المكان أن الأذان على عهد الرسول كان مثنى مثنى والإقامة فرادى - وقد بحث المستشرقون ذلك في تعليقاتهم . والمستشرق جوينبول يرى أن الخفية وحدهم كانوا ينتنون وأن غيرهم كان يفرد في الإقامة وحدها ، وقد كتب في دائرة المعارف الإسلامية حول الأذان ١ / ١٣٥ ، وحول الإقامة ٢ / ٤٨٥ .

(٣) في المخطوطة « يعيني » ، ولا معنى لها ، فلمله يريد « يعني » بمعنى يقصدني .

(٤) الضعيف : جمعه ضماف وضعفي وضعفاء .

إِلَيَّ جَيْشًا كَانَ يَقْدِرُ عَلَيَّ^(١) ؟ » قلتُ : « لا » . قال : « فَأَمِيرُ خُرَاسَانَ ؟ »
 قلتُ : « لا » . قال : « أليس لبعد المسافة وكثرة مَنْ يَبْتَنَّا مِنْ قِبَائِلِ
 الْكُفَّارِ ؟ » قلتُ : « بلى » ، قال : « قُلْ لَهُ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَبِمَكَانِي^(٢) الْبَعِيدِ
 الَّذِي تَرَانِي فِيهِ ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ مِنْ مَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي أَخَافُ
 أَنْ يَبْلُغَهُ عَنِّي شَيْءٌ يَكْرَهُهُ فَيَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكَ بِمَكَانِي ، وَهُوَ فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَيَبْنِي
 وَيَبْنِيهِ الْبُلْدَانَ الشَّاسِعَةَ . وَأَنْتُمْ تَأْكُلُونَ خُبْزَهُ وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَهُ ، وَتَرَوْنَهُ فِي
 كُلِّ وَقْتٍ خُنْتُمُوهُ فِي مِقْدَارِ رِسَالَةٍ بَعَثَكُمْ بِهَا إِلَيَّ ، إِلَى قَوْمٍ ضَعْفَى ، وَخُنْتُمْ
 الْمُسْلِمِينَ ! لَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ أَمْرَ دِينِي حَتَّى يَجِئَنِي^(٣) مَنْ يَنْصَحُ لِي فِيمَا يَقُولُ .
 فَإِذَا جَاءَنِي إِنْسَانٌ بِهَذِهِ الصُّورَةِ قَبِلْتُ مِنْهُ » . فَأَلْجَمْنَا^(٤) وَمَا أَحْرَنَّا جَوَابًا ،
 وَانْصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِهِ .

قال :

فَكَانَ بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ يُؤَثِّرُنِي وَيُقَرِّبُنِي ، وَيُبَاعِدُ أَصْحَابِي ، وَيُسَمِّنِي
 « أَبَا بَكْرٍ الصَّدِّيقِ^(٥) » .

* * *

- (١) في نسخة الدهر لشيخ الربوة ص ٢٦١ : « قَالَ أَبُو عبيدة الْبَكْرِي : الصَّقَالِبَةُ ذُوو بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَشَدَّةُ
 وَصُولَةٍ ، وَلَوْلَا اخْتِلَافُهُمْ بِكَثْرَةِ تَفَرُّعِ أَعْرَاقِهِمْ وَتَفَرُّقِ أَفْخَاذِهِمْ لَمَا قَامَتْ لَهُمْ أُمَةٌ مِنَ الْأُمَمِ » .
 (٢) في المخطوطة : « لِمَكَانِي الْبَعِيدِ الَّذِينَ » فَأَصَابَهَا كَمَا تَرَى .
 (٣) في المخطوطة : « حَقٌّ يَجِئَنِي » وَصَوَابُهَا مَارِسْنَاهُ .
 (٤) أَلْجَمْنَا : أَسْكَنْنَا ، وَالتَّجَمُّعُ عَنِ الْكَلَامِ ، كَأَنَّهُ أَلْجَمَ بِلُجَامٍ ، وَمِثْلُهُ أَحَارَ الْجَوَابَ لِإِحَارَةٍ .
 (٥) فِي الْأَصْلِ : « أَبُو بَكْرٍ » وَلَمَّا كَتَبَ ابْنُ فَضَالَانَ هِيَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأُضَافَ إِلَيْهِ الصَّدِّيقُ لِمَدَقَّةِ .

|| ورأيتُ في بلده^(١) من العجائب ما لا أحصيتها كثرة . [٥٠]

من ذلك : أن أول ليلة بتناها في بلده رأيتُ قبلَ مغيبِ الشمسِ بساعةٍ قياسية^(٢) أفقَ السماءِ وقد احمرتُ احمراراً شديداً وسمعتُ في الجوِّ أصواتاً^(٣) شديدةً ومهممةً عاليةً ، فرفعتُ رأسي فإذا غيمٌ أحمرٌ مثل النار قريب مني ، وإذا تلك المهممةُ والأصواتُ منه ، وإذا فيه أمثالُ الناس والدواب ، وإذا في | أيدي |^(٤) الأشباح التي فيه ، تشبه الناس^(٥) ، رماح^(٦) وسيوفٌ أتبيّنُها وأتخيّلُها ، وإذا قطعةٌ أخرى مثلُها أرى فيها أيضاً رجالاً ودواب وسلاحاً ، فأقبلتُ هذه القطعةُ تحمل^(٧) على هذه كما تحملُ الكتيبةُ على الكتيبة . ففرزنا من ذلك وأقبلنا على التضرّع والدعاء ، وهم^(٨) يضحكون مِنّا ويتعجبون من فعلنا .

-
- (١) يعود ياقوت إلى نقل كلام ابن فضال وإثباته في مجعده - انظر كانار ص ٩٥ .
 (٢) يحذف ياقوت كلمة : « قياسية » - ولعل الساعة القياسية هي الساعة تماماً .
 (٣) في مخطوطتنا : « صوتاً شديدة » وفي ياقوت : « أصواتاً عالية ومهممة » فأصلحنا كلمة « صوتاً » بجميعها .
 (٤) في مخطوطتنا : « وإذا في الاستباح » وهي مصحفة - وفي ياقوت : « وإذا في أيدي الأشباح » فأضفناها أيدي عنه وصوبنا .
 (٥) ليس في ياقوت : « تشبه الناس » فهي عندنا زائدة .
 (٦) في ياقوت : « قسيّ ورماح وسيوف » .
 (٧) ليس في ياقوت : « تحمل » فهي عندنا وحدها .
 (٨) في ياقوت : « وأهل البلد يضحكون » .

قال :

وكنا ننظرُ إلى القطعة تحملُ [على] ^(١) القطعة فتختلطان جميعاً ^(٢) ساعةً ثم تفترقان . فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ^(٣) ثم غابتا . فسألنا الملك عن ذلك فزعمَ أنَّ أجداده كانوا يقولون : إنَّ هؤلاء من مؤمني الجرن وكفارهم ، وهم ^(٤) يقتتلون في كلِّ عشية ، وأنهم ما عدموا هذا منذ كانوا في كلِّ ليلة .

* * *

قال :

ودخلتُ أنا وخياط [كان] للملك ^(٥) من أهل بغداد — قد وقع إلى تلك الناحية ^(٦) — قُبَّتِي ، لتحدث ، فتحدثنا بمقدار ما يقرأ ^(٧) إنسانٌ أقلَّ من نصفِ سُبُع ، ونحن ننتظر أذانَ العتمة ^(٨) ، فإذا بالأذان . فخرجنا من القبة وقد طلعَ الفجرُ . فقلتُ للمؤذن : « أي شيء أذنتَ » . قال : « أذان

(١) ناقصة في نسختنا أخذناها عن ياقوت .

(٢) في مخطوطتنا : « ذلك » ثم طمس بالقلم فحذفناها .

(٣) في ياقوت : « فما زال الأمر كذلك إلى قطعة من الليل » .

(٤) في مخطوطتنا : « ثم غابتا » وصوابها ما جاء في ياقوت ، مما أثبتناه .

(٥) في مخطوطتنا : « وخياط الملك » — في ياقوت « وخياط كان للملك » — وهذا دليل آخر على أسبقية العرب في الحضارة ، وهي مغامرة قومنا في ارتياد الأقطار سعيًا وراء الرزق .

(٦) هذه الجملة بين شرطين لم تقع في ياقوت .

(٧) في ياقوت : « بمقدار ما يقرأ الإنسان نصف ساعة » .

(٨) في ياقوت : « أذان العشاء » .

الفجر » ، قلت : « فالعشاء الآخرة » ^(١) . قال : « نُصَلِّيها مع المغرب » ، قلتُ : « فالليل » ، قال : « كما ترى ؛ وقد كان أقصر من هذا إلا أنه قد أخذ ^(٢) في الطول » . وذكر أنه منذ شهر ما نام ^(٣) خوفاً أن تفوته صلاة الغداة ^(٤) . وذلك أن الإنسان يجعل القيدَ على النار وقت المغرب ، ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج .

قال :

ورأيتُ النَّهَارَ عندهم طويلاً جداً وإذا أَنَّهُ يطولُ عندهم مدةً من السَّنة ويقصر الليل ، ثم يطولُ الليلُ ويقصر النهارُ . فلما كانت اللَّيْلَةُ الثانية جلستُ خارجَ القبة وراقبتُ السماء فلم أَرَ || من ^(٥) الكواكب إلا عدداً [٠٦] يسيراً ظننتُ أَنه نحو ^(٦) الخمسة عشر كوكباً [متفرقة . وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بته . وإذا الليلُ] ^(٧) قليلُ الظُّلْمَةِ يعرفُ الرجلُ الرجلَ فيه مِنْ أَكْثَرِ مِنْ غَلْوَةِ سَهْمٍ ^(٨) .

(١) في ياقوت : « فعشاء الآخرة » .

(٢) في ياقوت : « وقد أخذ الآن في الطول » .

(٣) في ياقوت : « ما نام الليل » .

(٤) في ياقوت : « يفوته صلاة الصبح » .

(٥) يختصر ياقوت في رواية الجملة السابقة : « جلست فلم أرها من الكواكب » .

(٦) في ياقوت : « فوق الخمسة عشر » .

(٧) سقط هذا السطر من مخطوطتنا ، فأخذناه من ياقوت ، وبدونه لا يتم السياق ، ويرى الروس ان كلمة

قبل المغرب يجب أن تكون بالمغرب .

(٨) غلوة سهم : الغلوة : الغاية ، وهي رمية سهم أبعد ما يقدر عليه . ويقال هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى

أربعمائة ، جمعها غلوات وغللاء .

قال :

ورأيت القمر لا يتوسط السماء بل يطلع في أرجائها^(١) ساعة ثم يطلع
الفجر فيغيب القمر . وحدّثني الملك أن وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قوم
يُقال لهم « ويسو »^(٢) ؛ الليل عندهم أقل من ساعة .

قال :

ورأيت البلد عند طلوع الشمس يحمر^(٣) كل شيء فيه من الأرض
والجبال وكل شيء ينظر الإنسان إليه حين^(٤) تطلع الشمس كأنها غمامة
كبيرة^(٥) ، فلا تزال الحُمْرة كذلك حتى تكبد السماء . وعرفني أهل
البلد أنه إذا كان الشتاء عادَ الليل في طول النهار ، وعاد النهار في قصر الليل ،
حتى أن الرجل منا ليخرج إلى موضع^(٦) يقال له « إتل » — بيننا وبينه

(١) يروي ياقوت هذه الجملة مختصرة .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٤ / ٩٤٤ : « ويسو : بكسر أوله والسين مهملة وواو : بلاد وراء بلفار
بينها وبين بلفار ثلاثة أشهر » - والمستشرق فرعون يعلق على هذه الكلمة تعليقات طويلة بالصفحة ٢٢٠
ومايليا ، ويرى أن « ويسو Wisu هي « روسيا البيضاء Bielo Russe » ، وانها قرب موسكو ،
غربي ورنك ، وحصل تعليقه أن الكلمة تتركب من لفظتين « أبيض وبحر » أو منطقة بيضاء . ولا بد
من الملاحظة بأن الناسخ عندنا رسمها « ويسوا » بألف بعد الواو كما يفعل دائماً بعض النساخ
أخافاً بواو الجمع . . .

(٣) صوبنا لفظه « تحمر » كما نصوب غالباً من غير أن نشير الى ذلك .

(٤) في الأصل : « وتطلع » - وفي ياقوت : « حين تطلع » .

(٥) في الأصل : « غمامة كبيراً » وصوابها ما في ياقوت .

(٦) في الأصل عندنا : « موضع يقال له » - وفي ياقوت : « نهر يقال له » وكدنا نصوب لسختنا ، ولكن
ياقوت ١ / ١١٢ يقول : « إتل نهر عظيم شبيه بدجلة في بلاد الخزر ، ويمر ببلاد الروس وبلغار .
وقيل : لإتل قصبة بلاد الخزر والنهر مسمى بها » فتركنا الكلمة كما جاءت في لسختنا .

أقلُّ من مسيرة^(١) فرسخ - وقتَ طلوع الفجر فلا يبلغه إلى العتمة^(٢) ،
إلى وقت طلوع الكواكب كلها حتى تطبق السماء . فما برحنا من البلد
حتى امتدَّ الليلُ وقصر النهار^(٣) .

* * *

١٧

ورأيتهُم يتبركون بعُواء الكلاب جدًّا ، ويفرحون به ، ويقولون^(٤) :
سنة خصب وبركة وسلامة .

ورأيتُ الحياتِ عَندَهم كثيرةً حتى أنَّ^(٥) الغصنَ من الشجرة لتلتف
عليه العشرة^(٦) منها والأكثر ، ولا يقتلونها ولا تؤذيهم . حتى لقد رأيتُ
في بعض المواضع شجرةً طويلةً يكونُ طولُها أكثرَ من مائة ذراع ، وقد
سقطتُ وإذا بدنها عظيمٌ جدًّا فوقفتُ أنظرُ إليه إذ تحرك فراعني^(٧) ذلك .
وتأملته فإذا عليه حيَّةٌ قريية^(٨) منه في النِلاظ والطَّول . فلما رأتهُ سقطتُ

-
- (١) في ياقوت : « مسافة فرسخ » .
(٢) في نسختنا : « إلا وقت العتمة وتطلع الكواكب » - وفي ياقوت : « إلى العتمة إلى وقت طلوع الكواكب »
(٣) هذه الجملة الأخيرة نافضة في ياقوت - نقل الاصطخري من غير شك عن ابن فضال أمر قصر الليل في الصيف وطوله في الشتاء .
(٤) يختلف ياقوت في رواية هذا السطر ، ويروي : « ويقولون تأق عليهم سنة » .
(٥) في نسختنا : « حتى إذا الغصن من الشجرة لتلتف » - وفي ياقوت : « حتى أن الغصن من الشجر يلتف »
(٦) في ياقوت : « عشرة منها وأكثر » .
(٧) هذا المقطع كله أغفله ياقوت .
(٨) في النسخة : « قريب » .

عنه ، وغابت بين الشجر فجئت فزعاً . فحدثتُ الملكَ ومن كان في مجلسه ، فلم يكثرثوا لذلك . وقال : « لا تجزع فليس تؤذيك » .

ونزلنا مع الملك منزلاً ، فدخلتُ أنا وأصحابي تكين ، وسوسن ، وبارس ، ومعنا رجل من أصحاب الملك بين الشجر فرأينا^(١) عوداً صغيراً أخضر كركرة المغزل وأطول ، فيه عرق^(٢) أخضر ، على رأس العرق ورقة عريضة مبسوطة على الأرض ، مفروش عليها مثلُ النَّابت^(٣) ، فيها حبٌ [ظ] لا يشك من يأكله أنه || رمان أمليسي^(٤) ، فأكلنا منه فإذا به من اللذة أمرٌ عظيمٌ ، فما زلنا نتبعه ونأكله .

* * *

ورأيتُ لهم ثفاًحاً أخضر شديداً الخُصرة^(٥) وأشدَّ مُحوصةً من خلّ الخمر ، تأكله الجوّاري فيسمن^(٦) عليه . ولم أَر في بلدٍ أكلتُ من شجر البندق ، لقد رأيتُ منه غياضاً تكون الغيضة^(٧) أربعين فرسخاً في مثلها .

(١) في نسختنا : « فإذا لنا » ولا معنى لها ، فاقترح أحد المستشرقين أن تكون : « فإذا أنا بمود » ، واقترح آخر : « فأرانا عوداً » ولكننا فضلنا هذه الرواية التي أثبتناها . وكل ذلك في ياقوت .

(٢) في نسختنا : « فيه عرنا » وهو خطأ من الناسخ فأصلحناه .

(٣) النَّابت : الطري من كل شيء حين ينبت صغيراً .

(٤) رمان أمليس وأمليسي : حلو طيب ، لا عجم فيه أي لانهوة له .

(٥) عاد ياقوت إلى النقل عن ابن فضال ، ولكنه يوجز في العبارة ويختصرها .

(٦) في نسختنا : « فيسمى » وصوابها ما في ياقوت ، وقد قلنا إن جلته تختلف عما عندنا فلا حاجة إلى روايتها هنا .

(٧) الغيضة : الأجمة ، ويجتمع الشجر في مفيض الماء ، جمه غياض وأغياض وغيضات .

ورَأَيْتُ لَهُمْ شَجَرًا لَا أُدْرِي مَا هُوَ ، مَفْرَطُ الطُّولِ وَسَاقُهُ ^(١) أَجْرَدُ
 مِنَ الْوَرَقِ ، وَرَوْوُسُهُ كَرَوْوُسِ النَّخْلِ لَهُ خُوصٌ ^(٢) [دِقَاق] ^(٣) ، إِلَّا أَنَّهُ ^(٤)
 يَجْبِيثُونَ ^(٥) إِلَى مَوْضِعٍ يَعْرِفُونَهُ مِنْ سَاقِهِ ، فَيَتَقَبَّوْنَهُ ، وَيَجْعَلُونَ
 تَحْتَهُ إِنْاءً فَتَجْرِي ^(٦) إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الثَّقَبِ مَاءٌ أَطْيَبُ مِنَ الْعَسَلِ ، إِنْ
 أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ أَسْكَرَهُ كَمَا يُسْكَرُ ^(٧) الْخَمْرُ .

وَأَكْثَرُ أَكْلِهِمُ الْجَاوِرُسُ ^(٨) وَلَحْمُ الدَّابَّةِ ^(٩) ، عَلَى أَنَّ الْحَنْظَلَةَ وَالشَّعِيرَ
 كَثِيرٌ ^(١٠) . وَكُلُّ مَنْ زَرَعَ شَيْئًا أَخَذَهُ لِنَفْسِهِ ؛ لَيْسَ لِلْمَلِكِ فِيهِ حَقٌّ غَيْرَ أَنَّهُمْ
 يُوْثِدُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ جِلْدَ سَمُورٍ ^(١١) . وَإِذَا أَمَرَ سَرِيَّةٌ
 بِالْغَارَةِ عَلَى بَعْضِ الْبُلْدَانِ فَغَنِمَتْ كَانَ لَهُ مَعَهُمْ حِصَّةٌ . وَلَا بَدَّ لِكُلِّ مَنْ

(١) فِي نَسَخَتِنَا : « وَسَاقِيَّة » وَهُوَ تَصْحِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) أَضَفْنَا الْكَلِمَةَ مِنْ يَاقُوتَ - وَالْخُوصُ : وَرَقُ النَّخْلِ مَفْرَدُهَا خُوصَةٌ .

(٣) قَبْلَ هَذَا فِي مَخْطُوطَتِنَا : « وَقَالَ » وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا زَائِدَةٌ فَحَذَفْنَاهَا .

(٤) فِي نَسَخَتِنَا : « بِمُوز » وَهِيَ غَامِضَةٌ لَا تَمْنَى شَيْئًا - وَفِي يَاقُوتَ : « يَعْمِدُونَ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ سَاقِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ يَعْرِفُونَهُ فَيَتَقَبَّوْنَهُ » ، وَقَدْ تَعَوَّدْنَا خَطَةَ النَّاسِخِ فَهُوَ كَلِمًا رَسْمَ « بِمُوز » فَأَصْلُهَا : « يَجْبِيثُونَ » فِي النُّسَخَةِ الَّتِي نَقَلَ عَنْهَا .

(٥) فِي يَاقُوتَ : « يَجْرِي » .

(٦) فِي يَاقُوتَ : « تَسْكَرُ الْخَمْرُ » . لَعَلَّهُ يَعْنِي بِهَذَا الشَّجَرِ قَصَبَ السَّكْرِ .

(٧) شَرَحْنَا الْكَلِمَةَ فِي الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ .

(٨) فِي يَاقُوتَ : « وَلَحْمُ الْحَيْلِ » .

(٩) فِي يَاقُوتَ : « كَثِيرٌ فِي بِلَادِهِمْ » .

(١٠) فِي يَاقُوتَ : « جِلْدُ ثَوْرٍ » - وَالسَّمُورُ حَيَوَانٌ بَرِّي يَشَبُهَ السَّمُورَ ، يَتَّخِذُ مِنْ جِلْدِهِ لِرَأْيِ ثَمِينَةٍ لِيَنْهَسَهَا وَخَفَّتْهَا وَادْفَأَتْهَا وَحَسَنَتْهَا ، جَمْعُ سَامِيرٍ .

يعترس^(١) أو يدعو دعوة من زلة^(٢) للملك على قدر الوليمة وساخرخ^(٣) من نبذ العسل ؛ وحنطة ردية ؛ لأن أرضهم سوداء منتنة .

وليس لهم مواضع يجمعون فيها طعامهم ، ولكنهم يحفرون في الأرض آباراً ، ويجعلون الطعام فيها ، فليس يمضي عليه إلا أيام^(٤) يسيرة حتى يتغير ويريح^(٥) فلا ينتفع به .

وليس لهم^(٦) زيت ، ولا شيرج^(٧) ، ولا دهن بته . وإنما يقيمون مقام هذه الأدهان دهن السمك ، فكل شيء يستعملونه فيه يكون زفراً . ويعملون من الشعير حساء^(٨) يُحسونه^(٩) الجواري والغلمان . وربما طبخوا الشعير باللحم ، فأكل الموالي اللحم وأطعموا الجواري الشعير إلا أن يكون رأس تيس^(٩) فيطعم من اللحم .

* * *

- (١) لم تقع هذه الجملة في ياقوت - ويقترح أحد المستشرقين أن تكون « يفترس » بالنين .
 (٢) الزلة : الصنعة ، والعرس والوليمة ، وما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك .
 (٣) في الأصل : « وساخرج » ، اقترح أحد المستشرقين أن تكون : « سيخرج » وهي كما يقول وليدي وكانار : مقياس للموائل .
 (٤) في نسختنا : « أياماً » وهي خطأ في النحو .
 (٥) في الأصل : « يريح » وهي من الرائحة السيئة الفاسدة هنا ، ولعلها « يزنج » والدهن إذا زنج فسد وتغير ، وما تزال تستعمل في لغة العامة .
 (٦) في ياقوت : « وليس عندهم شيء من الأدهان غير دهن السمك فانهم يقيمونه مقام الزيت والشيرج فهم كانوا لذلك زفرين » وكأنه أخذ بالمعنى فجعله بمبارته .
 (٧) الشيرج : دهن السمك .
 (٨) حساء وأحساء وحساء تحية واحساء وحساء : أشربه إياه .
 (٩) في الأصل : « رأس بفس » بالغاء ، ويقترح بعض المستشرقين أن تكون بالنين ، وآخر يرى أن تكون « تيس » ولكننا لم نجد لها معنى مقبوماً ، وهي ناقصة في ياقوت لأنه حذف الجملة كلها .

وكلّهم يلبسون القلانس^(١) ، فإذا ركب الملك ركب وحده بغير غلام ، ولا أحد يكون معه . فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحدٌ إلا قام وأخذ قلنسوته عن رأسه فجعلها تحت إبطه || فإذا جاؤهم ردّوا قلانسهم إلى^(٢) رؤوسهم . [٧] وكذلك كل من يدخل إلى^(٣) الملك من صغير وكبير حتى أولاده وإخوته ساعة ينظرون^(٤) إليه قد أخذوا قلانسهم فجعلوها تحت آباطهم ، ثم أوموا إليه برؤوسهم ، وجلسوا ثم قاموا حتى يأمرهم بالجلوس . وكل من يجلس بين يديه فإنما يجلس باركاً ولا يُخْرِجُ قلنسوته ، ولا يُظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عند ذلك .

وكلهم في قباب ، إلا أن قبة الملك كبيرة جداً ، تسع ألف نفس وأكثر ، مفروشة بالفرش الأرمني^(٥) ، وله في وسطها سرير منغشّى بالديباج الرومي . ومن رسومهم أنه إذا وُلد لابن الرجل مولود أخذه جده دون أبيه ، وقال : « أنا أحق به من أبيه في حضنه^(٦) حتى يصير رجلاً » . وإذا مات

(١) القلانس : جم قلنسوة ، وهي لباس الرأس . قيل إن أبا جعفر المنصور أمر بلبس القلانس . ولما اتصل سكان أوربة بالشرقين أيام الحروب الصليبية نقلوا هذه القلانس الطوال ، وممها الخمر ، وجعلوها لباس النساء ، ولما جاء المستعين سنة ٢٤٨ هـ ، صغر القلانس - انظر الحضارة الإسلامية لمتز ١٨٦/٢ ومجمع الملابس لدوزي .

(٢) في ياقوت : « فوق رؤوسهم » .

(٣) في ياقوت : « على الملك » .

(٤) في ياقوت : « يقع نظرم عليه يأخذون قلانسهم فيجعلونها » وكذلك يجعل بقية العبارة بالفعل المضارع .

(٥) الفرش الأرمني مشهور وكذلك البسط الأرمنية ، انظر الحضارة الإسلامية لمتز ٢ / ٣٠٢ .

(٦) يقترح أحد المستشرقين أن تكون الكلمة : « في حصته » ولكنها هنا واضحة مفهومة .

منهم الرجلُ ورثه أخوه دون ولده . فعرّفتُ الملكَ أنَّ هذا غير جائز ، وعرفته كيف المواريث ، حتى فهمها .

وما رأيتُ أكثر^(١) من الصّواعق في بلدكم . وإذا وقعت الصاعقة على بيت^(٢) لم يقربوه ، ويتركونه على حالته وجميع مَنْ فيه مِنْ رجلٍ ومالٍ وغير ذلك حتى يتلفه الزمان ، ويقولون : « هذا بيت^(٣) مغضوب عليهم » .

* * *

وإذا قتل الرجلُ منهم الرجلَ عمداً أقادوه^(٤) به ، وإذا قتله خطأ صنعوا له صندوقاً من خشب الخزندك ، وجعلوه في جوفه ، وسمّروه عليه ، وجعلوا معه ثلاثة أرغفة وكوز ماء ، ونصبوا له ثلاث خشبات مثل الشبائح^(٥) وعلّقوه بينها ، وقالوا : « نجعله بين السّماء والأرض يصيبه المطر والشمس ، لعل الله أن يرحمه » . فلا يزال معلقاً حتى يئليه الزمان وتهبّ به الرياح .

وإذا رأوا إنساناً^(٦) له حركة ومعرفة بالأشياء ، قالوا : « هذا حقه

(١) المقطع السابق ، أغفله ياقوت . وهنا اختصر الجملة .

(٢) في ياقوت : « في دار أحدم » .

(٣) في ياقوت : « هذا موضع مغضوب عليه ، ولعله أصوب .

(٤) أقاده به : أي قتله قوداً ، والقود : القصاص - وهذا المقطع كله ناقص في ياقوت ، وفي النسخة : « قتلوه »

وهي تصحيف صوبناه .

(٥) في الأصل : « السبائح » ولعلها مصحفة عن « الشبائح » وهي عيدان معروضة في القنب

(٦) عاد ياقوت إلى نقل ما في ابن فضالان - وفيه : « رأوا رجلاً » .

أَنْ يَخْدُمَ^(١) رَبَّنَا ، فَأَخَذُوهُ وَجَعَلُوا فِي عُنْقِهِ حَبْلًا وَعَلَّقُوهُ فِي شَجَرَةٍ حَتَّى يَتَقَطَّعَ^(٢) .

ولقد حدثني^(٣) تَرْجَانُ الْمَلِكِ أَنَّ سِنْدِيًّا سَقَطَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ ، فَأَقَامَ عِنْدَ الْمَلِكِ بَرَهَةً مِنَ الزَّمانِ يَخْدُمُهُ ، وَكَانَ خَفِيفًا فَهَمًا . فَأَرَادَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْخُرُوجَ فِي تِجَارَةٍ^(٤) لَهُمْ || فَاسْتَأْذَنَ السَّنْدِيُّ الْمَلِكَ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُمْ ، فَنَهَاهُ [عَنْ ذَلِكَ ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُ ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ فِي سَفِينَةٍ فَرَأَوْهُ حَرَكًا كَيْسًا فَتَأَمَّرُوا^(٥) بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : « هَذَا يَصْلَحُ لَخِدْمَةِ رَبَّنَا ، فَتَوَجَّهْ^(٦) بِهِ إِلَيْهِ » ، وَاجْتَازُوا فِي طَرِيقِهِمْ بَغِيضَةً فَأَخْرَجُوهُ إِلَيْهَا ، وَجَعَلُوا فِي عُنْقِهِ حَبْلًا وَشَدُّوهُ فِي رَأْسِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ ، وَتَرَكُوهُ وَمَضُوا .

* * *

١٨

وَإِذَا كَانُوا يَسِيرُونَ^(٧) فِي طَرِيقٍ فَأَرَادَ أَحَدُهُمُ الْبُولَ ، فَبَالَ وَعَلَيْهِ

(١) فِي نَسَخَتِنَا : « أَنْ يَكُونَ يَخْدُمُ رَبَّنَا » - وَفِي يَاقُوتَ : « أَنْ يَخْدُمَ رَبَّنَا » فَحَذَفْنَا « يَكُونَ » وَبَدَلْنَاهَا تَمَّ الْجُمْلَةَ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ .

(٢) فِي نَسَخَتِنَا : « يَنْقَطِعُ » - وَفِي يَاقُوتَ : « يَتَقَطَّعُ » وَهِيَ أَصَوْبٌ .

(٣) هَذَا الْمَقْطَعُ نَافِصٌ كَذَلِكَ فِي يَاقُوتَ .

(٤) فِي الْأَصْلِ الْمَجَازَةُ وَهِيَ الطَّرِيقُ إِذَا قُطِعَ مِنْ أَحَدٍ جَانِبِيهِ إِلَى الْآخَرِ . وَقِيلَ هُوَ الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الْجُوزِ ، وَجَازَةُ النَّهْرِ : الْجَسْرُ - وَيُقْتَرَحُ رَيْتَرُ أَنْ تَكُونَ اللَّفْظَةُ هُنَا « فِي تِجَارَةٍ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَتَوَأَمَّرُوا » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « فَتَوَجَّهَ بِهِ » وَلَمَّا صَوَّابُهَا : « فَتَوَجَّهَ » أَوْ « فَتَوَجَّهَ » .

(٧) عَادَ يَاقُوتَ إِلَى تَهْلٍ مَا فِي ابْنِ فَضَالٍ .

سلاحه انتهبوه ، وأخذوا [سلاحه] وثيابه ^(١) ، وجميع ما معه ، وهذا رسم لهم . ومن حطَّ عنه سلاحه وجعله ناحيةً وبال لم يعرضوا ^(٢) له .

وينزل الرجال والنساء إلى النهر فيغتسلون جميعاً عراة لا يستتر بعضهم من بعض ^(٣) ، ولا يزنون بوجه ولا سبب . ومن زنا منهم كائناً مَنْ كان ضربوا له أربع سكك ، وشدّوا يديه ورجليه إليها وقطّعوا بالفأس من رقبته إلى فخذه ^(٤) ، وكذلك يفعلون بالمرأة أيضاً . ثم يعلق كل قطعة منه ^(٥) ومنها على شجرة .

وما زلت أجتهد ^(٦) أن يستتر النساء من الرجال [في السباحة] ^(٧) فما استوى لي ذلك . ويقتلون السارق كما يقتلون الزاني ^(٨) .

وفي غياضهم عسل كثير في مساكن النحل يعرفونها فيخرجون لطلب ذلك . فربّما وقع عليهم قوم من أعدائهم فقتلوه . وفيهم تجّار كثيرٌ يخرجون

(١) في ياقوت : « وأخذوا سلاحه » ولعلها أصوب فأضفناها - وفي وليدي يزيد : « وحلوا ذلك على جبهه وقلة درايته » .

(٢) في ياقوت : « لم يعرضوا له » وفي وليدي : « وبال حلوا ذلك على درايته ومعرفة ولم يعرضوا له » .

(٣) في نسختنا : « بعضهم بمضاً » - وفي ياقوت : « بعضهم من بعض » فأخذنا برواية ياقوت .

(٤) في ياقوت : « إلى فخذه » .

(٥) في نسختنا : « منهم ومنها » : وفي ياقوت : « منه ومنها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٦) في ياقوت : « قال : ولقد اجتهدت أن تستتر النساء » .

(٧) أضفناها من ياقوت للسياق .

(٨) هنا يقف ياقوت عن النقل ويقول : « ولهم أخبار اقتصرنا على هذا » .

إلى أرض الترك فيجلبون الغنم ، وإلى بلد يقال له « ويسو »^(١) فيجلبون السمور والشعلب الأسود .

ورأينا فيهم أهل بيت^(٢) يكونون خمسة آلاف نفسٍ من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم ، يُعرفون بالبرنجار^(٣) ، وقد بنوا لهم مسجداً من خشب يصلون فيه ، ولا يعرفون القراءة ، فعلمت جماعة ما يصلون به . ولقد أسلم على يدي رجلٌ يُقال له « طالوت » فأسميته « عبد الله » فقال : « أريد أن تسميني باسمك محمداً »^(٤) ، ففعلتُ . وأسلمت امرأته وأمه وأولاده ، فسمّوا كلهم « محمداً » . وعلمته : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(٥) و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٦) فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه إن^(٧) صار ملك الصقالبة .

وكنا لما وافينا || الملك وجدناه نازلاً على ماءٍ يُقال له « خلجة »^(٨) .]

(١) علقتنا على هذه الكلمة : في الكفاية في حاشية الورقة ٢٠٦ و .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله يريد أهل عشيرة أو قبيلة .

(٣) كذا في الأصل ، ولعله يقصد « المونقول » .

(٤) تحدثنا في المقدمة عن هذه الكلمة ، فالمؤلف اسمه أحمد بن فضال لا « محمد بن فضال » وقلنا ما في الكفاية هناك .

(٥) سورة الفاتحة .

(٦) سورة الاخلاص .

(٧) في الأصل : « إل صار » وهو تصحيف ، ولعله : « إن صار » أو « إذا صار له ملك الصقالبة » .

(٨) في الأصل : « على ما يقال له خلجة » ولعلها ماء كما يأتي بعد ولم نستطيع أن نجد الموضع في مجامع البلدان ، فلعلها مصحفة عن « خلجية » كما ذكرها ابن الوردي في خريدة الجواب ٨٩ (طبعة مصر

١٩٣٩) - أو هي خليج من مدن الخزر كما في نخبه الدهر ٢٦٣ .

وهي ثلاث^(١) بحيرات ، منها اثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة ، إلا أنه^(٢) ليس في جميعها شيء يُلْحَقُ غَوْرُهُ . وبين هذا الموضع وبين نهر لهم عظيم يصبُّ إلى بلاد الخزر يقال له « نهر إتل » نحو الفرس^(٣) . وعلى هذا النهر موضع سوق تقوم في كلّ مديدة ، ويباع فيها المتاع الكثير النفيس .

* * *

١٩

وكان « تكين » حدّثني أنّ في بلد الملك رجلاً^(٤) عظيم الخلق جدّاً . فلما صرّت^(٥) إلى البلد سألتُ الملك عنه ، فقال : نعم ، قد كان في بلدنا ومات ، ولم يكن من أهل البلد ولا من الناس أيضاً . وكان من خبره أنّ قوماً من التجار خرجوا إلى « نهر إتل » [وهو نهر بيننا وبينه يوم واحد]^(٦) كما يخرجون . وهذا النهر قد مدّ وطني^(٧) ماؤه فلم أشعر

(١) في نسختنا : « ثلاثة بحيرات منها اثنتان كبار » فصوبناها .

(٢) في نسختنا : « إلا ان ليس » فاضفنا الهاء إلى « أن » .

(٣) تكلمنا عن نهر اتل في تمليقاتنا السابقة - وفي الأصل هنا : « نحو الفرس » وهي سهو من الناسخ أصلها : « نحو الفرس » كما أن الناسخ يخطئ دائماً في رسم اتل فيجعلها (آتل) .

(٤) هنا يرجع ياقوت إلى النقل عن ابن فضال في صدد تعريفه لنهر اتل ، فيقول : ١ / ١٢٢ : « بلقني أن فيها رجلاً عظيم » .

(٥) في ياقوت : « فلما سرت إلى الملك سأله عنه » .

(٦) أضفناها من ياقوت .

(٧) في نسختنا : « وطفا ماؤه » وفي ياقوت : « وطني ماؤه » وهي أصوب فأخذنا بها .

يوماً^(١) إلا وقد وافاني جماعة من التجار^(٢) ، فقالوا : أيها الملك ، قد قضا على [الماء]^(٣) رجل إن كان من أمة تقرب^(٤) منا ، فلا مقام لنا في هذه الديار ، وليس [لنا]^(٥) غير التحويل .

فركبت معهم حتى صرت^(٦) إلى النهر فإذا أنا بالرجل ، وإذا هو بذراعي^(٧) اثنا عشر ذراعاً ، وإذا له رأس كأكبر^(٨) ما يكون من القدور ، وأنف أكثر^(٩) من شبر ، وعينان^(١٠) عظيمتان ، وأصابع^(١١) تكون أكثر من شبر. شبر ، فراعني أمره ، وداخلني ما داخل القوم من الفزع ، وأقبلنا نكله ولا يكلمنا^(١٢) ، بل ينظر^(١٣) إلينا .

فحملته إلى مكاني ، وكتبت إلى أهل « ويسو » وهم منا على ثلاثة

-
- (١) كلمة « يوماً » لا توجد في ياقوت .
 (٢) كلمة « من التجار » لا توجد كذلك في ياقوت .
 (٣) مبتورة في نسختنا أخذناها عن ياقوت -- ولعل « قفا » مصحفة عن « طفا » .
 (٤) في نسختنا : « بقرب منا » - وفي ياقوت : « تقرب » .
 (٥) ناقصة في نسختنا أخذناها عن ياقوت .
 (٦) في ياقوت : « حتى صرت إلى النهر ووقفت عليه » .
 (٧) في ياقوت : « وإذا برجل طوله اثنا عشر ذراعاً » .
 (٨) في نسختنا : « رأس أكبر من القدور » - وفي ياقوت : « وإذا رأسه كأكبر ما يكون » .
 (٩) في ياقوت : « وأنفه أكبر من شبر » .
 (١٠) في ياقوت : « وعيناه » .
 (١١) في ياقوت : « وأصابعه كل واحدة شبر » .
 (١٢) في ياقوت : « وهو لا يتكلم » .
 (١٣) في الأصل بنسختنا : « الا ينظر » - وفي ياقوت : « ولا يزيد على النظر إلينا » ، فجعلنا بدلاً من « الا » حرف « بل » .

أشهر أسألهم عنه ، فكتبوا ^(١) إليّ يعرفونني أنّ هذا الرجل من « يأجوج ومأجوج » ^(٢) . وهم منّا على ثلاثة أشهر عراة يحول بيننا وبينهم البحر ، لأنهم على شطّيه ، وهم مثل البهائم ^(٣) ينكح بعضهم بعضاً ، يُخْرِجُ اللهُ — عز وجل — لهم كل يوم سمكة من البحر ، فيجيء الواحد منهم ومعه ^(٤) المديّة فيجزّ منها قدر ما يكفيه ويكفي عياله ، فإن أخذ فوق ما يقنعه ^(٥) اشتكى بطنه ، وكذلك عياله يشتكون بطونهم . وربما مات وماتوا بأسرهم . فإذا أخذوا منها [حاجتهم] ^(٦) انقلبوا ووقعت ^(٧) في البحر . فهم في كل يوم على ذلك .

[ظ] وينتنا وبينهم البحر من جانب || والجبال محيطة ^(٨) بهم من جوانب

- (١) في ياقوت : « أسألهم يعرفوني أن هذا رجل من » - ولعل الأفضل أن تكون هنا « يعرفونني » .
- (٢) أرسل الخليفة الواثق بالله بمئة برية إلى سد يأجوج ومأجوج ، وتحدث عنها سلام الترجان بأسلوب ممتع - انظر ياقوت ٣/ ٥٣ ، وارجع إلى تاريخ ابن عساكر ، بالجزء الأول ففيه حديث مطول عنه وعن القوم .
- (٣) في ياقوت : « وانهم قوم كالبهائم الهائلة عراة حفاة ينكح » .
- (٤) في نسختنا : « ومما المديّة » وصوابها مارستنا - وفي ياقوت : « فيجىء الواحد بمديّة فيجزّ منها بقدر كفايته وكفاية عياله » .
- (٥) في نسختنا : « فوق ما يقنعه » وصوابها ما وضنا - وفي ياقوت : « فان أخذ فوق ذلك اشتكى بطنه هو وعياله » .
- (٦) رأينا أضافتها عن ياقوت للسياق .
- (٧) في نسختنا : « ووقعت في البحر » واملأها مصحفة : « ووقعت في البحر » فصوبناها - وفي ياقوت : « وعادت إلى البحر وهم على ذلك » - وحكاية اكلمهم السمك جاءت في ياقوت عن القوم ٣/ ٥٣ : « قالوا : يقذف البحر اليهم في كل سنة سمكتين يكون بين رأس كل سمكة وذنبها مسيرة عشرة أيام أو أكثر » . وكلها خرافات تتناقضها الكتب .
- (٨) يختصر ياقوت هنا : « وينتنا وبينهم البحر وجبال محيطة » ثم يهمل بعد ذلك سطرًا وبعض السطر .

أخر . والشَّدُّ^(١) أيضاً قد حال بينهم وبين الباب الذي كانوا يخرجون منه ، فإذا أراد الله - عز وجل - أن يخرجهم^(٢) إلى العمارات سَبَّبَ لهم فتح الشَّدِّ ونضبَ البحرُ واتقطع عنهم السمك .

قال :

فسألتُه عن الرجل^(٣) ، فقال : أقامَ عندي مدّة فلم يكن ينظر إليه صبي إلا مات ، ولا حامل إلا طرحت حملها . وكان إن تمكّن من إنسان عَصَرَه يديه حتى يقتله . فلما رأيتُ ذلك عَلَّقْتُه في شجرة عالية حتى مات . إن أردت أن تنظر إلى عظامه ورأسه مضيتُ معك حتى تنظر إليها . فقلتُ : « أنا والله أحب ذاك فركب معي إلى غيضة كبيرة فيها شجر عظام فتقدّمني^(٤) إلى شجرة^(٥) [سقطت عظامه] ورأسه تحتها ، فرأيتُ رأسه مثل

(١) انظر خبر السدّ في ياقوت ٣ / ٥٣ .

(٢) في ياقوت : « فإذا أراد الله اخراجهم انقطع السمك عنهم ونضب البحر وانفتح السد » .

(٣) هنا تخلف رواية ياقوت ، فلمله شاء أن يوجز في الحكاية فقال : « ثم قال الملك وأقام الرجل عندي مدة ثم علقت به علة في نحره فات بها » وهو بذلك يناقض رواية ابن فضال في موته . فيجمل وفاته بالملة ، ولا يقص علينا ما في الرسالة من أخباره في الهول والفرع ، كأنه لا يصدقها . وسبب ذلك ما وقع من تصحيف في النسخة التي نقل عنها ياقوت ، فيما نظن ، فان كلمة : « شجرة عالية » قد تحرفت إلى « نحره علة » وقد وقع في بعض مخطوطات معجم البلدان لياقوت : « علة في منخره » وكلها تصحيف ، وأصوبها ما جاء في نسختنا .

(٤) في نسختنا : « فقلدني » ولعلها « قدّمني » أو « تقدّمني » .

(٥) وقع هنا بياض ، فرأي بعضهم أن يكون « جثته فوقها » - وفي طبعة وليدي قال انه رأى ورقة مطموسة الحروف ملصقة بالأصل فنقلها وهي : « شجرة سقطت عظامه ورأسه » .

القفير^(١) الكبير ، وإذا أضلّعه أَّكْبُرُ [من] عراجين^(٢) النَّخل ، وكذلك عظامُ ساقيه وذراعيه ، فتعجبت^(٣) منه ، وانصرفتُ .

* * *

٢٠

قال :

وارتحل الملك من الماء الذي يسمى « خلجه »^(٤) ، إلى نهر يقال له « جاوشيز » ، فأقام به شهرين ، ثم أراد الرَّحيل فبعث إلى قوم يقال لهم « سواز »^(٥) يأمرهم بالرَّحيل معه ، فأبوا عليه ، واقتروا فرقتين ، فرقة مع ختته^(٦) ، وكان قد تملك عليهم ، واسمه « ويرغ »^(٧) . فبعث إليهم الملك ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - قد منَّ عليَّ بالإسلام^(٨) وبدولة

(١) القفير : خلية الذئب .

(٢) عراجين : جمع عرحون ، وهو أصل المذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريح فيبقى على النخل يابساً .

(٣) اختصر ياقوت في وصف مارأي ابن فضال من عظام الرجل ، فروى : « وخرجت فرأيت عظامه فكانت هائلة جداً » وذلك لأنه لا يصدق مثل هذا ، وقد صرح قائلًا بعد الرواية : « قال المؤلف : هذا وأمثاله هو الذي قدمت البراءة منه ولم أضمن صحته » .

(٤) مرت بنا هذه الكلمة ، وحررنا في تعليلنا عليها فلم نستطع معرفة المكان ، ومثلها « نهر جاوشيز » وهو نهر وصفه ابن فضال في الصفحة التالية ولعله فرع من نهر الكامكا في كانار ص ١١٠ .

(٥) في الأصل « سوان » ويرى بعض المستشرقين أن تكون « سوار » .

(٦) هذه العبارة غامضة ، ورأى بعض المستشرقين أن تكون : « مع خسة » وفي وليدي : « مع ختته » فأخذنا بروايته .

(٧) الاسم غامض لم نهند إليه في المصادر .

(٨) حام المستشرقون حول اسلام ملك الصقالبة وزمانه . والمسعودي ٢ / ١٦ يروي أن ابن ملك البلغار الصقالبة حج قبل عام ٣٢٠ ، ومرت ببغداد ، واكرمه القوم فيها . فهل كان هذا بتأثير ابن فضال ؟

أمير المؤمنين ، فأنا عبده ، وهذه الأ [مة] ^(١) قد قلّدتني [فم] ^(٢) خالفني لقيته بالسيف . وكانت الفرقة الأخرى مع ملك من قبيلة يُعرف بملك ^(٣) اسكل ، وكان في طاعته ، إلا أنه لم يكن داخلاً ^(٤) في الإسلام .

فلما وجه إليهم هذه الرسالة خافوا ناحيته ، فرحلوا بأجمعهم معه إلى « نهر جاوشيز » وهو نهر قليل العرض ، يكون عرضه خمسة أذرع ، وماؤه إلى الشرة ، وفيه مواضع إلى الترقوة ^(٥) ، وأكثره قامة . وحوله شجر ^(٦) كثير من الشجر الخدنك وغيره .

وبالقرب منه صحراء واسعة يذكرون أن بها حيواناً دون الجمل في الكبر ، وفوق الثور ، رأسه رأس جل ، وذنبه ذنب ثور || وبدنه بدن [٢٠٩] بغل ، وحوافره مثل أظلاف الثور ، له في وسط رأسه قرن واحد غليظ مستدير ، كلما ارتفع دق حتى يصير مثل سنان الرمح ، فنه ما يكون طوله خمسة أذرع إلى ثلاثة أذرع إلى أكثر وأقل ، يرتعي ورق الشجر ،

(١) ضاع أكثر الكلمة فأكملناها كما تراهي لنا ، وهي ناقصة في ياقوت ، وفي طبعة وليدي : « قد قلّدتني » فأخذنا بها وفي كانار ص ١١١ : « وهذا الأمر قد قلّدتني »

(٢) بياض ملأناه للسياق .

(٣) طمس أكثر الكلمة ولكن من السهل ردها - وجاء ثانياً في الورقة ٢٠٩ ظ ، وذل ابن فضالان إن هذا الملك تحت يد ملك الصقالبة . وكانت الكلمة : « تعرف » فجعلناها « يعرف » .

(٤) في الأصل : « لم يكن داخل » وهو خطأ نحوي من أخطاء الناسخ .

(٥) الترقوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والماتق ؛ جمعا التراقي والترايق .

(٦) هنا طمس في المخطوطة ، رسمه وليدي بقوله : « ينبت كثير » - ولكننا تركناه فاستقامت الجملة بدونه .

جيد الخضرة^(١) . إذا رأى الفارس قصده ، فإن كان تحته جواد آمن^(٢) منه يجهد ، وإن لحقه أخذه من ظهر دابته بقرنه ، ثم زجّ به في الهواء ، واستقبله بقرنه^(٣) ، فلا يزال كذلك حتى يقتله . ولا يعرض للدابة بوجه ولا سبب ، وهم يطلبونه في الصحراء والفياض حتى يقتلوه^(٤) . وذلك أنهم^(٥) يصعدون الشجر العالية التي يكون بينها^(٦) ، ويجمع لذلك عدة من الرماة بالسهم المسمومة فإذا توسّطهم رموه حتى يشنّوه ويقتلوه^(٧) .

ولقد رأيتُ عند الملك ثلاث^(٨) طيفوريات كبار تُشبه الجزع^(٩) اليماني عرفني أنها مَمُولَةٌ من أصل قرن هذا الحيوان . وذكر بعضُ أهل البلد أنه الكَرَكَدَن .

* * *

-
- (١) في الأصل : « جيد الخضر » .
 (٢) في الأصل : « أمنت » والمقصود هو الرجل فيما زى .
 (٣) هذا هو الحيوان المعروف بوحيد القرن وهو الكركدن اشتهر وجوده في الهند له جثة الفيل وخافه الثور ذو حافر على رأسه قرن واحد ، كما يقول بمد قليل .
 (٤) في النسخة : « حتى يقتلونه » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .
 (٥) في الأصل : « أنه » ولعل صوابها كما رسمنا .
 (٦) في الأصل : « الشجر العالية التي يكون بينها » - وفي وليدي : « تكون بينه » .
 (٧) في النسخة : « حتى يشنّونه ويقتلونه » وهو كذلك خطأ من الناسخ في النسخ صوبناه .
 (٨) في الأصل : « ثلاثة طيفوريات » فأصلحنا المدد - والطيفورية : صحن أو طبق عميق ، كما في تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ٤٨ ، وفي ابن بطوطة ٢ / ٣٩١ : « وبين أيديهن طياير الذهب » .
 (٩) في الأصل « الجزع » ويرى بعض المستشرقين أن تكون : الخرز اليماني .

قال :

وما رأيتُ منهم إنساناً يحمرّ ، بل^(١) أكثرهم معلولٌ . وربما يموت أكثرهم بالقولنج^(٢) ، حتى أنّه ليكون بالطفل الرضيع منهم . وإذا مات المسلم عندهم أو زوجُ المرأة^(٣) الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين ، ثم حملوه على عجلة تجره ، وبين يديه مطرد^(٤) حتى يصيروا^(٥) به إلى المكان الذي يدفنونه فيه . فإذا صار إليه أخذوه عن العجلة^(٦) وجعلوه على الأرض ، ثمّ خطّوا حوله خطّاً ، ونحوّه ، ثم حفروا داخلَ ذلك الخط قبره ، وجعلوا له لحدّاً ، ودفنوه . وكذلك يفعلون بموتاهم .

ولا تبكي النساء على الميت ، بل^(٧) الرجال منهم يبكون عليه ، يحيثون^(٨)

(١) في النسخة : « بلى » ولعلها : « بل » .

(٢) القولنج : بضم القاف أو فتحها ، مرض مشهور مموي منسوب إلى المي ، مؤلم جداً ، يمر معه خروج الثقل والريح .

(٣) في النسخة : « وإذا امرأة الخوارزمية وغسلوه » فجعلنا العبارة كما ترى ، وأضفنا كلمة زوج ، وحذفنا الواو قبل غسلوه .

(٤) في النسخة : « وبين بين يمين مطرد » بغير نطق وهي غامضة ، قللها « بين اثنين » وقد اخترنا أن تكون يديه بدلاً من بين . وقد شرحنا المطرد قبل هذا ، ولم نهند إلى معنى العبارة مع ذلك .

(٥) في الأصل : « حتى يصيرون » فحذفنا النون .

(٦) في النسخة : « عن النخلة » وهي تحصيف من الناسخ ، فقد ورد ذكر العجلة التي حمل عليها قبل قليل .

(٧) في النسخة : « بلى » وهي « بل » أخطأ فيها كما أخطأ في السطور السابقة .

(٨) في النسخة : « بمحوذ » وهي لاشك مصحفة ولعلها : « يحيثون » .

في اليوم الذي مات فيه ، فيقفون على باب قبته فيضجّون بأقبح بكاء يكون وأوحشه .

هؤلاء للأحرار؛^(١) فإذا اتقضى بكاؤهم وافي العبيد ومعهم جلود مضمفورة فلا يزالون يبكون ويضربون جنوبهم^(٢) وما ظهر من أبدانهم بتلك الشيور^(٣) ، حتى تصير في أجسادهم مثل ضرب السوط ، ولا بدّ من أن ينصبوا^(٤) || يباب^(٥) قبته مطرداً ، ويحضرون سلاحه فيجعلونها حول قبره ولا يقطعون البكاء سنتين .

فإذا اتقضت السنتان^(٦) حطّوا المطرد ، وأخذوا^(٧) من شعورهم ، ودعا أقرباء الميت دعوة يُعرف بها خروجهم من الحزن ، وإن كانت له زوجة تزوّجت . هذا إذا كان من الرؤساء . فأما العامة فيفعلون بعض هذا بموتاهم .

(١) في النسخة : « هؤلاء للأحرار » ولعل صوابها « هؤلاء الأحرار » أو « هؤلاء الأحرار » أو « هذا للأحرار » .

(٢) الجنوب : جمع جنب وهو شق الانسان .

(٣) في النسخة : « تلك السمور » وقد رأى المستشرقون أن تكون : « بتلك السمور » وهي معرفة في نظرم عن السامير - ولكننا نرى أنها مصحّفة عن « الشيور » والسير قدّة من الجلد مستطيلة جمعها سيور وقد يجمع على أسيار ، وما تزال في لغة العامة إلى اليوم ، فهي أصوب وأصح للسباق .

(٤) في النسخة : « أن ينصبون » وهي برهان من ألف برهان على أخطاء الناسخ في النحو وضعفه فيه .

(٥) في النسخة : « باب قبته » فأضفنا باء الجر - والمطرد : العلم كما شرحنا .

(٦) في النسخة : « السنتين » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .

(٧) أخذوا من شعورهم : أي قصوها ، يقال أخذ من شاربه ومن شعره إذا قصه . وإطالة الشعر للعزن عندم على عكس العرب ، فهم إذا أطالوا الشعر فلا فرح . وأبو فراس الحمداني في ديوانه ، كما طبعناه بتحقيقنا حين يرثي أمه ينكر إطالة الشعر بعد موتها - انظر الديوان ٢ / ٢١٧ .

وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤديها إلى ملك الخزر من كل بنت في مملكته جلد سمور^(١).

وإذا قدمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها ، وأخذ من جميع ذلك العشر . وإذا قدم الروس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك^(٢) أن يختار من كل عشرة رؤس رأساً . وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر . وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة^(٣) ملك الصقالبة جمال فوجه يخطبها ، فاحتج عليه ، وردده ، فبعث وأخذها غصباً ، وهو يهودي ، وهي مسلمة ، فماتت عنده ، فوجه يطلب بنتاً^(٤) له أخرى . فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها لملك « اسكل » ، وهو من تحت يده خيفة^(٥) أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها . وإنما^(٦) دعا ملك الصقالبة أن يكاتب السلطان ويسأله أن يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر .

* * *

-
- (١) شرحنا في الصفحات السابقة هذه الكلمة .
 (٢) في النسخة : « فالملك » وصوابها مارسمنا للسياق .
 (٣) في النسخة : « عن ابنته ملك » وهي خطأ من الناسخ صوبناه .
 (٤) هنا يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « سألة أخرى » ولا نرى وجهاً لتبديل الكلمة فهي صحيحة في النسخة والسياق يفسرها ، فقد ماتت البنت الأولى فطلب الأخرى ، ولكنه بادر فزوجها ،
 (٥) في النسخة : « وخيفة » فحذفنا الواو ، لأنه بدونها يحسن السياق .
 (٦) لعلها : « وهذا ما دعا » - وسنرى في الكلام على الخزر أن ملكهم يأخذ من بنات الملوك الذين يخافونه ما يشتهي طوعاً أو كرهاً ، وعنده خمس وعشرون امرأة ؛ فهي عاده مع كل جيرانه لامع الصقالبة وحدم .

قال :

وسأله يوماً فقلتُ له : « مملكتك واسعة ، وأموالك جمة وخراجك كثير ، فلم سألتَ السلطان أن يبني حصناً ببالٍ من عنده لا مقدار له ؟ فقال : « رأيتُ دولةَ الإسلام ^(١) مقبلةً ، وأموالهم يؤخذ من حلّها ^(٢) ، فالتستُ ذلك لهذه العلة ، ولو أنني أردتُ أن أبني حصناً من أموالٍ من فضةٍ أو ذهبٍ لما تعذر ذلك عليّ . وإنما تبرّكتُ ببال أمير المؤمنين ، فسأله ذلك » .

(١) في الأصل طمس بقى منه « الاسلام » فرأينا أن تكون « الاسلام » - وفي وليدي : « الأمراء »
(٢) في الأصل : « من حلّها » فرأى أحد المشرقيين أن تكون من كلمة « حلّ وربط » وهي من باب الأموال العامة - ولكننا نرى أن تكون بمعنى حلال ضد الحرام ، والسياق بعد ذلك يدل على المعنى .

[الروسية]

٢١

قال :

ورأيتُ الروسية^(١) وقد وافوا في تجارتهم ، ونزلوا على « نهر إتل^(٢) » فلم أرَ أتمَّ أبداناً منهم كأنهم النخل^(٣) ، شقر حمر^(٤) لا يلبسون القراطق ولا الخفّاتين [ولكن يلبس]^(٥) الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيّه ، ويخرج إحدى يديه منه . ومع كل واحد منهم فأس وسيف [وسكين لا يفارقه جميع ما ذكرنا .

وسيوفهم صفائح مُشَطَّبة^(٦) أفرنجية . ومن [حدّ]^(٧) ظُفر الواحد

- (١) هنا يبدأ ياقوت من جديد في النقل عن ابن فضلان ، مادة « روس » بمجمعه ٢ / ٨٣٤ ، وقد أورد أقوال المقدسي ، وغيره ، ثم اتبعه بما عندنا في النسخة . وقد نشر هذا القسم كما قلنا المستشرق فرن سنة ١٨٢٣ وستفيد من تعليقاته المطولة بالألمانية . ويقول ياقوت أنهم مئة ألف إنسان عن المقدسي .
- (٢) يقول الادريسي إنّه المروف بنهر الرس ، وقد علقنا في الحواشي عن موقعه وقابلنا ماجاء عنه في معجم البلدان لياقوت .
- (٣) وفي أمثال الميداني عن الاجسام : « ترى الفتيان كالنخل » .
- (٤) ينقل فرن عن أخبار الدول لأنّ العباس الدمشقي ، مخطوطة في وصف الروس : « وهم بيض شقر » ويقول العرب غالباً عن البيض أنهم شقر ، وفي نخبه الدهر : « وفي هذا الاقليم الترك والخزر والفرنج والأرمنية وباشغرد ومن سامتهم ، وهؤلاء يسمون الشقر » .
- (٥) يباض في الأصل أخذناه عن ياقوت ، والقراطق والخفّاتين مرّ شرحها بالورقة ١٩٩ و
- (٦) الشطبة : طريقة السيف ، أي الواحدة من الخطوط التي في نصله جميعاً شطب .
- (٧) الكلمة مطموسة أخذناها عن ياقوت - وقد علق فرن على هذه الجملة مطولاً (ص ٧٦) فنقل إلينا ترجمة المستشرق ده ساسي ، بما خلاسته أن الواحد منهم من ظفر رجله إلى رقبته صور مثل الأشجار والاشكال ، أي أن أجسامهم طبعت عليها الصور من أخمص القدم إلى الرأس مثل القوقعة كما يقول القدماء - وفي قصة ألف ليلة وليلة قريب من هذا المعنى هذه عبارته : « ثم أعترته ، وركبت النقص على يديه من ظفره إلى كتفه ، ومن مشط رجله إلى فخذه ، وكتبت سائر جسده ، فصار كأنه ورد أحمر على صفائح المرمر » - انظر الطبعة الروسية في الصفحة ١٣٢ ، وفيها يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « محضر شجر » .

منهم إلى عنقه مخضر شجرٍ وصور ، وغير ذلك .

وكل امرأة منهم فعلى ثديها حُقَّة^(١) مشدودة إما من حديد وإما من فضة ، وإما نحاس ، وإما ذهب ، على قدر مال زوجها ومقداره . وفي كل حُقَّة حلقة فيها سكين مشدودة على الثدى أيضاً . وفي أعناقهنَّ^(٢) أطواق من ذهب وفضة ؛ لأنَّ الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم ، صاغ لامرأته طوقاً ، وإنَّ ملكَ عشرين ألفاً صاغ لها طوقين ، وكذلك كلَّ^(٣) عشرة آلاف يزدادها يزداد طوقاً لامرأته . فربَّما^(٤) كان في عنق الواحدة منهنَّ الأطواق الكثيرة .

وأجلَّ الحليَّ عندهم الخرز^(٥) الأخضر من الخزف الذي يكون على السفن

(١) في نسخنا : « حلقة » - وفي ياقوت : « حقة » . والحقة (بالضم) وعاء من الخشب ، وقد تسوى من العاج ، وقد ذكرها عمرو بن كلثوم في مملقته فقال : « وثدياً مثل حق العاج رخصاً » . وابن فضلان يكرر الكلمة ثانية صحيحة فيقول « حقة » لذلك صوبناها .

(٢) في نسختنا « وفي أعناقهم » وصوابها ما في ياقوت : « وفي أعناقهنَّ » - وتحدث المستشرق فرون ص ٧٨ عن الذهب والفضة ووصولها إلى روسية وضرب العملة ، وكلامه هام يحدد الرجوع إليه لمعرفة تبادل الدرهم والعملة أيام العباسين لذلك الزمان ، وما وجد منها في المتاحف .

(٣) الجملة في ياقوت : « وكلما زاد عشرة آلاف درهم يريد لها طوقاً آخر » .

(٤) غامضة في نسختنا أخذناها من ياقوت .

(٥) الخرز ما ينظم في السلك من الجذع والودع ، أو من فصوص الحجارة الكريمة ، والخرزات جواهر التاج ، وفي القاموس : « خرزات الملك جواهر تاجه ، كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خرزة ليعلّم سني ملكه » - انظر تعليقات فرون ٨٦ - ٩١ عن الكتب في الخرز ومواقع وجوده وقد شرح الخزف بأنه كل ما عمل من طين وشوى بالنار حتى يكون فخاراً ، ثم أورد ترجمة المشرقيين لهذه الجملة بما يخص السفن ، وأحال إلى كتب الرحلة عن الفرس وأرمينية ، ورأى أن تكون الخزف مصحفة عن « الخرز » .

يبالغون^(١) فيه ، ويشترون الخرزة بدرهم ، وينظمونه^(٢) عقوداً لنسائهم .
 وهم أقدر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ، ولا يغتسلون من جنابة ،
 ولا يغسلون أيديهم من الطعام ، بل هم كالحمير الضالة ، يحيثون^(٣) من بلدهم
 فيرسون سفنهم بإتل ، وهو [نهر]^(٤) كبير ، وينون على شطّته^(٥) بيوتا
 كباراً من الخشب .

ويجتمع في البيت الواحد العشرة والمشرون والأقل والأكثر . ولكل
 واحد سرير^(٦) يجلس عليه ، ومعه الجوّاري^(٧) الرّوقة للتجار ، فينكح
 الواحد جاريته ، ورفيقه ينظر إليه . وربّما اجتمعت الجماعة منهم على هذه
 الحال بعضهم بحذاء بعض . [وربّما]^(٨) يدخل التاجر [عليهم]^(٩) ليشتري
 من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى^(١٠) يقضي أربه .

(١) في نسختنا : « يايون فيه » - وفي ياقوت : « يبالغون فيه » وهي أصوب ، ولعل الذي ساق النسخ
 إل هذا هو وجود كلمة الشراء بعدها .

(٢) في نسختنا : « وينظمون » ، وفي ياقوت : « وينظمونه عقوداً لنسائهم » - وفي طبعة فراهن عن
 المخطوطات : « وينظمون عقد النسائهم » وهو تصحيف .

(٣) في نسختنا « يحوز » وهي « يحيثون » كما في ياقوت ، والناسخ يصحفها دائماً على هذا الشكل .

(٤) يابض أكلناه من ياقوت .

(٥) في ياقوت : « شاطئة » .

(٦) السرير : المقعد ، أو الديوان ، أو الصفة - انظر فراهن ٩٣ .

(٧) في نسختنا : « الجوّار روقة » - وفي ياقوت : « ومعه جواريه الروقة » فصولهاها - والجوّاري
 الروقة : هنّ الجوّاري الجميلات يرقت للناس .

(٨) ناقصة أخذناها عن ياقوت وحذفنا الواو قبل « يدخل » .

(٩) أخذناها من ياقوت للسياق .

(١٠) في نسختنا : « أو يبيض أربه » وهي مصحفة - وفي ياقوت : « حتى يقضي أربه »

ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون^(١) وأطفسه . وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة ، ومعها قصعة^(٢) كبيرة فيها ماء ، فتدفعها إلى مولاها فيغسل^(٣) فيها يديه ووجهه ، [وشعر رأسه فيغسله]^(٤) ويسرّحه بالمشط في القصعة ، ثم يمتخط ويبصق فيها ، ولا [يدع شيئاً من القذر إلا فعله]^(٥) || في ذلك الماء . فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي^(٦) إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه ، ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت . وكل واحد منهم يمتخط ويبصق [فيها]^(٧) ويغسل وجهه وشعره فيها .

* * *

وساعة توافي^(٨) سفنهم إلى هذا المرسى يخرج^(٩) كل واحد منهم

-
- (١) في نسختنا : « بأقذر ما يكون » - ولعلها : « بأقذر ماء يكون » وليست في ياقوت لأنه اختصر الجملة وأوجز فيها ونحن نرى في هذا التعبير صورة لتعابير المعروفة فهو يقول : « كأعظم رجل يكون » ، و « بأقبح بكاء يكون وأوحشه » وأما الطفس فهو القذر النجس .
- (٢) في نسختنا : « ومعها غضة » وهي مصحفة وصحيفها يأتي بمد قليل وفي ياقوت .
- (٣) في نسختنا : « فيغسل منها » - وفي ياقوت : « فيغسل فيها وجهه ويديه » .
- (٤) بياض في نسختنا . لأناه عن ياقوت .
- (٥) بياض في النسخة لأناه عن ياقوت .
- (٦) في ياقوت : « إلى الذي يليه فيفعل » .
- (٧) أضفناها من ياقوت للسياق .
- (٨) في نسختنا « وساعة توافي سقيهم » - وفي ياقوت : « وساعة موافاة سفنهم » فصبونا كلمة « سفن » .
- (٩) في نسختنا : « قد خرج » - في ياقوت : « يخرج » .

ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيد^(١) ، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة ؛ لها وجه يشبه وجه الإنسان ، وحولها صور صفار ؛ وخلف تلك الصور خشب طوال ، قد نُصبت في الأرض ؛ فيوافي إلى الصورة الكبيرة ، ويسجد لها ، ثم يقول لها : « يا ربّ قد جئت من بلد^(٢) بعيد ، ومعي من الجوارية كذا وكذا رأساً ومن السمور كذا وكذا جلدأ » ، حتى يذكر جميع ما قدم^(٣) معه من تجارته . [ثم يقول]^(٤) : « وجئتك بهذه الهدية » — ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة — [ويقول]^(٥) : « أريد أن ترزقني تاجراً معه دنائير ودرهم كثيرة فيشتري مني كلّ ما^(٦) أريد ولا يخالفني فيما أقول » ؛ ثم ينصرف .

فإن تعسر عليه يبعه وطالت أيامه ، عاد بهدية ثانية وثالثة ، فإن تعذر^(٧) ما يريد حمل إلى كلّ صورة من تلك الصور الصفار هدية ،

(١) يعلق فراهن ص ٩٧ على نبيد ، فينقل آراء زملائه ، بأنه قد يتخذ من التمر ، أو هو كما في رحلة عبد الطيف البغدادي : « وشراهم المرز وهو نبيد يتخذ من القمح » .

(٢) في ياقوت : « من بعد » — وفي نسخة كوبنهاغ : « من بلد بعيد » ويبدو أن هذه المخطوطة من معجم ياقوت تتفق في كثير مع روايات نسختنا عن ابن فضالان . وهذا يدل على أن المعجم يجب أن يصاد طبعه على ضوء المخطوطات المتفرقة .

(٣) في طبعة فراهن لياقوت عن الروس : « جميع ما تقدم معه من تجارته » .

(٤) أضفناها عن ياقوت السياق .

(٥) أضفناها كذلك عن ياقوت لتام السياق ووضوحه . وحذفنا الفاء قبل فعل « أريد » لتأنيده ياقوت .

(٦) في نسختنا : « كما أريد » — وفي ياقوت : « كلما أريد » فصبناها .

(٧) في ياقوت : « فإن تعذر عليه » .

وسألها^(١) الشفاعة ، وقال : « هؤلاء نساء ربنا وبناته وبنوه^(٢) » ، فلا يزال يطالب^(٣) إلى صورة صورة يسألها ، ويستشفع بها ويتضرع بين يديها ، فربما تسهل^(٤) له البيع فباع ، فيقول : « قد قضى ربي حاجتي ، وأحتاج أن أكافيه » . فيعمد إلى عدة من الغنم أو البقر^(٥) فيقتلها ويتصدق^(٦) ببعض اللحم ، ويحمل الباقي فيطرحه بين [يَدَيَّ]^(٧) تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي^(٨) حولها . ويعلق رؤوس البقر أو الغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض . فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت جميع ذلك . فيقول^(٩) الذي فعله : « قد رضي ربي عني وأكل هديتي » .

* * *

وإذا مرض منهم الواحد [ضربوا له خيمة]^(١٠) ناحية عنهم ، وطرحوه فيها ، وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء ، ولا يقربونه ولا يكلمونه ، [بل

(١) في نسختنا : « وسألهم » - وفي ياقوت : « وسألها » .

(٢) ، (٣) كلمتان زائدتان هنا ، لائقان في ياقوت .

(٤) في نسختنا : « يسهل » - وفي ياقوت : « تسهل » .

(٥) يزيد ياقوت : « على ذلك » .

(٦) في نسختنا : « ويصدق » - وفي ياقوت : « ويتصدق » .

(٧) أضفناها من ياقوت .

(٨) في نسختنا : « الدين » - وفي ياقوت : « التي » .

(٩) في نسختنا : « ويقول » - وفي ياقوت : « فيقول » .

(١٠) بياض في نسختنا أكلناه من ياقوت .

لا يتهادونه [^(١) في كل أيام ^(٢) مرضه لا سيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً .
فإن برى ^(٣) وقام رجع إليهم ، وإن مات أحرقوه ، فإن كان مملوكاً تركوه [^(٤) على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير .

وإذا أصابوا سارقاً أو لصّاً جاءوا به إلى شجرة غليظة وشدوا في عنقه
حبلًا وثيقًا ، وعلقوه [فيها ، ويبقى معلقاً] ^(٥) حتى يتقطع [من
المكت] ^(٦) بالرياح والأمطار .

* * *

٢٢

وكان يقال [لي] ^(٧) إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلها
الحرق . فكنت أحب أن أقف على ذلك ، حتى بلغني موت رجل منهم
جليل ، فجعلوه في قبره ، وسقفوا ^(٨) عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع
ثيابه وخياطتها .

-
- (١) بياض كذلك في نسختنا ، أخذناه من ياقوت .
(٢) في ياقوت : « في كل أيام » ولعل كلمة ماسقطت بين كل وأيام ، مثل كلمة « ثلاثة » أو أن تكون
« في كل أيام مرضه » كما في تعليقات المستشرق فراهن ص ١٠١ ، فأخذنا بها عن نسخة كوبنهاغن لياقوت .
(٣) في النسخة : « برأ »
(٤) في نسختنا « يأكله » - وفي ياقوت « تأكله » .
(٥) بياض ملأناه عن ياقوت .
(٦) إضافة أخذناها من ياقوت - وفي نسختنا « ينقطع بالرياح والأمطار » - وفي ياقوت : « حتى يتقطع
من المكت أما بالرياح أو بالأمطار » .
(٧) الزيادة من ياقوت وفيه : « انهم كانوا يفعلون » .
(٨) في نسختنا : « وسقفوه » - وفي ياقوت : « وسقفوا » .

وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ، ويجعلونه فيها
ويحرقونها . والغني يجمعون ماله ، ويجعلونه ثلاثة أثلاث . ثلث لأهله ،
وثلث^(١) يقطعون له به ثياباً ، وثلث ينبذون^(٢) به نبذاً يشربونه يوم
تقتل جاريته نفسها ، وتُحرق مع مولاهما .

وهم مستهترون بالنبيذ^(٣) يشربونه ليلاً ونهاراً ، وربما مات الواحد
منهم والقدح في يده . وإذا مات الرئيس [منهم]^(٤) قال أهله لجواريه
وغلمانهم : « من منكم يموت معه ؟ » فيقول بعضهم : « أنا » فإذا قال ذلك ، فقد
وجب [عليه]^(٥) لا يستوى له أن يرجع [أبداً]^(٦) ، ولو أراد ذلك
ما ترك ، وأكثر من يفعل [هذا]^(٧) الجواري .

* * *

فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه : « من يموت

(١) في نسختنا : « وثلثاً يقطعون ... وثلثاً ينبذون » وهو خطأ فأصلهناه .

(٢) في ياقوت : « يشربون به نبذاً » .

(٣) في ياقوت : « مستهترون بالخمر يشربونها » .

(٤) زيادة من ياقوت .

(٥) زيادة من ياقوت .

(٦) زيادة كذلك من ياقوت - وفي صدد الحرق يماق فرهن هنا ص ١٠٥ على العبيد والغلمان فينقل عن

شمس الدين الدهشقي بالورقة (١٣٣ و) قوله : « وهؤلاء يحرقون ملوكهم إذا ماتوا ويحرقون معهم
عبيدهم وأماهم ونساءهم ، ومن كان خاصاً بهم كالكتاب والوزير والنديم والطبيب » .

(٧) في نسختنا : « وأكثر من يفعل الجواري » - وفي ياقوت : « وأكثر مايفعل هذا الجواري »
فأضفنا اسم الإشارة .

معه « ؟ فقالت ^(١) إحداهن : « أنا » . فوَكَّلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث ^(٢) سلكت ، حتى أنهما ربما غسلتا ^(٣) رجلها بأيديهما . وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له ، واصلاح ما يحتاج إليه . والجارية في كل يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة .

فلما كان ^(٤) اليوم الذي يُحرق فيه هوو والجارية ، حضرت إلى النهر [الذي] فيه ^(٥) سفينته ، فإذا هي قد أُخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الخدنك ^(٦) وغيره ، وجعل أيضاً حولها مثل الأناير الكبار ^(٧) من الخشب ، ثم مُدَّت حتى جعلت على ذلك الخشب . وأقبلوا يذهبون ويحيثون ^(٨) ويتكلمون [بكلام لا أفهم ، وهو بعد في قبره لم يُخرجوه] ^(٩) . ثم جاءوا بسرير فجعلوه

(١) في نسختنا : « قال » وهي خطأ .

(٢) في ياقوت : « حيث ماسكت » .

(٣) في نسختنا : « غسلا رجلها » - وفي ياقوت : « غسلتا رجلها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٤) في نسختنا : « في اليوم » وحرف الجر زائد ، فحذفناه وهو لم يقع في ياقوت .

(٥) في نسختنا : « إلى النهر سفينته فيه » - وفي ياقوت : « الذي فيه سفينته » فأضفنا الذي وقدمنا حرف الجر وضميره .

(٦) في نسختنا : « من خشب الخدنك » - وفي ياقوت : « من خشب الخليلج » - وفي طبعة فردن للنص العربي : « من خشب الخليلج » وهو يملق بالصفحة ١٠٨ تعليقات مطولة ، « والخلنج على وزن سمند شجر يكون بأطراف الهند ، وقيل يكثر في جرجان ، وتتخذ من خشبه الأواني ، فارسي معرب » - ولله الخدنك نفسه - انظر الحضارة الإسلامية لقرن ١٨٤ / ٢ والنصوص العربية عند فردن حيث يصف زهره وجهه ولونه ولون عوده .

(٧) في نسختنا : « مثل الأناير الكبار » - وفي ياقوت : « مثل الاناس والكبار من الخشب » - والأناير جمع أنبار أو أنبير فارسية الأصل تعني فيما تعني الجسر الذي يوضع للسفينة .

(٨) في نسختنا : « ويحيون » وهي مصحفة .

(٩) هنا يياض وطمس أذهب الكلمات وأبقى حروفاً قليلة ، فأكملناه من ياقوت .

على [السفينة وغشّوه بالمضربات الديباج الرومي]^(١) والمساند الديباج [الرومي] ، ثم^(٢) جاءت [امرأة عجوز يقولون لها]^(٣) || ملك الموت ، ففرشت على السرير الفرش^(٤) التي ذكرنا . وهي وليت خياطته وإصلاحه ، وهي تقتل^(٥) الجواري ؛ ورأيتها جوان بيرة^(٦) ، ضخمة ، مكفهرة .

فلما وافوا قبره نحّوا التراب عن الخشب ونحّوا الخشب ، واستخرجوه في الإزار الذي^(٧) مات فيه ، فرأيته قد اسودّ لبرد البلد ، وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبیذاً وفاكهة وطنبوراً ، فأخرجوا جميع ذلك ، فإذا هو لم ينتن ولم يتغير^(٨) منه شيء غير لونه .

فألبسوه سراويل^(٩) ورائاً وخفّاً^(١٠) وقرطماً وخفتان ديباج له أزرار

-
- (١) بياض كذلك ملأناه من ياقوت - والمضربات : المساند - والديباج الرومي : ضرب من الثياب ، وقيل المنسوج من ألوان مختلفة ، فارسي معرب .
- (٢) في نسختنا : « وجاءت » - وفي ياقوت : « ثم جاءت » .
- (٣) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .
- (٤) في ياقوت : « ففرشت على السرير الذي ذكرناه » .
- (٥) في ياقوت : وهي تقبل .
- (٦) في نسختنا « جوان بيرة » - وفي ياقوت : « حواء بيرة » وقد عالج المستشرقون هذه الكلمة ، فرأى أكثرهم أنها فارسية تتركب من كلمتين (جوان وبيره) أي شابة عجوز ، وفي تكملة المعاجم لدوزي ٢٢٩ / ١ يسميها « جوانبيرة » ويقول أنها بمعنى ساحرة أو تحترف صناعة السحر وهي الالهة الموت في الميتولوجيا .
- (٧) في نسختنا : « الذين » وصوابها مارسمنا .
- (٨) في نسختنا : « ولم تغير » وصوابه في ياقوت .
- (٩) السراويل : هي الشلوار بالتركية ، وهو لباس قديم منذ سليمان النبي ، كما في السيوطي ، وقد مر بنا شرح الران على أنه نوع من الأحذية .
- (١٠) الخف : واحد الخفاف التي تلبس في الرجل ، سمي كذلك لخفته .

ذهب ، وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمورية^(١) . وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة . وأجلسوه على المضربة وأسندوه^(٢) بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه .

وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه ، وجاؤا بكلب فقطعوه نصفين^(٣) ، وألقوه في السفينة . ثم جاءوا بجميع^(٤) سلاحه فجعلوه إلى جانبه ، ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا ، ثم قطعوهما بالسيف وألقوا لحمهما في السفينة .

ثم جاءوا بيقرتين فقطعوهما أيضاً وألقوهما فيها . ثم أحضروا ديكاً ودجاجة فقتلوهما ، وطرحوهما فيها .

والجارية التي تريد [أن] تقتل^(٥) ذاهبة وجائية تدخل قبة قبة من قباهم ، فيجامعها صاحب^(٦) القبة ، ويقول لها : « قولي لمولاي إنما فعلتُ هذا من محبتك » .

* * *

- (١) في ياقوت : « ديباج سمور » .
- (٢) في نسختنا : « وسندوه » - في ياقوت « وأسندوه » .
- (٣) في نسختنا : « بنصيفين » وفي ياقوت : « نصفين » .
- (٤) في نسختنا : « جمع سلاحه » .
- (٥) في نسختنا : « تريد تقتل » - في ياقوت : « التي تقتل » - وفي مخطوطة كوينهاغ لياقوت : « تريد أن تقتل » وهي قريبة من مخطوطتنا ، فأضفنا أن متابعة للمخطوطة .
- (٦) في ياقوت : « فيجامعها واحد واحد وكل واحد يقول لها قولي » - وفي طبعة فردن : « فيجامعها صاحب القبة يقول لها » - ومخطوطات ياقوت قريبة مما في نسختنا ، فأبقينا على روايتنا - وأما في كتاب هفت اقليم لأمين الرازي فالتفصيل يزيد النص أهمية ، وقد نقل عن مخطوطة لابن فضلان ضاعت -

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة ، جاءوا بالجارية إلى شيء ، قد عملوه مثل ملبن^(١) الباب ، فوضعت رجلها^(٢) على أكف الرجال ، وأشرفت على ذلك الملبن ، وتكلمت بكلام [لها]^(٣) ، فأنزلوها . ثم أصعدوها ثانية^(٤) ففعلت كفعلها في المرة الأولى ، ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ، ففعلت فعلها في المرتين . ثم دفعوا إليها^(٥) دجاجة فقطعت رأسها ورمت به ، وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة .

فسألت الترجمان عن فعلها فقال : « قالت في أول مرة^(٦) أصعدوها : [هوذا أرى أبي وأمي]^(٧) ، وقالت في الثانية : هوذا [أرى]^(٨) جميع قرابتي الموتى [قُوداً ، وقالت في المرة الثالثة : هوذا أرى مولاي قاعداً في]^(٩) الجنة . [والجنة حسنة خضراء]^(١٠) ، ومعه الرجال [والغلمان ؛

(١) ملبن الباب : قالب الآجر ، وهو هنا حدود الباب من عوارض الفلق يضم ألواح ، ولبننا الباب : جاباه (والعلق عند البنائين حجر يجعل في وسط المدماك يسكر به) .

(٢) في ياقوت : « رجالها » .

(٣) زائدة من ياقوت

(٤) في نسختنا : « الثانية » وصوابها ما في ياقوت « ثانية » - وفي طبعة فريدن « الثانية » فكأنما أخذت عن مثل نسختنا .

(٥) في ياقوت : « دفعوا لها »

(٦) في ياقوت : « قالت في المرة الأولى » .

(٧) بياض في الأصل أكملناه من ياقوت .

(٨) زيادة من ياقوت للسياق .

(٩) بياض كذلك ، ملأناه عن ياقوت .

(١٠) جملة طمس أكثرها وبقي منها بعض الحروف فأكملناها عن ياقوت .

وهو يدعوني] ^(١) فاذهبوا [بي إليه ا « فَرَّوْا بها » ^(٢) نحو السفينة فنزعت [سوارين ^(٣) كانا عليها ، ودفعتهما إلى المرأة ^(٤) التي تُسمَّى [ملك الموت وهي] ^(٥) التي تقتلها . ونزعت خلخالين كانا ^(٦) عليها ، ودفعتهما [إلى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا] ^(٧) المرأة المعروفة بملك الموت .

ثم أصعدوها إلى السفينة ، ولم يدخلوها [إلى القبة] ^(٨) . وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب ^(٩) ، ودفعوا إليها قدحاً نبیذاً فغثت عليه وشربته . فقال لي الترجمان : « إنها تودّع صواحباتها ^(١٠) بذلك » . ثم دُفع إليها قدح آخر ، فأخذته وطوّلت الغناء ، والمعجوز تستحشها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاهما . فرأيتها وقد تبلّدت ^(١١) وأرادت دخول ^(١٢) القبة ،

-
- (١) بياض كذلك نقلناه عن ياقوت .
 (٢) جملة طمس أكثرها وبقيت حروف ، فأكملناها عن ياقوت .
 (٣) في نسختنا : « فنزعت وارين كانا معها » .
 (٤) في ياقوت : « المرأة المعجوز » .
 (٥) بياض أكملناه من ياقوت .
 (٦) في ياقوت « كانتا عليها » - والخلخال حلقة من فضة كسوار تلبسها نساء العرب في أرجلهم .
 (٧) جملة أصاب أكثرها طمس فحاشا وبقيت بعض حروف أكملناها من ياقوت ، وقد حذف ياقوت كلمة « المرأة » .
 (٨) في نسختنا : « ولم يدخلوا » وبعدها بياض أكملناه عن ياقوت .
 (٩) في نسختنا : « التراس الخشب » - وفي ياقوت « التراس والخشب » - والتراس في الأصل جمع ترس وهو صفعة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .
 (١٠) في إحدى نسخ ياقوت : « صوحيباتها » .
 (١١) تبلّد : تردد متحيراً ، وفي الشعر القديم وردت الكلمة بهذا المعنى .
 (١٢) في ياقوت : « الدخول الى القبة » .

فأدخلت [رأسها] ^(١) بينها وبين السفينة ، فأخذت المعجوز رأسها وأدخلتها ^(٢) القبة ، ودخلت معها .

وأخذ ^(٣) الرجال يضربون بالخشب ^(٤) على التراس لئلا يُسمع صوتُ صياحها [فيجزع غيرها] ^(٥) من الجواري ، ولا يطلبن الموتَ مع مواليهن . ثم دخل ^(٦) إلى القبة ستة رجال [فجاءموا] ^(٧) بأسرهم الجارية . ثم أضجعوها إلى جانب ^(٨) مولاها ، وأمسك اثنان رجلينها واثنتان يديها . وجعلت المعجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً [مخالفاً ، ودفعته] ^(٩) إلى اثنين ليجذباه ^(١٠) . وأقبلت ومعهما خنجر ^(١١) عريض النصل ، [فأقبلت تدخله] ^(١٢) [بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه] ^(١٣) والرجلان يخنقانه بالحبل حتى ماتت .

-
- (١) إضافة من ياقوت لاء البياض في النسخة - وفي ياقوت : « فأدخلت رأسها بين القبة والسفينة » .
 (٢) في نسختنا : « وأدخلته القبة » - وفي ياقوت : « وأدخلتها القبة ودخلت معها المعجوز » .
 (٣) في ياقوت : « وأخذوا الرجال » .
 (٤) في نسختنا : « يضربون الخشب » - وفي ياقوت : « يضربون بالخشب » .
 (٥) طمس أكثر حروف الكلمة فأكملناها عن ياقوت .
 (٦) في ياقوت : « دخل القبة » .
 (٧) بياض أكملناه من ياقوت .
 (٨) في ياقوت : « إلى جنب مولاها الميت » .
 (٩) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - ويرى المستشرق قرهون في تفسير الكلمة شبها بالآية الكريمة : « أيديهم من خلاف » .
 (١٠) في نسختنا « ليجذباه » وهو خطأ في النحر على عادة الناسخ .
 (١١) في نسختنا : « ومعهما جهر » وهو تحريف صوابه في ياقوت .
 (١٢) طمس أكثر حروف هذه الجملة فأكملناها عن ياقوت .
 (١٣) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - وفي بعض نسخ ياقوت سطر يبدو انه سقط من نسختنا أو - من

ثم وافى [أقربُ الناس إلى ذلك الميث فأخذ خشبة ^(١)] وأشعلها بالنار. ثم مشى القهقري [نحو ^(٢)] قفاه إلى السفينة ، ووجهه [إلى الناس] والخشبة ^(٣) المشعلة في يده الواحدة ، ويده الأخرى على باب أسته ، وهو عريان [حتى] أحرق الخشب المعبأ ^(٤) الذي تحت السفينة [من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها] ^(٥) .

ثم وافى الناس بالخشب ^(٦) والخطب ، ومع [كل] واحد خشبة قد ألهب رأسها ، فيلقبها في ذلك الخشب . فتأخذ ^(٧) النار في الخطب ، [ثم في السفينة ثم في القبة] ^(٨) ، والرجل والجارية ، وجميع ما فيها . [ثم هبت] ^(٩) ريح عظيمة هائلة [فاشتدَّ لهبُ النار] ^(١٠) واضطرم تسعُرُها ، [وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعتَه] ^(١١) يكلم || الترجمان الذي [٢١٢]

— نسخة ياقوت المطبوعة هذا نصه : « وجرتها ثم أدخلتها مرة أخرى في غير موضع من بين أضلاعها ، وجرتها فلم تزل تدخل السكين وتجرحها في موضع بين أضلاعها » ولعلَّ الجملة عندنا مختصرة من هذه .

- (١) يياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت .
- (٢) زيادة من ياقوت
- (٣) في نسختنا : « ووجهه... والخشبة المشعلة في يده واحدة » - وفي ياقوت : « والخشبة في يده الواحدة » فرأينا أن كلمة (وجهه) زائدة فحذفناها لأنه لا تنتم لها ، فقلله يريد : « ووجهه إلى الناس » ، ثم أصلحنا « الواحدة » .
- (٤) في ياقوت : « الخشب الذي عبوه تحت السفينة » .
- (٥) إضافة من ياقوت من غير أن يوجد طمس أو نقص ، جعلناها لتنتم السياق .
- (٦) في الأصل عندنا : « وافى الناس الخشب » وصوابها في ياقوت
- (٧) في نسختنا : « ويأخذ النار » فأضفنا الفاء .
- (٨) يياض في نسختنا أقمناه عن ياقوت .
- (٩) يياض كذلك ملأناه عن ياقوت .
- (١٠) يياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت ، وأصلحنا العبارة بعده بإضافة حرفين سقطا في أولها « اضطرم » .
- (١١) يياض في النسخة أكملناه عن ياقوت .

معي^(١) ، فسألته [عما قال له]^(٢) ، فقال : « إنه يقول : أأنتم^(٣) يا معاشر العرب حقى » [فقلت : « لم^(٤) ذلك ؟ » قال : « إنكم^(٥) تتمدون إلى أحب الناس إليكم] وأكرمهم عليكم فتطرحونه [^(٦) في التراب ، وتأكله^(٧) التراب والهوام والدود ، ونحن نحرقه [بالنار]^(٨) في لحظة ، فيدخل [الجنة من]^(٩) وقته وساعته » .

[ثم ضحك ضحكاً مفرطاً]^(١٠) فسألتُ عن ذلك فقال : « مِنْ حَبَّةِ رَبِّهِ له ، قد بعثَ الريحَ حتَّى [تأخذه]^(١١) في ساعة » . فما مضت^(١٢) على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والخطب والجارية والمولى رماداً رَمِدِداً^(١٣) .

-
- (١) في ياقوت : « الذي معه » .
 (٢) طمست حروف كثيرة من هذه الجملة فتمسرت قراءتها ، لذلك أخذناها من ياقوت ، وكانت في الأصل : « عن ٤٠٠٠ » .
 (٣) في ياقوت : « أنتم معاشر » .
 (٤) بياض لم تقع على تنمته في ياقوت فقد اختصره ، ولعلنا وقفنا في اختيار ما يحل محله ، وقد وقع مثله في طبعة وليدي .
 (٥) في ياقوت : « حقى لأنكم تتمدون » .
 (٦) بياض في نسختنا أخذناه من ياقوت .
 (٧) في ياقوت : « فتأكله الهوام والدود » .
 (٨) زيادة من ياقوت من غير أن يقع عندنا طمس أو بياض ، فأخذناها لتنتم السياق .
 (٩) بياض في نسختنا أكلناه من ياقوت .
 (١٠) زيادة رأينا اضافتها من ياقوت ، لاكمال السياق ، وأما جملة : « سألت عن ذلك » فهي ناقصة في ياقوت ، والجملة فيه كما يلي : « ثم ضحك ضحكاً مفرطاً وقال من حبة ربه » .
 (١١) بياض في نسختنا أقمناه عن ياقوت - في بعض نسخ ياقوت : « قد تهب الريح » وكذلك في طبعة فردن من ٢٠ .
 (١٢) في نسختنا : « فما قضت » وهو تصحيف صوابه في ياقوت .
 (١٣) في نسختنا : « رماداً ثم رمدوا » ولم نر لها معنى ، وصوابها في ياقوت : « رماداً رمداً » - والرماد دقاق الفحم من حراقة النار - والرمد : المتناهي في الاحتراق والدقة .

ثم بنوا على موضع السفينة، [وكانوا]^(١) قد أخرجوها من النهر شبيهاً بالتلّ المدوّر، ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنك^(٢)، وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس، وانصرفوا.

* * *

قال :

ومن [رسم]^(٣) ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمئة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده، فهم^(٤) يموتون بموته ويقتلون دونه . ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتفعل رأسه^(٥)، وتصنع له ما يأكل ويشرب، وجارية أخرى يطؤها^(٦). وهؤلاء الأربعمئة يجلسون تحت سريره^(٧)، وسريره عظيم مرصّع بنفيس الجواهر^(٨)، ويجلس معه على السرير أربعون جارية [لفراشه]^(٩)، وربما وطىء الواحدة منهم بحضرة أصحابه الذين ذكرنا .

-
- (١) زيادة من ياقوت يقتضيا السياق ، ولم يقع طمس أو بياض .
 (٢) في نسختنا : « خدنك » - وفي ياقوت : « خذنج » وهو واحد ، فارسية معربة .
 (٣) بياض أكملناه عن ياقوت .
 (٤) في نسختنا : « منهم يموت بموته » - وفي طبعة فردن : « منهم يموتون بموته » - وفي ياقوت : « فهم يموتون بموته » وهو أصوب في رأينا .
 (٥) في نسختنا : « وتفعل لباسه وتضع » - في ياقوت : « وتفعل رأسه وتصنع » .
 (٦) في نسختنا : « يطأ هؤلاء » وهو خطأ من الناسخ فقد عثى عليه المني ووم .
 (٧) السرير : التخت ، ويقلب على تخت الملك لما يجلب من سرور ، جمه أسرة وسرر .
 (٨) في ياقوت : « بنفيس الجواهر » .
 (٩) بياض في نسختنا ، أكملناه عن ياقوت .

ولا ينزل عن سريره، فإذا ^(١) أراد قضاء حاجة [قضاها] ^(٢) في طشت.
 وإذا أراد الركوبَ قدموا ^(٣) دابته إلى السرير [فركبها منه] ^(٤) . وإذا
 [أراد] ^(٥) النزول قدم دابته حتى ^(٦) يكون نزوله عليه . وله خليفة
 يسوس الجيوش ؛ [ويواقع الأعداء ويخلفه] ^(٧) في رعيته .

-
- (١) في نسختنا : « فان أراد » - في ياقوت : « فاذا أراد » .
 (٢) بياض في النسخة نقلناه عن ياقوت - والطشت أو الطست : إناء من نحاس لغسل اليد، مؤنثة ، جمعها طسوت
 (٣) في نسختنا : « قدم دابته » - وفي ياقوت : « قدموا دابته » .
 (٤) بياض في الموضعين من النسخة ملأناها عن ياقوت .
 (٥) في نسختنا : « حتى ينزل دابته » - وفي ياقوت : « حتى يكون نزوله عليه » ولعلها أصوب
 فالتخذناها متناً .
 (٦) بياض وطمس حذفاً أكثر معالم الجملة فرددناها عن ياقوت - وهنا ينتهي فصل الروس يقول فيه
 ياقوت ٨٤٠/٢ : « هذا ما نقلته من رسالة ابن فضال حرقاً حرقاً ، وعليه عهدة ماحكاه والله أعلم
 بصحته » وبذلك يقف المشرق فروعاً في تعليقاته طبعاً ، لانتهاه فصل الروس .

[الحنظل]

٢٣

فأما ^(١) ملك الخزر ، واسمه ^(٢) خاقان ، فإنه لا يظهر إلّا في كل [أربعة أشهر متزهاً] ^(٣) ، ويقال له خاقان الكبير ، ويقال لخليفته خاقان به ، وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ^(٤) ويدبّر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر وينزو . وله تدعن الملوك الذين يصاقبونه ^(٥) . ويدخل [في كل يوم إلى خاقان الأكبر متواضعاً يظهر الأخبات والسكينة ولا يدخل عليه إلّا حافياً

(١) أوردت نسختنا ثلاثة سطور عن الخزر ، ثم بترت وخرمت أوراقها بعدها . وكنا قدرنا ان النقص فيها كان بمقدار ورقة أو ورقتين فحسب . وعدنا الى ياقوت بمادة الخزر ، فاذا به يثبت عن ابن فضلان ثلاث صفحات قال إنه نقلها من رسالته . ولكن التحديق الطويل ساقنا إلى أن النصف الأول منها ليس لابن فضلان ، لأنه يقع في الاصطخرى ٢٢٠ - ٢٢٤ ، وفي ابن حوقل ٣٨٩/٢ فلمل ياقوت نقل عنها ، وأما النصف الثاني فلم نجده في هذين المصدرين ، وإنما انفرد به ياقوت ٤٣٨/٢ ، فأورد هذه السطور الثلاثة وتابع النقل عن ابن فضلان ، فأثبتنا ذلك كله على أنه لابن فضلان برواية ياقوت ، لأننا رأينا فيه نفس كاتبنا وألفاظه ولهذا ضمنناه اليه وجعلناه بين معقوفتين ، كما شرحنا الأسر في المقدمة على تفصيل ، وهكذا اتصلت سطور نسختنا بسطور ياقوت - وقد رأينا أخيراً بعد طبع هذه السطور أن وليدي فعل مثلما فعلنا في طبعته .

(٢) في ياقوت : « وأما ملك الخزر فاسمه خاقان وأنه » - وفي الاصطخرى ٢٢٤ : « فان عظيمهم يسمى خاقان خزر وهو أجل من ملك الخزر ، إلا أن ملك الخزر هو الذي يقيمه ، وإذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاءوا به فيخنقونه بحريرة ... الخ » والتفصيل فيه هام يجدر الرجوع اليه ، ويقول ان الخزر لا يشبهون الأتراك فهم سود الشعور .

(٣) ناقص في نسختنا أخذناه عن ياقوت .

(٤) في نسختنا : « الجيوش ويسوس » - في ياقوت : « الجيش ويسوسها » وهي أصح .

(٥) صاقب : قارب ودنا - وفي الاصطخرى ٢٢٤ : « فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصاقبهم من أصناف الكفر الا انصرف ولم يقاتله تمظلياً له » . وهنا تقف النسخة وتنتهي . ومن هنا نبدأ بالنقل عن ياقوت حرفياً اتماماً للنص ٤٣٨/٢ - ٤٣٩ : فنجمله بين هاتين المعقوفتين . وقد فعل مثلنا المنشرق الروسي فعلق على الخزر وأتبته بابن فضلان من هذا المكان - انظر طبعة كرفالفسكي ص ١٦٦ - ١٧١ وفعل قبله من هذا فروع حين طبع فصل الخزر عن ياقوت ، وقد رأينا أن وليدي فعل مثل ذلك .

وييده حطب ، فإذا سلّم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب ، فإذا فرغ من الوقود ، جلس مع الملك على سريرته عن يمينه . ويخلفه رجلٌ يقال له كندر^(١) خاقان ، ويخلف هذا أيضاً رجل يقال له جاوشنغر^(٢) .

ورسم الملك الأكبر^(٣) أن لا يجلس للناس ، ولا يكلمهم ، ولا يدخل عليه أحدٌ غير من ذكرنا . والولايات في الحلّ والعقد والعقوبات وتدير المملكة على خليفته خاقان به . .

ورسمُ الملك الأكبر إذا مات أن يُبنى له دار كبيرة^(٤) فيها عشرون بيتاً ، ويحفر له في كل بيت منها قبر ، وتكسّر الحجارة حتى تصير مثل الكحل ؛ وتقرش فيه ، وتطرح النورة فوق ذلك^(٥) . وتحت الدار نهر ؛ والنهر^(٦) نهر كبير يجري ، ويجعلون القبر فوق ذلك النهر ، ويقولون : « حتى لا يصل إليه شيطانٌ ولا إنسان ولا دود ولا هوام » .

وإذا دُفن ضربت أعناق الذين يدفونونه حتى لا يدرى أين قبره من

(١) انظر حدود العالم ، طبعة مبنورسكي ، لندن ١٩٣٧ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٢) في بعض المصادر : « جاوشنغر » وكلمة جاویش تركية معروفة - انظر دوزي تكملة معجم العرب ، ودائرة المعارف الإسلامية ٨٦٤/١ .

(٣) في نسخة فوهن : « الملك الأعظم الأكبر » .

(٤) يترجمها فوهن بالقصر « Palatium » .

(٥) النورة : في الأصل حجر الكلس ، وقيل إنها عربية وقيل معربة .

(٦) وردت هذه الجملة كذلك في الأصل - وأورد المستشرق الروسي ١٦٨ رواية أخرى في بعض النسخ

هذا نصها : « وتحت الدار نهر والنهر كبير يجري فوقه ، ويجعلون ذلك القبر بينها » - وفي بعض مخطوطات ياقوت الأخرى : « ويجعلون النهر فوق ذلك القبر » .

تلك البيوت . ويسمى قبره الجنة . ويقولون : « قد دخل الجنة » ، وتُقرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب .

ورسمُ ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة ، كل امرأة منهن ابنة ^(١) ملك من الملوك الذين يحاذونه ، يأخذها طوعاً أو كرهاً . وله من الجواري السراي لفراشه ستون ، ما منهن إلا فائقة الجمال . وكل واحدة من الحرائر ^(٢) والسراي في قصر مفرد ^(٣) ، لها قبة مغطاة بالساج ^(٤) ، وحول كل قبة مضرب ^(٥) ، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها . فإذا أراد أن يطاء بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى ^(٦) يجعلها في فراشه . ويقف الخادم على باب قبة الملك ، فإذا وطئها أخذ ييدها وانصرف ، ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة .

وإذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه ، ويكون بينه وبين المواكب ميل ، فلا يراه أحد من رعيته إلا خراً لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يحوزه .

(١) في نسخة فرهن عن الخزر : « بنت » .

(٢) في نسخة فرهن : « من الجوار والسراي » .

(٣) في طبعة فرهن : « قصر مفرد » .

(٤) الساج : شجر يعظم جداً ، لا يبيت إلا ببلاد الهند ، وخشب أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه ، جمه سيجان ، الواحدة ساجة .

(٥) المضرب : الساحة والمكان كما في معجم دوزي ، وقيل هو الفسطاط العظيم جمه مضارب .

(٦) في فرهن : « حتى يجعلونها » وهي خطأ .

ومدة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوماً واحداً قتله الرعية وخاصته ، وقالوا : « هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه » .
 وإذا بعث سرية لم تولّ الدبر^(١) بوجه ولا سبب . فإن انهزمت قُتل كل من ينصرف إليه منها . فأما القواد وخليفته فتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون . وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم ، وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلبهم ، وربما علّقهم بأعناقهم في الشجر ، وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسة .

ولملك الخزر مدينة عظيمة على « نهر إتل » ، وهي جانبان . في أحد الجانبين المسلمون ، وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه . وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك^(٢) يقال له خز ، وهو مسلم . وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة الى ذلك الغلام المسلم لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره^(٣) .

(٢) رأى المستشرق في هذه الصيغة اقتباساً من القرآن الكريم : « ويولون الدبر » ٤٠/٤٠ من سورة الدبر . ونحن نرى في الجملة التالية : « بوجه ولا سبب » صيغة من صيغ ابن فضال كررها في الرسالة بمواضع منها .

(٣) يروي المستشرق الروسي نصاً من بعض المخطوطات عند فرهن : « رجل من أصحاب غلمان الملك يقال له خزيمة » ولعلها أصوب من « خز » .

(٤) هنا رأينا أن نغف عن النقل عن ياقوت ، لأن ما بهما لا يشبه أسلوب ابن فضال ، وفيه جملة مؤرخة بعام محدود هو سنة ٥٣١ هـ ، وقد عرفنا أن صاحبنا غادرها قبل ذلك . فنحن لانرى رأى فرهن ووليدي ولا كوفافسكي في الحاقها بنص الخزر على أنها لابن فضال . وان كنا نعتقد أن الفصل ما يزال ناقصاً لم يتم ، ولكننا عملنا بالقول المشهور ما لا يدرك كله لا يترك كله .

الفهارس

- ١ - فهرس الأعلام والقبائل والطوائف
- ٢ - فهرس المواضع والأماكن
- ٣ - فهرس الحضارة واللغة
- ٤ - فهرس الكتب والمراجع
- ٥ - فهرس محتويات هذه الطبعة

فهرس الأعلام والقبائل والطوائف

أدخلنا في هذه الفهارس ماجاء في رسالة ابن فضلان وماورد في تعليقاتنا بالحواشي وما وقع في مقدمتنا لدراسة الرسالة وصاحبها ، لم نفرق بين المتن والحاشية بأرقام صغيرة أو كبيرة كما كنا نفعل دائماً وذلك لقلّة صفحات الرسالة . واعتبرنا كلمة ابن وأب أساسية في صلب الكلمة ، وجعلنا في هذا الفهرس كتب المؤلفين إلى جانب أسمائهم داخل الأقواس ، فقد ذكرناهم في الحواشي حيناً بأسمائهم وحيناً بعناوين كتبهم .

أ

آل طولون ٣٨

ابن الأنير (الكامل في التاريخ) ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، ١١٩ ،

ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة) ٦٨

ابن جرير الطبري (تاريخ الامم والملوك) ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ١١٥ ،

ابن حوقل (صورة الارض) ١٥ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

١١٩ ، ١٦٩ ،

ابن خرداذبة (المسالك والممالك) ١٤ ، ١٥ ،

ابن رسته (الأعلام النفيسة) ١٥ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٥ ،

ابن الطقطقي (الفخري في الآداب) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥ ،

ابن العديم (بغية الطلب) ٧٦

ابن الفقيه الهمداني (البلدان) ١٤ ، ٧٦ ، ٩١ ، ١١٥ ،

ابن فضلان = أحمد بن فضلان

ابن قارن ٧٤

ابن مسكويه = مسكويه

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ٢٧ ، ١٢٢ ،

أبو جعفر المنصور (الخليفة) ١٣١ ،

أبو دلف (مسعر بن مهلهل) ١٧ ، ١٠٦ ،

أبو عبيدة البكري (معجم ما استعجم) ٤٦ ، ٥٥ ، ١٢٢ ،

الأتراك (أو الترك) ٧ ، ٩ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٩ ، ٩١ ،

٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ،

أترك بن القطغان ١٠١

أحمد بن عتي صعلوك ٧٤ ، ٣٨

أحمد بن فضلان بن العباس (بن راشد بن حماد) ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ،

٢١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٠٣ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢

أحمد بن موسى الخوارزمي ٧٧ ، ٧٨

الادريسي (نزهة المشتاق) ٤٤ ، ٦٩ ، ١٤٩

اسماعيل بن أحمد (صاحب خراسان) ٢٤ ، ٦٩

الاصطخري (مسالك الممالك) ١٥ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٩١ ، ١٢٧ ،

الأطروش العلوي ٧٥

ألمش بن يلطوار (ألمش بن شلكي يلطوار) ٢٢ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١١٧ ،

امرؤ القيس (الشاعر) ١٣

ايلغز ١٠٣

ب

بارس الصقلابي ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ١٢٨ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

البجناك ٥٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧

البخاري (الصحيح) ١١٨

برتولد (المستشرق) ٤٦ ، ٩١ ، ١١٧

البرنجار ١٣٥

بروكلمن (تاريخ الأدب العربي) ٧٦

البنظيون ٢٩

البكري = أبو عبيدة البكري

بلال (مؤذن النبي صلعم) ١٢١

البلغار ٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٦٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦

بلاك (المستشرق) ٩ ، ٤٨

بيلايف (المستشرق) ١٠

ت

الترك = الأتراك

التركان ٨١

التغزوية ٩١

تكوين التركي ٢٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٣٦

ج

الجرمان ١٦

جعفر بن عبد الله (أمير بلغار) ١١٨

الجهشياري ٦٧

الجوهري (الصحاح) ٨٢ ، ١١٤

جوينبول (المستشرق) ١٢١

الجيّهاني (أبو عبد الله محمد) ٥٦ ، ٧٦

ح

حامد بن العباس (الوزير) ١٨ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ١١٤

الحسن بن بلطوار — ألمش بن يلطوار

حمويه كوسا ٧٥

خ

خاقان الخزر ٥٤ ، ٥٦ ، ١٦٩

الخزر ٢٣ ، ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ،
١٧١ ، ١٧٢

الخرلجية ٩١

خليل مردم ٩ ، ١٠

د

الداعي (الحسن بن القاسم الحسني) ٧٤ ، ٧٥

دقورجالك (المستشرق) ٤٦

دنلوب (المستشرق) ٩ ، ٤٨

دهساسي (سلقستر المستشرق) ١٤٩

دوزي (تكملة معاجم العرب ومعجم الملابس) ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،

١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١

و

راسموسن (المستشرق) ٤٤

الروس ٧ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦

الروسي = كوقا القسكي

الروم ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

ريتر (تعليقات المستشرق ريتر) ٤٨ ، ١٣٣

ريشارد فراي = فراي

ريزن (المستشرق) ٤٦

ز

زكي محمد حسن (الرحالة المسلمون) ١٧

زكي وليدي طوغان (الطبعة الاولى لرسالة ابن فضلان) ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٤ ،

١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢

س

- السامانيون ١٧
 السكندنافيون ٢٩
 السلجوقيون ٩١
 سلام الترجمان ١٧ ، ١٣٨
 السلافيون ١٦
 سليمان النبي (صلى الله عليه وسلم) ١٥٨
 سميرادسكي (هنري) ٣٣
 سواز ١٤٠
 السودان ١٨
 سوسن الرسي ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٢٨
 السيوطي (جلال الدين) ١١٨ ، ١٥٨

ش

- شمس الدين الدمشقي = شيخ الربوة
 شيخ الربوة (نخبة الدهر) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٦

ص

- الصايبىء (المؤرخ ، تحفة الأمراء) ١٨ ، ١٩
 صاعد بن مخلد ١٩ ، ٢٠
 الصقالبة ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٥ ،
 ٦٧ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٥

ط

- طالوت ٢٧ ، ٣٧ ، ١٣٥
 طاهر بن عليّ ٧٦
 طرخان ١٠٣ ، ١٠٤

ع

- عبد الله ٢٧ ، ٣٨ ، ١٣٥
 عبد الله بن باشتو الخزري ٢٣ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠
 العجم ٣٨ ، ٤٢
 عديّ بن عبد الباقي (أبو عمر) ٢٠
 عليّ بن أبي طالب ٨٢
 عليّ بن عيسى (وزير المقتدر) ١١٥
 عليّ بن عيسى بن الجراح ١٨
 عليّ بن الفرات (أبو الحسن الوزير) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٩
 عمرو بن كلثوم (الشاعر) ١٥٠
 عيسى بن محمد المروذي ٩١
 عيسى بن مريم (عليهما السلام) ١١٨

غ

- الغزية ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٦
 غطريف بن عطاء (عامل خراسان) ٧٩

ف

- فراي ريتشارد (المستشرق تعليقات على الرسالة) ٩ ، ٤٨ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ١٠٥ ،
 ١١٠ ، ١٠٧
 القرنك ٢٩
 فره ن (المستشرق في ترجمة ابن فضلان الى الألمانية) ٢٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ،
 ١٧١ ، ١٧٣
 فستبرغ (المستشرق) ٤٦
 الفضل بن موسى النصراني ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٩
 فلاديمير ٦٧

ق

- قدامة بن جعفر ١٤
 قریش ١٣
 القطغان (أبو أترك) ١٠٢
 القفجق ١٠٦
 قلواس (دليل القافلة) ٨٨

ك

- كانار (ترجمة ابن فضلان الى الفرنسية) ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤١
 كراتشكوفسكي (المستشرق) ٤٩ ، ٥٨
 كريم (المستشرق) ٣٨
 كندر خاقان ١٧٠
 الكندي ١٤
 كوزركين ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١
 كوفالفسكي (مترجم رسالة ابن فضلان الى الروسية) ٥٠ ، ١١٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢

ل

- ليلي بن نعمان الديلمي ٧٥

م

- مأجوج (ويأجوج) ١٧ ، ٣٩ ، ١٣٨
 ماركوارت (المستشرق) ٤٧
 محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) ٢٧ ، ١١٧ ، ١٢١
 محمد بن سليمان (فاتح مصر) ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٥
 محمد بن عراق (خوارزم شاه) ٨٠
 محمد كرد علي ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٥١
 المستعين بالله (الخليفة) ١٣١

مسعر بن مهلهل = أبو دلف

المسعودي (مروج الذهب) ٣٤ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ١٤٠

مسكويه (تجارب الامم) ١٩ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥

المعتضد بالله (الخليفة) ١٨

المقتدر بالله (الخليفة) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ١١٤ ، ١١٧

المقدسي (أحسن التقاسيم) ١٥ ، ١٦ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ١٤٩

المكتفي بالله (الخليفة) ٦٩

المهلب ٧٥

ن

النابعة الشيباني (ديوانه) ٨٢

النبي = محمد صلعم

نذير الحزمي ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١٠٢ ، ١١٥

نسطور ٢٩

نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧

نيكلسون (المستشرق) ٤٥

نيكيتا اليسيف (المستشرق) ٩

ه

هارون الرشيد ١٧ ، ٧٩

الهنود ٣٣

و

الوائق بالله (الخليفة) ١٧ ، ١٣٨

وستنفلد (المستشرق) ٤٦

ويرغ ١٤٠

ويسو ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٢٦

ي

يأجوج (ومأجوج) ١٧ ، ٣٩ ، ١٣٨

ياقوت الحموي (معجم البلدان) ١٠ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،

٤٦ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ،

٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٧٢

يبغو (ملك الترك) ١٠١

اليقوي ١٤

يلطوار = ألمش بن يلطوار

ينال ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤

اليهود ٣٣ ، ٤٠ ، ١١٩

اليونان ١٤

فهرست المواقف والأماكن

بحر القبحق ١٠٦	١
بحر ورنك ٤٦	آسية الصغرى ٤٤
بخارى ٢٥ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ،	آفريز ٧٦
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩١	آمل ٧٥ ، ٧٦
براغ ٤٦	الاتحاد السوفياتي ٩
بغداد (مدينة السلام) ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ،	إتل ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٩ ،
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٦٨ ،	١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٧٢
٧٣ ، ٧٧ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ،	أرثخشمين ٦٨ ، ٧٧
بودابست ٧	أردكو ٨٢
بيكند ٧٦ ، ٧٨	أرمينية ١٥٠
ت	استكهولم ٤٥
تركستان ١٠٦	اسكل ١٤١ ، ١٤٥
ج	اصهان ٧٤
الجبال ٢٥ ، ٧٣ ، ٧٤	الاندلس ١٥ ، ١٦
الجبيل ١٥	أقرة ١٣
جران ٧٥ ، ١٥٧	إفريقية ١٤
الجرجانية ٢٥ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،	أوربة ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٦٩ ، ٩١ ، ١٣١ ،
٨٩ ، ٩٦ ، ١١٣	أوزبكستان ٧٦
الجزيرة العربية ١٣	ايران ٤٧
جيت ٨٩	ب
ح	باريس ٤٥
الحبشة ١٣	بحر آزوف ١٠٦
حلب ٤٤ ، ١٠٩	بحر البلطيق ١٦

الريّ ٢٥ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ٧٥	حلوان ٧٣
ذ	الحيرة ١٣
زمجان ٨٩	خ
س	خاركوف ٥٠
سان بطرسبورغ = لنغراد	خراسان ٢٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١
ساوة ٧٤	١٢٢
سرخس ٧٨ ، ٧٥	الخزر ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ١١٩ ،
سمرقند ٧٦ ، ٧٥	١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٥
سمنان ٧٤	خلجة ١٣٥ ، ١٤٠
ش	خوار الريّ ٧٤
الشام ١٣	خوارزم ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ ،
شتوتغارت ٤٨	٦٨ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ،
ص	٩٩ ، ٩٦
الصحراء الكبرى ١٥	د
الصين ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٩	دار البستان ٢٠
ط	الدامغان ٧٤
طبرستان ٧٥	دجلة = نهر دجلة
طهران ٧٤ ، ٢٥	الدسكرة ٧٣
طوس ٤٩ ، ٤٧	دمشق ١٣ ، ٧
ع	الدينور ٧٣
العراق ٦٩	و
غ	رباط طاهر بن عليّ ٧٦
غانة ٣٤	روستوك ٤٥
ف	الروسيا ١٦ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ،
فارس ١٥	٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٤٩ ،
	١٥٠

١٠٤٤ ١٠٢٠ ٧٨٠ ٧٦٠ ٧٥٠ ٥٢ مرو	فرنسة ١١٥
مشهد = طوس	القولغا = نهر القولغا
٦٩٠ ٣٨٠ ١٧ مصر	ق
١٢٦٠ ٤٩٠ ٢٢ موسكو	قازان ٢٢
ن	قرميسين (كرمانشاه) ٧٣
نصيبين ٦٨	القسطنطينية ١٣
نهر اتل = إتل	قشمهان ٧٥
نهر أختي ١٠٦	القوقاز ١٤
نهر أذل ١٠٦	قومس ٧٤
نهر أرخز ١٠٧	ك
نهر أورن ١١٠	كشميهن = قشمهان
نهر أورم ١١٠	كمبريج ٩
نهر باجاغ ١٠٧	كوبنهاغ ١٥٩٠ ١٥٥٠ ١٥٣٠ ٤٥
نهر بايناخ ١١٠	كوغة ٣٤
نهر جاخا ١٠٧	كيماك ٩١
نهر جاخش ١٠٥	ل
نهر جام ١٠٥	لنفراد ٤٧٠ ٤٦٠ ٤٥٠ ٣٣
نهر جاوشيز ١٤١٠ ١٤٠٠ ١١٠	لييتسيك ٤٧
نهر جرمشان ١١٠	ليدن ٦٧
نهر جيحون ٨٣٠ ٨١٠ ٧٦٠ ٧٥٠ ٢٥	م
١٠٧٠ ٨٦	المجمع العلمي العربي بدمشق ٧
نهر جيخ ١٠٧	المجمع العلمي السوفياتي ١٠
نهر الدانوب ٩١	المحيط الاطلسي ٢٩٠ ١٦٠ ١٤
نهر دجلة ١٢٦	المحيط الهندي ١٦
نهر سمور ١٠٧	المخرم ٢٠
نهر الفرات ١٩	

نهر الفولغا ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٧ ،	النيجر ٢٩
١٠٦ ، ٩٤ ، ٩١ ، ٥٠ ، ٤٦	نيسابور ٢٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩٨
نهر كنال ١٠٧	هـ
نهر كنتجلو ١٠٧	حراقة ٨٤
نهر الملك ٧٣	همذان ٢٥ ، ٧٣ ، ٧٤
نهر وتبا ١٠٦	الهند ١٤ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ١٤٢ ، ١٥٧
نهر وارش ١٠٦	و
نهر وتينغ ١١٠	واسط ٧٣
نهر يغندي ١٠٤ ، ١٠٥	الولايات المتحدة ٩
نهر يناسنه ١١٠	ويابة (كييف) ٤٦
النهروان ٧٣	

فهرس المحضارة واللغة

جعلنا هذا الفهرس لترتيب الكلمات اللغوية التي شرحناها، وألفاظ الحضارة وكلماتها مما يتعلق بالمأكل والمشرب والمسكن واللباس والرياش وأسماء الحيوان والنبات، ومما يصور الحياة الاجتماعية في ذلك العصر عند العرب وعند غيرهم من الأمم التي زارها ابن فضلان .

والرقم الأول بعد الكلمة يدل على مكان شرحها والتعليق عليها في هذه الطبعة؛ وأما الأرقام التالية فتدل على أما كن وجودها وتكرر ورودها .

د	أ
الداق ٧٩	أزاح العلة ٧٦
الدراهم السمرقندية ٧٩	أقاده به ١٣٢
الدراهم الطازجة ٨٢	الأنابير ١٥٧
الدراهم الغطريفية ٧٩	ب
الدراهم المزيفة ٨٢	باي باف ١٠٤ ، ٩٨
الدراهم المسيية = الدنانير المسيية	بذرة ٧٧
درز القرطق ١٠٨	برنس ٨٧
الدنانير المسيية ١٠٢ ، ٨٨	البوستين ١٠١ ، ٨٥
الدوامات ٨٢	ت
الدياج الرومي ١٥٨ ، ١٣١ ، ١٥	تبلد ١٦١
د	ج
ران ١٥٨ ، ٨٧	الجاورس ١٢٩ ، ١٠٤ ، ١٠١ ، ٩٥ ، ٨٦
رمدد ١٦٤	الجواري الروقة ١٥١
رمان أمليسي ١٢٨	جوان بيرة ١٥٨
س	ح
الساج (خشب) ١٧١	حراقة ٨٤
ساخرخ (مقياس) ١٣٠	خ
سبال ، أسبلة ١٠٣ ، ١٠٠	خدنج = خدتك
السجو ١١٦	الخدتك (خشب) ١٤١ ، ١٣٢ ، ١٠٥ ، ١٤١
سروال ١٥٨ ، ٨٧	١٦٥ ، ١٥٧
السثفر ١٠٧ ، ١٠٤ ، ٨٦	خفتان ١٥٨ ، ١٤٩ ، ١٠٤ ، ٩٨ ، ٨٧
ستور ١٥٩ ، ١٥٣ ، ١٤٥ ، ١٣٥ ، ١٢٩	خلنج = خدتك
السيور ١٤٤	

١٥٨ ، ١٤٩	ش
القفير ١٤٠	الشَبَه ٧٩
قلانس ، قلنسوة ١٣١ ، ١٥٩	الشَبَائِح ١٣٢
القولنج ١٤٣	شيرج ١٣٠
ك	ض
الكعاب (دراهم) ٨٢	ضبنة ١٠١
كيخت ٨٧	ط
م	الطاغ (حطب) ٨٣ ، ٩٠
المرصد ٧٨	طاق ٨٧
المضرب ١٧١	الطفس ١٥٢
المضربات ١٥٨	الطيفورية ١٤٢
المطرذ ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤	ع
المقنعة ٩٤ ، ١٠٢	عامل المعاون ٧٨
ملبن الباب ١٦٠	عراجين النخل ١٤٠
ن	غ
النبيذ ٩٦ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩	غلوۃ سهم ١٢٥
النمكسوذ ٨٦	ق
	قرطق ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩

فهرس الكتب والمراجع

أوردنا في هذا الفهرس أسماء الكتب والمراجع التي وردت في هذه الطبعة ،
وذكرنا السنين والمدن لبيان الطبعات وتحديدھا ، وجعلنا ترتيب المصادر
العربية أو المعربة أولاً ثم أوردنا بعدها المصادر الغرية . وقد اخترنا أن نذكر
هذه المصادر الأورية بالحروف العربية تجنباً لصعوبة طباعتها فهي بالروسية
والألمانية والمجرية والفرنسية ، لذلك ترجمنا العناوين تعريفاً بما فيها ، والمطلعون
على اللغات الأجنبية يعرفون مظاهها ويحسنون الرجوع إليها في يسر وسهولة .

أ — المصادر العربية والمترجمة الى العربية
(مرتبة على حروف المعجم)

- ١ — أحسن التقاسيم — للمقدسي (ليدن ١٩٠٦) ٧٦ ، ٩٨ ، ١٤٩
- ٢ — إرشاد الأريب أو معجم الادباء — لياقوت الحموي (طبعة الدكتور الرفاعي بالقاهرة ١٩٣٦) ٧٦
- ٣ — بغية الطلب في تاريخ حلب — لكمال الدين بن العديم (مخطوطة) ٧٦
- ٤ — بلدان الخلافة الشرقية — تأليف لسترنج وترجمة فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٥٤) ٧٦
- ٥ — البلدان — لأبي بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه (طبعة ليدن ١٣٠٢ هـ) ٧٦ ، ١١٥
- تاريخ ابن الأثير = الكامل في التاريخ
- تاريخ ابن جرير = تاريخ الأمم والملوك
- تاريخ ابن عساكر = تاريخ مدينة دمشق أو التاريخ الكبير
- ٦ — تاريخ الأمم والملوك — لابن جرير الطبري (المطبعة الحسينية بمصر) ٦٨ ، ١١٥ ، ٧٤ ، ٦٩
- ٧ — تاريخ مدينة دمشق — للحافظ أبي القاسم علي بن عساكر (طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١) ١٣٨
- ٨ — تجارب الأمم وتعاقب الهمم — لمسكويه (طبعة آمدروز بمصر ١٩١٥) ١٩ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٦٩ ، ٣٨
- ٩ — تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء — للصابي (طبعة آمدروز بيروت ١٩٠٤) ١٩
- تكملة معاجم العرب = معجم لتكملة معاجم العرب

- ١٠ — تقويم البلدان — لأبي الفداء (طبعة رينو وده سنان بباريس ١٨٤٠) ١١٣
- ١١ — حدود العالم — (طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧) ١٧٠
- ١٢ — الحضارة الاسلامية — لآدم مترز (ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة ، القاهرة ١٩٤١) ٧٩ ، ٨٢ ، ١١٥
- ١٣ — خريدة العجائب وفريدة الغرائب — لسراج الدين عمر بن الوردى (القاهرة ١٩٣٩) ١٣٥ ، ٩٠
- ١٤ — ديوان أبي فراس الحمداني — (طبعة سامي الدهان ، بيروت ودمشق ١٩٤٤) ١٤٤
- ١٥ — ديوان النابغة الشيباني — (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢) ٨٢
- ١٦ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى — تأليف المرحوم الدكتور زكي محمد حسن (القاهرة ١٩٤٥) ١٧
- ١٧ — رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الامصار (طبعة باريس ١٩٢٧) ١٤٢ ، ٩٤
- ١٨ — رحلة عبد اللطيف البغدادي — (طبعة مصر بغير تاريخ) ١٥٣
- ١٩ — رسوم دار الخلافة — للصابي (مخطوطة) ١١٧
- ٢٠ — صلة تاريخ الطبري — لعريب القرطبي (المطبعة الحسينية بمصر) ٧٤
- ٢١ — صورة الارض — لابن حوقل (طبعة كرامرز في ليدن ١٩٣٨) ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٦٩
- ٢٢ — صور الأقاليم — للبلخي (طبعة ليدن ١٩٢٧) ٥٤
- ٢٣ — الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير — للسيوطي (طبعة دار الكتب العربية بمصر) ١١٨
- ٢٤ — الفخري في الآداب السلطانية — لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (غريفزولد ١٨٥٨) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥

- ٢٥ — الفرج بعد الشدة — تأليف أبي علي المحسن التنوخي (الهلال بصر
١٩٠٣) ٣٨
- ٢٦ — فهرست الكتب والمخطوطات بمدينة مشهد (بالفارسية — طوس ١٣٤٥) ٤٧
- ٢٧ — الكامل في التاريخ — لابن الأثير (مصر ١٣٤٨ — ١٣٥٣) ٧٤ ، ٧٥ ،
١١٩ ، ١٠٤ ، ٧٦
- ٢٨ — مروج الذهب — للمسعودي (طبعة ده مينار في باريس ١٨٦١) ٣٤ ،
١٤٠ ، ٧٤
- ٢٩ — مسالك الممالك — للاصطخري (ليدن ١٩٢٧) ٥٤ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٢٧ ، ١٦٩
- ٣٠ — المسالك والممالك — للجيهاني (ذكره ابن العديم في بغية الطلب) ٧٦
- ٣١ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للحافظ عليّ الهيثمي (القاهرة ١٣٥٢هـ) ١٢١
- ٣٢ — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة — زامباور (ترجمة المرحوم الدكتور
زكي محمد حسن وزملائه ، القاهرة ١٩٥١) ٧٤ ، ٨٠
- ٣٣ — معجم البلدان — لياقوت الحموي (طبعة وستنفلد في ليتسيك ١٨٦٦)
ذكرنا أرقامه في فهرس الاعلام فيحسن الرجوع اليه هناك باسم ياقوت
- ٣٤ — معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع — للبكري (القاهرة ١٩٤٩)
- ٣٥ — المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم — لأبي منصور الجواليقي
(طبعة المرحوم أحمد محمد شاكر ، مصر ١٣٦١ هـ) ٨٢
- ٣٦ — مفاتيح العلوم — لمحمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي (القاهرة ١٣٤٢ هـ)
١٠١ ، ٩٧
- ٣٧ — النجوم الزاهرة — لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦) ٦٨
- ٣٨ — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر — لشمس الدين الدمشقي المعروف
بشيخ الربوة (طبعة مهران في ليتسيك ١٩٢٣) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،
١٤٩ ، ١٣٥ ، ١٢٢ ، ١١٩

٣٩ — نزهة المشتاق في اختراق الآفاق — للادريسي (مخطوطة) ٦٩

ب — المصادر الغربية والمجلات الأجنبية

(بenaar بن ترجمناها الى العربية)

٤٠ — تعليقات المستشرق ريتز في مجلة المستشرقين الالمان (لييتسيك ١٩٤٢

بالجزء ٩٦ ص ٩٨ — ١٢٦) على طبعة زكي وليدي لرسالة ابن فضلان

٤١ — تعليقات المستشرقين بلاك وفراي ، على رسالة ابن فضلان طبعة زكي وليدي
(في مجلة بيزانطينا ١٩٤٩ في ٣٧ صفحة)

٤٢ — تعليقات المستشرق دنلوب على طبعة وليدي للرسالة (في المجلة الالمانية
دنيا الشرق ، شتوتغارت من الصفحة ٣٠٧ — ٣١٢)

٤٣ — تعليقات المستشرق تشاكالادي في المجلة المجرية (بودابست ١٩٥١ من
الصفحة ٢١٧ — ٢٤٣ مع الصور الشمسية لرسالة ابن فضلان)

٤٤ — ترجمة رسالة ابن فضلان الى الفرنسية^(١) مع خرائط الرحلة والتعليقات،
عن طبعة وليدي (بقلم ماريوس كانار في مجلة معهد الدراسات الشرقية ،
الجزائر ١٩٥٨ من الصفحة ٤١ — ١٤٦)

٤٥ — الثقافة في عهد الخلفاء — فون كريم (بالالمانية ١٨٨٨) ٣٨

٤٦ — رحلة ابن فضلان^(١) — طبعة زكي وليدي طوغان مع التحقيق والترجمة
والدراسة (في مجلة المستشرقين الالمان ١٩٣٩ ، الجزء الرابع والعشرون)

٤٧ — رحلة ابن فضلان الى البلغار — ترجمة وتعليق المستشرق الروسي
كوقالفسكي مع مقدمة المستشرق كراتشكوفسكي وكل ذلك بالروسية ،
(موسكو ١٩٣٩ في ١٩٣ صفحة مع صور شمسية للمخطوطة)

(١) وصلتني هذه الترجمة بعد طبع المقدمة ، في الوقت الذي وصلتني فيه الصورة

الشمسية لطبعة زكي وليدي وتعليقاته على رحلة ابن فضلان ، فافتت من هذين العاملين
النفيسين .

٤٨ — رحلة ابن فضلان الى الروسية ، وما ذكره الجغرافيون عن رحلات العرب الى روسيا منذ أقدم الازمان (نص بالعربية مع الترجمة والتعليق والدراسة باللغة الالمانية ، للمستشرق فريدريك بن بطرسبورغ ١٨٢٣)

— طبعة وليدي = رحلة ابن فضلان

٤٩ — معجم لتكملة معاجم العرب — تأليف دوزي (بالفرنسية في باريس ١٩٢٧)
٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٢ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ +

— معجم الملابس لدوزي = المعجم المفصل لاسماء

٥٠ — المعجم المفصل لاسماء الملابس عند العرب — تأليف دوزي (بالفرنسية في
امستردام ١٨٤٥) ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١٣١

٥١ — الموسوعة الاسلامية أو دائرة المعارف الاسلامية — للمستشرقين (بالفرنسية
في لندن ١٩١٣) ٦٧ ، ٧٤ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٧٠

فهرس محتويات هذه الطبعة

الصفحة

١ - مقدمة المحقق

٧

تمهيد

الفصل الاول - رحلة ابن فضلان

١٣

كتب الرحلة في العصر

١٨

حال العصر

٢٢

الوفد والخطبة

٢٩

أهمية الرحلة

الفصل الثاني - تحقيق الرسالة

٣٧

مؤلف الرسالة

٤٢

فصول من الرسالة

٤٧

مخطوطة الرسالة

٥١

طريقتنا في التحقيق

٦١

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

٥٥

سنة نماذج وألواح المخطوطة والرحلة

ب - رسالة ابن فضلان

عن المخطوطة الوحيدة في مدينة مشهد

٦٧

فاتحة الكتاب

٧٣

العجم والأتراك

في فارس

الصفحة

٧٦	في بخارى
٨٠	في خوارزم
٨٣	في الجرجانية
٩١	عند الغزية
١٠٦	عند البجناك
١٠٧	عند الباشغرد
	الصقالبة
١١٣	عند الصقالبة
	الروسية
١٤٩	عند الروسية
	الخزر
١٦٩	عند الخزر

ج — الفهارس

١٧٥	١ — فهرس الاعلام والقبائل والطوائف
١٨٧	٢ — فهرس المواضع والاماكن
١٩٣	٣ — فهرس الحضارة واللغة
١٩٧	٤ — فهرس الكتب والمراجع
٢٠٤	٥ — فهرس محتويات هذه الطبعة

استدراك وتصويب

<u>صفحة</u>	<u>سطر</u>	<u>خطاً</u>	<u>صواب</u>
١٠	٨	أدراك	إدراك
٤١	١٥	أختار	اختار
٤٨	١٥	XX11	XXIV
٤٨	١٦	144	149
٨٣	١٤	فاته	فانه
٨٥	١٤	رلبود	ولبود
٩٥	١	وُجوز	وَجوز
١٤٤	٦	يحضرون	يحضروا

(هذا وقد تقع في الحواشي أخطاء في النقط ، أو سقوط في الحروف أثناء الطبع ، أو يلاحظ في النص زيادة في ضبط بعض الحروف لا لزوم لها فذلك فوق قدرة المحقق وأبعد من تناول يده ، فمعدرة من القارئ الكريم) .

تم طبع هذا الكتاب في دمشق
بالطبعة الهاشمية يوم الاربعاء
٦ ذي الحجة ١٣٧٩ الموافق
١ حزيران (يونيو) ١٩٦٠

To: www.al-mostafa.com